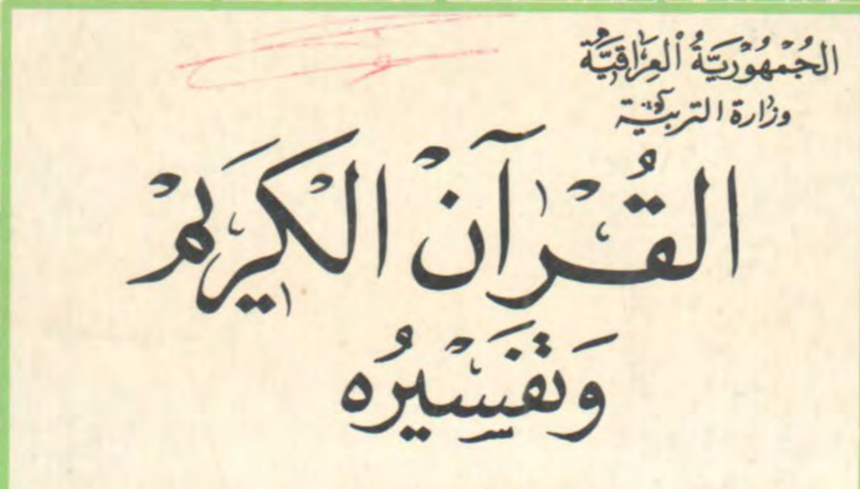
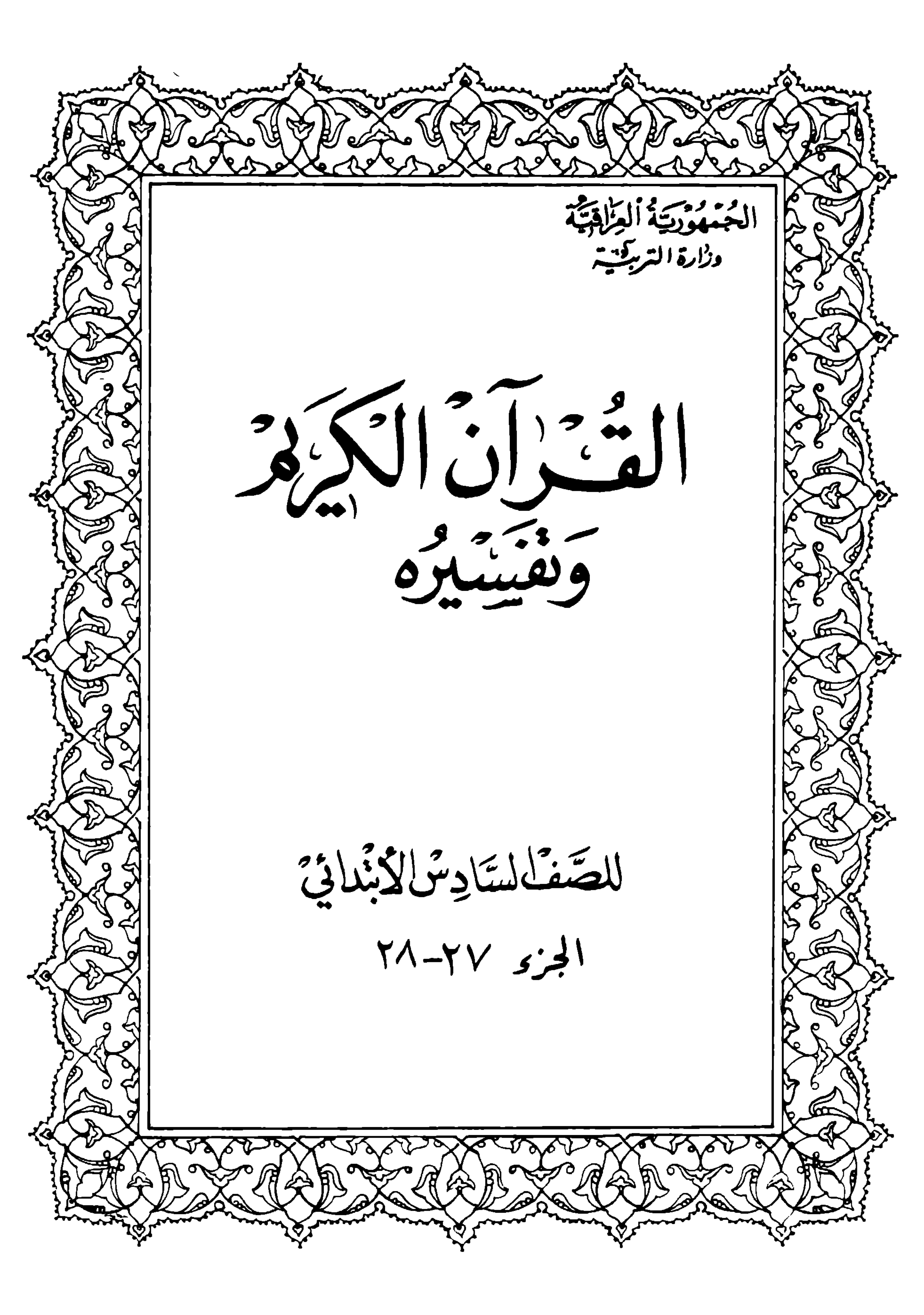
الجُمهُورِيَّةُ العِراقِيَّة
وزارة التربية

القرآن الكريم وتفسيره

للصف السادس الابتدائي الجزء "٢٧، ٢٨"







الجمهورية العراقية
وزارة التربية

القرآن الكريم وتفسيره

للصف السادس الابتدائي

الجزء ٢٧-٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين

وبعد : فلا يخفى على اهل الضاد . ما للقرآن الكريم من أثر عظيم . في تقويم اللسان . وتهذيب البيان . لذا استقر الرأي على أخذ الناشئين بدراسته وتفهمه وحفظ جزء منه . لكي يدرجوا على النطق الصحيح . ويألفوا البيان الفصيح . ويتشربوا ما في آيه من قيم ومثل سامية . ولكن الناشئين لا يبلغون هذه الغايات . اذا طلب اليهم استظهار القرآن قبل ان توضح لهم بعض اساليبه ومعانيه .

ومن أجل ذلك وضع هذا الكتاب تيسيراً لتحقيق ما أشرنا اليه من غايات عظيمة .

وقد بذل في اعداده جهد كبير . تمثل في الرجوع الى المشهور من كتب التفسير واستشارة المعجمات اللغوية . ومناقشة الآراء الشخصية والمأثورة . واستخلاص أليقها وأقربها اتصالاً بأمور الحياة ونظريات العلوم .

ولما كان خط المصحف خاصاً به . ولا يقاس عليه . فقد جعلنا نصوص الآيات الكريمة في هذا الكتاب بخط المصحف وطريقة رسمه . حفاظاً عليه وتعويداً لأبنائنا على قراءته

ونرجو في عملنا هذا ان نكون قد حققنا بعض ما نصبو اليه من خدمة القرآن الكريم . ولغتنا العربية وابنائنا الناشئين .

والله الموفق

رموز الضبط والوقف

ْ : دائرة صغيرة توضع فوق الحرف الذي لا يقرأ مثل : يتلواْ ، أوْلواْ العلم ، ثموداْ .

م : ميم صغيرة فوق الحرف تدل على ادغامه مثل جزاءٌ بما كانواْ

ٓ : علامة المد الزائد .

مـ : علاقة الوقف اللازم .

لا : علامة الوقف الممنوع .

ج : علامة الوقف الجائز .

ط : علامة القطع .

صلى : علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولىٰ

قلى : علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولىٰ

∴ : علامة تعانق الوقف ، بحيث اذا وقف على كلمة . لا يصح الوقف على الكلمة التالية مباشرة مثل : ذلك الكتاب لا ريبۛ فيهۛ .

س : علامة سكته لطيفة .

سورة الذّاريات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية ٣١ إلى الآية ٣٧

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فما خطبكم أيها المرسلون	فما حقيقة الأمر الذى جئتم من أجله ، أيها الملائكة المرسلون من عند الله ؟ .
قوم مجرمين	قوم لوط الذين أجرموا بارتكاب أشنع الآثام .

الألفاظ	شرحها
لنرسل عليهم حجارة	لنرجمهم ونهلكهم بحجارة .
مسوَّمة عند ربك	معلمة عند الله ، معدة لإهلاك هؤلاء القوم .
للمسرفين	للمجاوزين الحد فى الفجور والفسق .
من المؤمنين	ممّن آمن بلوط .
المسلمين	المنقادين المستسلمين .
آية	علامة وعبرة لمن يأتي بعدهم .

ملاحظة : فيما سيأتي بقية قصة إبراهيم مع الملائكة التي ذكرنا شيئاً منها فى آخر تفسير الجزء السادس والعشرين .

مجمل المعنى

١ — لما تحقق إبراهيم من مر الملائكة ، وعلم أنهم رسل الله إليه ، قال لهم : فما قصتكم ؟ وما شأنكم ؟ وما الأمر الذى جئتم من أجله إلينا ، أيها الملائكة المرسلون ؟.

٢ — قال له الملائكة : لقد أرسلنا الله لإهلاك قوم أجرموا بارتكاب أشنع الآثام ، وهو اللواط ، وجاوزوا الحد فى الكفر والعصيان ، واقترفوا أقبح أنواع الفجور ، وهم قوم ابن أخيك لوط فى قرية سدوم ، جئنا لنهلكهم بحجارة صنعت من طين ، وأحرقت حتى صارت آجُرًّا ، وقد أعدت لهؤلاء القوم خاصة ، وعلّمها الله بعلامات لإهلاك هؤلاء الذين أسرفوا فى الكفر والفسوق والعصيان.

٣ — ولما أردنا إهلاك قوم لوط ، أخبرنا لوطاً أن يخرج من هذه القرية الظالم أهلها

هو ومن آمن به من قومه، قبل أن يقع العذاب على هؤلاء المجرمين ، فما وجدنا فيها غير أهل بيت واحد من المسلمين ، وهم لوط وابنتاه وأهل بيته — ما عدا امرأته — وكانوا جميعاً ثلاثة عشر ، والمؤمنون والمسلمون هنا سواء وغيّر اللفظ لئلا يتكرر .

٤ — وخرج لوط ومن آمن به ، فأسقط الله على القرية صاعقة من السماء ، جعلت عاليها سافلها ، ورماها بحجارة من سجيل ، فهلك أهلها ، ودمرت دورها ومصانعها ، وصارت أثراً بعد عين ، وتركنا ما حصل لهذه القرية عظة وعبرة لمن يأتي بعدهم ، ممن يخافون أن يحل بهم ما حل بقوم لوط ، من العذاب الأليم ؛ فهل تعتبر قريش وتتعظ ، حينما تمر بهذه القرية ، وترى آثار من كذبوا رسلهم ؟

(٢)

من الآية ٣٨ إلى الآية ٤٦ من سورة الذاريات

وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ
وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ
مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ
تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ
يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بسلطان مُبين	بحجة بينة ، وهي العصا وغيرها .
فتولى بركنه	فأعرض عن الإيمان، واغتر بقوته من قومه وجنوده .
فنبذناهم فى اليمّ	فتركناهم فى البحر ينطبق عليهم فغرقوا .

الألفاظ	شرحها
وهو مُليمٌ	وقد أتى ما يلام عليه ، من الكفر والطغيان .
الريح العقيم	التى لا تسوق سحاباً ، ولا تلقح شجراً .
ما تذر من شىء أتت عليه	ما تترك شيئاً تمر عليه .
جعلته كالرميم	جعلته جافا متفتتاً ، كالنبات الهشيم .
تمتعوا حتى حين	عيشوا متمتعين فى دياركم إلى وقت هلاككم .
فعتوا عن أمر ربهم	فخالفوا أمر الله ، واستكبروا عن امتثاله .
فأخذتهم الصاعقة	فوقعت بهم صيحة العذاب ، وفاجأهم الهلاك .
وهم ينظرون	وهم ينظرون مبهوتين نظر المغشىّ عليه من الموت .
فما استطاعوا من قيام	فما استطاعوا نهوضاً ، بأن يفروا ويهرُبوا من العذاب .
وما كانوا منتصرين	وما كان لهم ناصر من العذاب .
فاسقين	كافرين .

مجمل المعنى

١ — وتركنا فى قصة موسى عبرة لمن يعتبر ، وذكرى لمن يتدبر ، حين أرسلناه إلى فرعون وقومه ، وأيدناه بالبراهين والآيات البينة ، والحجج والمعجزات الظاهرة ، فقدأبى فرعون واستكبر أن يؤمن بموسى، وأعرض عنه مع جموعه وجنوده الذين يركن إليهم ، ويتقوى بهم ، وقال عنه : إنه ساحر وليس رسولا ، ومجنون يقول ما لا يعقل ، فأخذناه وجنوده الذين كان يعتز بهم ، لكفرهم وعتوهم ، فطرحناهم فى البحر ، وأطبقناه عليهم ، وأهلكناهم بالغرق ،

وذهب فرعون لإصراره على ما يلام عليه من الكفر والطغيان .

٢ — وفى قصة عاد عبرة لمن تأمل ، فقد أرسلنا إليهم هوداً ، فجحدوا بآيات الله وعصوا نبيهم ، فأرسل الله عليهم ريحاً عقيماً لا منفعة فيها ، فلا تسوق سحاباً ولا تُلقح شجراً ، لكنها حارة عاصفة ، لا تمر على شيء إلا أتلفته وأفسدته ، وجعلته باليا هشيما متفتتا ، لا نفع منه ، ولا خير فيه .

٣ — وفى قصة ثمود آية للمكذبين المشركين ، كذبوا صالحاً ، وأصروا على عبادة الأصنام ، واستكبروا عن الامتثال لصالح ، وعقروا الناقة ، فأنذرهم بأنهم سيتركون ثلاثة أيام يتمتعون فيها ، ثم أرسل الله عليهم صاعقة أهلكتهم ، وهم ينظرون إليها مبهوتين ، لا يستطيعون منها فراراً أو هرباً ، ولم يمتنعوا على العذاب الذي حل بهم .

٤ — وفى قوم نوح من قبلهم عبرة للمشركين من قريش ، لأنهم كانوا قوماً كافرين خارجين عن طاعة الله .

(٣)

من الآية ٤٧ من سورة الذاريات ، إلى آخر السورة

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا
بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ
إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم
مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا
سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ
فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ
وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بنيناها بأيْدٍ	أنشأناها بقوة .
وإنا لموسعون	وإنا لقادرون ، من الوُسع ، وهو الطاقة ، ومنه : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » .
والأرضَ فرشناها	والأرض مهدناها لتستقروا عليها .
فنعم الماهدون	فنعم الماهدون المصلحون نحن !.
زوجين	صنفين ونوعين مختلفين .
لعلكم تذكرون	لتتذكروا وتتعظوا بما خلق الله .
ففِروا إلى الله	ففروا من معصية الله إلى طاعته والتوبة إليه .
منه نذير مبين	من عذابه المعد لمن أشرك به منذر بالمعجزات ، مبين ما يجب أن تحذروه .
أتواصوا به	هل أوصى المتقدمون المتأخرين بالتكذيب ، وتواطأوا عليه ؟
بل هم قوم طاغون	بل لم يتواصوا على التكذيب ، لكنهم مشتركون في الطغيان .
فتول عنهم	فأعرض عنهم .
فما أنت بملوم	فلست ملوماً على كفرهم ، لأنك أديت ما يجب عليك من تبليغهم .
المتين	شديد القوة .
ذَنُوباً	حظا ونصيباً من العذاب .

الألفاظ	شرحها
فويلٌ	فعذاب وهلاك لهم .
من يومهم الذى يوعدون	من يوم القيامة الذى أوعدهم الله به .

مجمل المعنى

١ — ولقد خلقنا السماء وأنشأناها بتركيب ونظام، يدل على قوتنا وقدرتنا ، وإنا لقادرون على أن نخلقها ونخلق غيرها ، وقد جعلنا الأرض التي تعيشون فيها ، وتعصون الذي خلقها ، كنقطة صغيرة وسط آلاف الآلاف من كواكب أكبر منها حجماً ، وأعظم منها خلقاً .

٢ — وقد بسطنا الأرض كالفراش ، ومهدناها ، وذللناها لكم ، لتحيوا فيها ، وتستقروا على ظهرها ، وتمشوا فى مناكبها ، وتأكلوا من رزق الله فيها ، وإنا لنعم الماهدون ، الموجدون لها على أحسن حال ، وأعظم إنشاء !.

٣ — ومن كل جنس وكل شىء خلقنا صنفين ، ونوعين مختلفين ، حتى تتم الفائدة منهما ، أو يتأتى النمو بوجودهما ، فخلقنا الذكر والأنثى ، والسماء والأرض ، والليل والنهار ، والنور والظلام ، والجن والإنس ، والموجب والسالب ، وجعلنا هذا الخلق المختلف ، دليلا على قدرتنا التي ليس كمثلها شىء ، ودليل على وحدانيتنا ، ومن قدر على خلق هذا الكون من عدم ، فهو قادر على أن يعيد خلقه — فعلنا ذلك لتتعظوا وتتذكروا أن بانىَ السماء ، وباسط الأرض ، وخالق الزوجين ، لا يعجزه حشر الأجساد ، وجمع الأرواح .

٤ — قل لهم يا محمد : إن الله يأمركم — وقد بيَّن لكم براهين قدرته — أن

تؤمنوا وتلزموا الطاعة ، وإنه ليحذركم عذابه ، ويطلب إليكم أن تنجُّوا أنفسكم من عقابه ، وتبادروا إلى الهرب إلى ساحته الكريمة ، وأن تفروا من وبال المعصية ، وأدران الشرك ، إلى طاعته وثوابه ، وإني أحذركم عاقبة المعصية ، إني لكم من قِبَلِه منذركم إنذاراً بيناً، ومخوف لكم تخويف مشفق عليكم من شديد عقابه ، وأليم عذابه ؛ وقل لهم : إن الله ينهاكم أن تعبدوا غيره ، وأن تشركوا به شيئاً، وأن تجعلوا معه إلهاً آخر، وإني أحذركم أن تظلوا فى الشرك ، وأنذركم إنذاراً بيناً أن الله سيعذبكم عليه أشد العذاب.

٥ — لست يا محمد أول من كذبه قومه، وقالوا عنه : إنه ساحر أو مجنون ، فلا تأس لذلك ، فمثل هذا القول قالته الأمم السابقة لأنبيائهم ، لقد قيل مثل هذا القول لنوح وهود وصالح وموسى وغيرهم، فما أعجب أمر هذه الأمم ! أوصَّى بعضهم بعضاً بأن يرموا أنبياءهم بالسحر والجنون ، وأن يملى السابق على اللاحق هذا الذى كله كذب وافتراء ؟ كلا ! إنهم لم يتواصوا بذلك ، بل اتصفوا جميعاً بصفة واحدة ، هى صفة الطغيان ، ومجاوزة الحد فى الكفر ، فافتتنوا فى الضلال والبهتان .

٦ — فأعرض عنهم ، ولا تشغل بالك بهم ، فلست مكلفاً أن يكونوا مؤمنين ، ولن يكونوا — ولو حرَصت — بمؤمنين ، ولست مَلوماً على كفرهم وضلالهم، لأنك أديت ما عليك من تبليغ الرسالة ، وليس عليك إلا البلاغ ، وعليك أن تذكِّر ، وأن تعظ ، وليس الوعظ والتذكير بنافع غير الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وهداهم للإيمان. أما من اقتضت إرادة الله لهم أن يموتوا كفاراً مشركين ، فلن يؤمنوا مهما ذكَّرت ووعظت .

٧ — وما خلقت الجن والإنس إلا وقد هيأتهم لعبادتي ، وبينت لهم من آيات قدرتي وألوهيتي ما يجعلهم يؤمنون بي ويعبدونني ، وقد برهنت مظاهر هذا الكون ودلت عظمته، على أنه قد خلقه رب واحد، وأنه هو وجميع من فيه من إنس وجن ، عبيد لهذا الرب الواحد ؛ فهذه الدلائل الواضحة فى هذا الكون، تأمرهم بعبادتي ، «وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو» ، وليس شأن هذا الرب مع عباده كشأن السادة مع عبيدهم ، فهؤلاء يملكون عبيدهم ليستعينوا بهم فى أمورهم ، وتهيئة أرزاقهم ، لكن الله غني عن العالمين ، لا يريد أن يصرّف عبيده فى تحصيل الأرزاق ، وجلب الأقوات ، لأنه هو رازقهم ، والمتفضل عليهم بما يقوم بمعيشتهم ، وهو القوي الشديد القوة ، فعليهم أن يقبلوا على عبادة من هذا شأنه ، ويلتزموا طاعته .

٨ — إن للذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب ، بسبب تكذيبك يا محمد ، والشرك بالله ، نصيباً من عذاب الله يوم القيامة ، مثل نصيب الذين كذبوا أنبياءهم ، وأشركوا بالله من قبلهم ، فلا يستعجلونى فى نزول العذاب بهم ، بقولهم : إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ، فإنه سيأتي قريباً ، وإنهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً .

٩ — فالويل والعذاب الشديد فى نار جهنم للذين كفروا بالله ، وكذبوا الأنبياء ! الويل لهم فى اليوم الذي توعدهم الله أن يعذبهم فيه ، ويحاسبهم على ما كانوا يعملون .

سورة الطُّور

نزلت بمكة ، وآياتها ٤٩ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والطور	والجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام .
وكتاب مسطور	والقرآن المسطور المكتوب الذى أنزله الله على محمد .
فى رَق منشور	فى رقوق منشورة ، وأصل الرق : الجلد الذى يكتب فيه ، استعير للصحيفة التى يكتب فيها الكتاب .
والبيت المعمور	والبيت الحرام .
والسقف المرفوع	والسماء المرفوعة بلا عمد
المسجور	المملوء ، المحبوس من أن يفيض على الأرض فيغرقها .
تمور	تتحرك فى اضطراب ، جيئة وذهاباً .
تسير الجبال	تنتقل من مكان إلى مكان ، لتشقق الأرض وتصدعها .
فويل يومئذ	فالعذاب والويل لهم يوم يقع ذلك ! .
فى خوض يلعبون	فى باطل يتشاغلون .
يوم يدعُّون إلى نار جهنم دعًّا	يوم يدفعون إلى نار جهنم بعنف وشدة .
هذه النار	يقال لهم : هذه النار .
كنتم بها تكذبون	كنتم تنكرون حقيقتها ، وتكذبون من أخبر بها .
أفسحر هذا	كنتم تقولون عن الوحى : إنه سحر ، أفهذا العذاب أيضاً سحر ؟ .

الألفاظ	شرحها
اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا	قاسوا عذاب النار ، فلن يخفف عنكم منه شيء ، صبرتم أو جزعتم

مجمل المعنى

١ — تضمن هذا القسم خمسة أشياء ، هي من أعظم الدلالات على قدرة الله تعالى ، وربوبيته ووحدانيته :

ا — فأقسم بالطور ، وهو الجبل الذى كلم الله عليه نبيه موسى عليه السلام ، تشريفاً له وتكريماً .

ب — وأقسم بالقرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم آيات بينات ، وهدى للمتقين ، المكتوب فى صحف منشورة ؛ وعلى هذا فيكون القسم بخير الجبال ، وخير الكتب المنزلة .

ج — وأقسم بالبيت المعمور ، الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً ، تحج اليه الناس من كل فجّ عميق ، يتعارفون ويتعاونون ، ويولون وجوههم شطره مصلين ملبين ، متجهين إليه بقلوب خالصة أن يرشدهم إلى سعادة الدارين ، فى بيته المعمور بالطائفين والقائمين والركع والسجود .

د ، ه — ثم أقسم بمخلوقين عظيمين من بعض مخلوقاته ، ومن أظهر آياته ، وأعجب صنعه ، وهما السقف المرفوع بقدرته وعظمته ، الممسك بقوته أن يزول ، والبحر المملوء المحبوس من أن يفيض على الأرض فيغرقها ، فموجه الذي يعلو كالجبال يأتى إلى الشاطىء فيتكسر ويتراجع ، ولا ريب أن السماء والبحر آيتان من أعظم آيات الله ، فالسماء فى سعتها وسمكها ، وحركة كواكبها

وشروقها وغروبها ، وفى تعاقب الليل والنهار ، والنور والظلام ، والسنون والشهور والأيام ، والصيف والشتاء ، والربيع والخريف ، والبحر في عظمه وبعد أقطاره، وارتفاع أمواجه تارة ، واستواء صفحته تارة أخرى، يحمل على ظهره المواخر والفلك ، وتعيش فى جوفه الأحياء المائية المختلفة ، والأصداف والمعادن ، واللؤلؤ والمرجان — يتحدثان في صمت عميق عن قدرة الله، وإبداع صنعته جل شأنه، أقسم الله — سبحانه — بهذه الأشياء الخمسة العظيمة، على أن المعاد والجزاء والحساب، والعذاب الذي أنذر به الخلق ، لواقع لا محالة ، لا دافع لوقوعه ، ولا مانع من مجيئه ووجوده ، وأنه إذا وقع بالفعل فلا راد له ولا دافع .

٢ — ويكون الحساب والجزاء ، والعذاب التي توعد الله به الكفار ، يوم يأمر الساعة أن تقوم ، فتضطرب الكواكب اضطراباً ، وتتحرك من غير انتظام ، ويذهب التجاذب بينها ، ويختل نظام دورانها ، فتتصادم وتتساقط ، وترى الجبال تتشقق وتقع ، وتتنقل من هنا إلى هناك ، وتفقد ثباتها ورسوخها واتزانها ؛ والويل والعذاب ، والفزع الأكبر والشقاء فى هذا اليوم ، للمشركين الذين كانوا به يكذبون ، ويقولون: ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، ومايهلكنا إلا الدهر، ومانحن بمبعوثين، وكانوا يخوضون فى هذا الباطل خوضاً ، وليس لهم حجة أو برهان عليه ، بل كانوا يلعبون ويتشاغلون عن النظر والتأمل لمعرفة الله تعالى بآثار صنعته ، وإبداع خلقه .

٣ — الويل لهؤلاء الأشقياء فى هذا اليوم، إذ يساقون إلى جهنم سوقاً ، ويدفعون إليها دفعاً ، مقيدة أرجلهم ، مغلولة أيديهم ، فيقومون ويقعون ، ويؤخذون أخذاً لا هوادة فيه ولا رحمة، ويقال لهم : هذه هي النار التي كنتم تخبرون بها فى الدنيا فتكذبونها وتسخرون من محمد، انظروا إليها بأعينكم، وأنضجوا بلهبها

جلودكم ، وقطعوا بحميمها بطونكم ؛ هذه هي النار التي أخبركم بها محمد فى القرآن ، فقلتم : إن القرآن الذى جاء به محمد سحر ساحر ، أفحق ما جاءكم به محمد ، وصدق ما وعدكم به في الكتاب الذي أنزله الله عليه ، أم هو سحر كما كنتم تفترون ؟ وهل ما ترونه من هذه النار الموقدة ، وهذا السعير الملتهب سحر أيضاً ؟ أو أنكم قد عميت أبصاركم ، كما عميت في الدنيا على زعمكم ، حين كنتم تقولون : إنما سُكِّرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون .

٤ — ذوقوا عذاب هذه النار ، وقاسوا لظاها صابرين أو جزعين ، راجين أو قانطين ، كل هذا سواء ، ولن يخفف عنكم من عذاب الله شيئاً ، ولن تُزَحزحوا قِيد أنملة عن النار ، لأن عدل الله قائم ، وأمره مبرم، وهذه النار هى جزاء حق لكم ، وقضاء عدل لما كنتم تعملون في الدنيا من أعمال سيئة ، طالما حذرناكم وخيم عاقبتها ، وسوء مصيرها ؛ واعلموا أن الله تعالى لم يظلمكم بذلك ، وإنما هى نفوسكم القبيحة ، وعقائدكم الفاسدة ، هى التي صيّرتكم هذا المصير ؛

(٢)

من الآية ١٧ إلى الآية ٢٨ من سورة الطور

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَا ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ
رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ
عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ
وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ
إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فاكهين	ناعمين متلذذين .
بما آتاهم ربهم	بما أعطاهم ربهم .
وزوجناهم بحور عين	وقرناهم بنساء ملاح العيون، بيض البشرة ، حسان الوجوه ؛ وعين : جمع عيناء ، وهى النجلاء ، الواسعة العين .
ألتناهم	نقصناهم .
رهين	مقيد بعمله ، مأخوذ به ، لا ينقص شيئاً من ثواب عمله .
يتنازعون	يتناولها بعضهم من بعض .
لا لغو فيها ولا تأثيم	لا يجرى بينهم وهم يشربونها باطل من القول ، وما فيه إثم .
مشفقين	خائفين من لقاء الله .
السموم	الريح الحارة التى تخترق المسام ، ويراد بها : العذاب الشديد .
البر الرحيم	اللطيف العميم الخير ، الواسع الرحمة بعباده المؤمنين.

مجمل المعنى

١ — ثم ذكر سبحانه وتعالى أرباب الاعتقادات الصحيحة ، والأعمال الصالحة ، وهم المتقون ، وما أعد لهم فى الآخرة من مساكن طيبة ، وما أفاض عليهم

من طمأنينة النفس ، وراحة القلب في الدار الآخرة ، ووصفهم بأنهم يعيشون فيها في جنات وحدائق ، ينعمون فيها بما يشاؤون من طعام وشراب ، ومناظر حسنة ، وفرح وسرور ، واغتباط وحبور ، متمتعين متلذذين بما أعطاهم ربهم من نعيم مقيم ، راضين به ، شاكرين عليه ، طيبة نفوسهم بما جمع الله لهم من نعيم البدن بالطعام والشراب وجمال المكان ، ومن نعيم القلب بالرضا والاطمئنان ، وقد وقفهم ربهم فوقاهم عذاب الجحيم ، لأنهم تركوا ما يكره ، وأتوا ما يحب ، فكان جزاؤهم مطابقاً لأعمالهم ، فوقاهم مما يكرهون ، وأعطاهم ما يحبون ، جزاء وفاقاً .

٢ — وقد شاء ربك أن يجمع لعباده المتقين كل أطراف النعيم ، فأراد أن يلذذ أسماعهم ، ويؤمنهم على نعيمهم ، فأمر أن يقال لهم وهم في الجنة : كلوا أكلا هنيئاً ، واشربوا شراباً مريئاً ، لا انقطاع فيه ولا تنغيص ، ولا خوف من زواله .

٣ — ولم يجعل سبحانه وتعالى نعيم الجنة مقصوراً على الطعام والشراب ، والغبطة والاطمئنان ، بل أتمه بالأنس والسرور للمتقين بمن يحبون ، فوصف مجالسهم بأنهم يجلسون مصطفين متقابلين ، جلوساً فيه راحة واستقرار ، يطالع كل منهم فى وجه أخيه نضرة النعيم ، وبهجة القلب ، وبشاشة الوجه ، وقرة العين ، ويجاذبه حسن الحديث ، وأطيب الذكريات ؛ وإن من تمام اللذة والنعيم ، أن يكون مع الإنسان في بستانه ومنزله ومجلسه من يحب معاشرته ، ويؤثر قربه ، ولا يكون بعيداً منه ، وقد قرن الله إليهم الحور العين من نساء الجنة يؤنسنهم ، ويسررن قلوبهم ، بما أتم الله عليهن من

الحسن والجمال: من بياض البشرة، ورشاقة القوام، ووضاءة الوجه، وحلاوة العينين، وعذوبة النفس.

٤ — ومن تمام نعمة الله على المتقين المؤمنين في الجنة، أنه يجمع بهم في النعيم ذريتهم المؤمنين إكراماً لهم، وتحقيقاً لفضل الله عليهم، وإن كانوا دونهم في العمل في الدنيا، فإن الله سبحانه وتعالى يُلحق بهم ذريتهم في الجنة، ويمتعهم جميعاً بنعيم تام، فلا ينقص من نعيم الآباء شيئاً مما تفضل به على الأبناء، بل يرفع الأبناء إلى درجة الآباء، تفضلا منه على عباده، وبراً بأوليائه، قال صلى الله عليه وسلم: « يرفع الله ذرية المؤمن في درجته في الجنة لتقرَّبهم عينه، وإن كانوا دونه »، لأن الله يعطى من فضله، ولا ينقص شيئاً من ثواب عبده؛ كل امرئ مرتهن بعمله، مأخوذ به وحده، فلا ينقص من ثواب عمله شيئاً، فأما الزيادة على ثواب العمل، فتفضل من الله.

٥ — ولم نجعل طعام أهل الجنة وشرابهم ثابتاً في ألوانه ومقاديره ومذاقه، وإنما نزيدهم وقتاً بعد وقت، بما تشتهيه نفوسهم من أنواع اللحم والفاكهة، وإن لم يقترحوه ويطلبوه، وإنما نحيط برغباتهم، وما تشتهيه نفوسهم، فنمدهم به.

٦ — وجعلناهم يتناولون كؤوس الشراب، ويتعاطونها بينهم، فيشرب أحدهم ويناول صاحبه، ليتم بذلك فرحهم وسرورهم، بالشراب الخالص المنزه عن آفات اللغو والإثم، فلا يكون منه ما يكون من شراب الدنيا من هراء القول والسباب والتخاصم، والهجر والفحش والعربدة، والإثم بالبغى والكذب والضلال والباطل، لأنها خمر لا تذهب بالعقول، فهم مع تعاطيها يتكلمون بأحسن الكلام، ويفعلون الفعل الحميد.

٧ — ثم وصف سبحانه وتعالى القائمين على خدمة المتقين في الجنة ، بأنهم غلمان صغار السن ، صباح الوجوه ، كاللؤلؤ الصافي المصون في أصدافه ، لم تلمسه يد ، ولم يقع عليه غبار ، ولم تذهب الخدمة بمحاسنهم ، ولم تؤثر فى رونقهم وصفائهم وبهجتهم .

٨ — وذكر سبحانه وتعالى مايكون بين أهل الجنة من حديث وهم هانئون وادعون ، فيسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله ، وما استحق به نعيم الله ورضوانه ، فتكون إجابتهم : أننا كنا فى الدنيا بين أهلنا وأولادنا خائفين مشفقين من عذاب الله في الآخرة ، قائمين بطاعته ، متقين معصيته ، فأوصلنا ذلك الخوف والإشفاق إلى أن منّ الله علينا بالرحمة والتوفيق للهدى والحق ، فوقانا عذاب النار التي تنفذ في المسام نفوذ الريح والسموم ؛ وهذا غير حال الشقي الذي كان فى أهله مسروراً ، إنه ظن أن لن يحور ويرجع إلى الحياة والحساب بعد الموت ، فهذا كان مسروراً مع الإساءة ، وكنا مشفقين وخائفين مع الطاعة والإحسان ، فبدّلنا الله بالإشفاق أمناً ، وبدل الأشقياء بسرورهم عذاباً وخوفاً ، إننا كنا من قبل أن نبعث للحساب ، ونحن نعيش على ظهر الأرض ، نعبد الله حق العبادة ، ونسأله السلامة والوقاية من عذاب النار ، فشملنا إحسانه ولطفه ، وعمنا كرمه ورحمته ، لأنه هو البرّ المحسن المتفضل ، الكثير الرحمة ، الذي إذا عبد أثاب ، وإذا سُئل أجاب .

(٣)

من الآية ٢٩ من سورة الطور ، إلى آخر السورة

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا
مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا
فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ
طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ
مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾
أَمْ خَلَقُوا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ
أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم
بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا
فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾
أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ
سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَآءِ سَاقِطًا
يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي

فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فذكّر	فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم .
بنعمة ربك	بإنعامه عليك بالنبوة .
شاعر نتربص به ريب المنون	هو شاعر ننتظر حوادث الدهر تقع به فيهلك ، كما هلك مَنْ قبله من الشعراء ؛ والريب هنا : الحوادث ، والمنون : الدهر .
قل تربصوا	قل لهم : انتظروا ما تتمنون من هلاكي .
فإني معكم من المتربصين	فإني معكم من المنتظرين هلاككم ، وسترى من يحقق الله تربصه بغيره .
أم تأمرهم أحلامهم بهذا	هل تصدق عقولهم ما يقولون عنه : إنه ساحر وكاهن وشاعر ومجنون ؟
طاغون	مجاوزون الحد فى العناد ، مع ظهور الحق لهم .

الألفاظ	شرحها
تقوّله	افتراه واختلقه من تلقاء نفسه .
فليأتوا بحديث مثله	فليقولوا كلاماً مختلقاً مثل القرآن .
من غير شيء	من غير خالق .
الخالقون	الموجدون لأنفسهم من غير خالق .
لا يوقنون	لا يتدبرون في هذا الكون ، فيؤمنوا إيمان إيقان بأن له خالقاً يخلقه .
خزائن ربك	النبوة والأرزاق وغيرهما .
المصيطرون	المهيمنون الغالبون على هذا الكون ، حتى يدبروا أمره على حسب مشيئتهم .
يستمعون فيه	يستمعون عليه ما يُوحَى ، ويصلون بها إلى علم الغيب .
بسلطان مبين	بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم .
من مغرم مثقلون	من الغرامة الفادحة مبهظون مثقلون .
يريدون كيداً	يريدون الكيد وتدبير السوء لك ليهلكوك به .
المكيدون	الذين يحيق بهم كيدهم .
كسفاً	قطعة من عذاب .
سحاب مركوم	سحاب تراكم بعضه فوق بعض ، ليسقط علينا مطراً يسقينا .
يُصعقون	يُهلكون ويموتون به .
دون ذلك	غير عذاب الآخرة .
واصبر لحكم ربك	واصبر لحكم ربك ، بإمهالهم وتأخير عذابهم .
بأعيننا	محفوظ ومرعيّ بنا .

الألفاظ	شرحها
حين تقوم	وقت قيامك من منامك ومجلسك ولصلاتك ، ومن أى مكان تقوم منه .
وإدبار النجوم	وقت اختفاء النجوم آخر الليل ، وغيبتها بضوء الصبح .

مجمل المعنى

١ — فاثبت يا محمد على تبليغ ما أنزل إليك ، وداوم على تذكير المشركين ووعظهم ، ولا تلق بالك إلى ما يرمونك به من الافتراءات والأباطيل ، فإن الله قد اصطفاك لرسالته ، واختصك بنبوته ، ولست بما أنعم الله عليك من النبوة ورجاحة العقل بكاهن، يقول ما يقول عن حَدْس وتخمين ، أو مجنون ينطق من غير عقل أو تدبر أو تفكير ، كما يفترون عليك .

٢ — أيقولون عنك : إنك شاعر من الشعراء الغاوين ، الذين هم فى كل واد يهيمون ، ويقولون ما لا يفعلون ، وإننا ننتظر أن تدور عليه دوائر الدهر ، وتأتى عليه حوادث الزمن ، فيموت ويهلك ، كما هلك غيره من الشعراء كالنابغة وامرئ القيس ؟ .

٣ — قل لهم : ترقبوا وانتظروا أن تحل بي حوادث الدهر، فأهلك كما تتمنَّوْن . فإني مثلكم منتظر أن يحل بكم عذاب الله ، فتهلكوا على مرأى مني إن شاء الله ، وسنرى من يحقق الله له تربصه وانتظاره .

٤ – أتصدق عقولهم ما ينسبون إلى محمد من أباطيل مُختلَقة، وأقوال باطلة ، وما يدّعون عليه من أنه ساحر ، وأنه شاعر ، وأنه كاهن ، وأنه مجنون ؟ وهذه الصفات التى نعتُوه بها لا تصدقها عقولهم ، لأن ما جربوا من أخلاق محمد وسلوكه ، قاطع بأنه بعيد كل البعد عن هذه الصفات ، لكنهم تجاوزوا الحد فى العناد والكفر ، فافتروا واختلقوا الباطل ، مع ظهور الحق .

٥ – بل هم يُمعنون فى التخبط ، ويمضون فى الافتراء والكذب ، فيقولون ! : إن هذا القرآن لم ينزل على محمد من عند الله ، ولكنه افتراه واختلقه من تلقاء نفسه ، ونسبه إلى الله ؛ إن كانوا صادقين فيما يدّعون ، فإن هذا القرآن الذى جاء به محمد هو بلسان عربى مبين ، هو لسانهم الذى به يتكلمون ويخطبون وينظمون الشعر ، فليجربوا أن يقولوا كلاماً مثله ، ويأتوا بحديث مشابه له ، إن كانوا صادقين فيما يدعونه ؛ « قل : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كانوا بعضهم لبعض ظهيراً » .

٦ – أينكرون وجود الإله الخالق؟ فهل خُلقوا هم من غير خالق ؟ ووُجدوا من غير صانع ؟ وكيف يصح فى العقل أن يوجد باب من غير نجار ، وحائط من غير بنّاء ؟ فكيف يوجد هذا الكون من غير خالق أو صانع ؟ أم يزعمون أنهم هم الخالقون لأنفسهم ، فلذلك لا يعترفون بخالق لهم ؟.

٧ – أم أنهم خلقوا السموات والأرض ؟ لكنك إذا سألتهم : من خلق السموات والأرض ؟ قالوا : خلقهن الله ؛ لكن هذا القول يصدر منهم وهم غير موقنين بوحدانيته ، مع اعترافهم بكمال قدرته .

٨ — هل عندهم مفاتح الغيب، وخزائن الرحمة، فيعطوا النبوة من شاؤوا، أو يُمسكوها عمن شاؤوا، ويرزقوا هذا ويحرموا ذاك ؟ أم أنهم الغالبون على هذا الكون، والمسيطرون على السموات والأرض، فيصرفوهما بإرادتهم، ويدبروهما بمشيئتهم، وينصبوا آلهة، وينشئوا معبودين، كما شاءت لهم أهواؤهم ؟

٩ — أم لهم سلم يصعدون فيه إلى السماء، فيستمعوا عليه أنباء الغيب، فيعلموا ما هو كائن من الأمور التى يتقولونها ويفترونها؟ إن كان ذلك حقا، فليأت من صعد منهم إلى السماء، واستمع فيها إلى أنباء الغيب، بحجة بينة واضحة تثبت ما يزعم، وتحقق ما يدّعى .

١٠— أمْ يروْن أن البنات لله، وأن البنين لهم، مع أنهم يكرهون البنات اللاتى جعلوهن لله، ويحبون البنين الذين جعلوهم لأنفسهم؟ فهل خلق الله لهم عقولا، يترقون بها إلى عالم الملكوت، ويطلعون بها على الغيب ؟

١١— بل أتسألهم أجراً على دعوتك إليهم للإيمان، وتبليغك الرسالة يا محمد إليهم، وقد بالغت فى تقدير هذا الأجر وأعليته، حتى أثقلتهم فداحة هذا الغُرْم، ومضاعفة هذا الأجر، فهم لذلك لا يؤمنون بك ولا يتبعونك ؟

١٢— أم أن الله تعالى أطلعهم على الغيب، وكشف لهم عن اللوح المحفوظ المثبت فيه كل الغيوب، فهم يكتبون ما فيه، ويخبرون الناس بما علموه، ويتربصون بك ريب المنون، ويقولون عما أخبرتهم به من أمر القيامة والجنة والنار : إنه باطل ؟ وإلا فمن أنبأهم بذلك حتى أذاعوه ؟

١٣— أيريدون أن يدبروا لكَ الكيد، ويأتمروا عليك فى دار الندوة ليقتلوك ؟ ألا فاعلم يا محمد أن الله حافظك، وأن الذين مكروا بك، ودبروا لك الكيد،

سيحبط الله كيدهم ، ويرد مكرهم فى نحورهم ، وسيكونون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ؟

١٤ــ أم لهم إله غير الله يخلق ويرزق ، ويعطى ويمنع فاستحق عبادتهم دون الله ؟ تنزه الله سبحانه وتعالى أن يكون له شريك فى الملك ، أو يكون معه إله غيره ! !

١٥ــ لقد جاوزوا الحد فى العناد والإصرار على الضلال ، فلو أنا أنزلنا عليهم عذاباً من السماء ، أو أريناهم كِسَفاً ساقطاً عليهم ، لأنكروا ذلك ، وما صدقوا أن الله سينتقم منهم لكفرهم ، بل قالوا : إن هذا سحاب يجتمع بعضه فوق بعض ، ويركب بعضه فوق بعض ، حتى يتراكم ويتثاقل ، ويسقط مطراً يَسقينا ، وغيثاً يُروينا ؛ فدعهم حتى يأتي يوم القيامة ، ويروا بأعينهم ما كذبوه ، ويحل بهم العذاب الذي يهلكهم ويصعقهم ؛ وفى هذا اليوم لا ينفعهم الكيد الذي كادوه لك ، والتدبير الذي دبروه لك ، ولن يجدوا من ينصرهم من الله ، أو يمنعهم من عذابه .

١٦ــ وإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وظلموك بالتكذيب ، عذاباً فى الدنيا غير العذاب الذى سيلاقونه فى الآخرة ، فسيغلبون ويُقهرون ويقتلون ، ولكن أكثرهم َغلب عليهم العناد والإصرار على الكفر ، فلا يعلمون مصيرهم .

١٧ــ واصبر لحكم ربك بإرجاء عذابهم ، وتأخير عقابهم ، وإبقائك بينهم تقاسى الأذى والمعارضة والاضطهاد ، فإنك فى حفظنا ورعايتنا ، ونزه ربك حامداً له على نعمائه التي لا تعد ولا تحصى ، فى كل مكان تقوم منه ، وفى كل حركة تتحركها ، فقل : سبحانك اللهم وبحمدك حين

تقوم من نومك ، وحين تقوم من مجلسك ، وحين تقوم إلى صلاتك ، وحين تنتقل من مكانك ، وفى كل حركة تتحركها ، أو عمل تعمله ؛ وسبّحه واحمده فى بعض أوقات الليل ،حينما يهدأ الكون،وتسكن النفس ، ويخشع القلب،وينام الناس ؛ صلّ لله وسبحه ، وتهجد له ؛ وحينما يوشك الليل أن ينقضي ، وتُدْبر النجوم وتختفي بضوء الصباح ، قم صلّ لله وسبحه ، واجعل وقتك مشغولا ، وقلبك عامراً على الدوام ، بالتسبيح والذكر والصلاة ، فإن ذلك يقوي إيمانك ، ويذهب خوفك ، ويؤدي إلى نصرك على عدوك .

سورة النَّجْم

نزلت بمكة ، ماعدا الآية ٣٢ فإنها نزلت بالمدينة ، وآياتها ٦٢ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والنجمِ إذا هَوى	أقسم بالنجوم إذا تهاوت وتساقطت على الشياطين.
ما ضل صاحبكم	ما ضل محمد عن الحق ، وما حاد عنه .
وما غَوى	وما صار غاوياً ، وما تكلم بالباطل ، وما جاوز الرشاد .
وما ينطق عن الهوى	وما ينطق بما يأتيكم به عن هوى نفسه .
إن هو إلا وحيٌ يُوحى	ما الذي ينطق به من القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه .
شديد القوى	مَلك قواه شديدة ، وهو جبريل .
ذو مرَّة	ذو منظر حسن ، وجلال عظيم ، وحصافة في عقله ، ومتانة فى دينه .
فاستوى	فاستقام جبريل فى خلقه ، وظهر له فى صورته الحقيقية ، وهى غير الصورة التي كان يتمثل بها عند ما ينزل بالوحى .
وهو بالأفق الأعلى	وظهر جبريل فى مطلع الشمس .
دنا فتدلى	قرب جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى ، ثم نزل على النبي بالوحي .
فكان قاب قوسين أو أدنى	فكانت المسافة بين جبريل وبين النبي مقدار طول قوسين أو أقل .

الألفاظ	شرحها
فأوحى إلى عبده ما أوحى	فأوحى الله تعالى بوساطة جبريل ما أوحى من الأمور العظيمة إلى نبيه .
ما كذب الفؤاد ما رأى	ما كذب فؤاد النبي وقلبه ، ما رآه ببصره من صورة جبريل ؛ والمراد : أنه رآه بعينه ، وعرفه بقلبه .
أفتمارونه على ما يرى	أفتكذبونه فتجادلوه فى أمر رآه هو ببصره ، وعرفه بقلبه ؟
نزلة أخرى	مرة أخرى .
سدرة المنتهى	شجرة فى السماء ، ثمرها : السِّدر ، وهو النَّبِق ، لا يتجاوزها أحد من خلق الله .
عندها جنة المأوى	الجنة التي يأوى إليها المتقون ويصيرون إليها ، عند سدرة المنتهى .
إذ يغشى السدرة ما يغشى	إذ يأتي هذه الشجرة ما يأتي من الملائكة ، ويسطع فيها نور ذى العزة والملكوت .
ما زاغ البصر	ما مال البصر يميناً ولا شمالا ، بل كان متجهاً إلى المرئى .
وما طغى	وما جاوز المرئى إلى غيره ، بل وقع عليه وقوعاً لم يتحول عنه .
لقد رأى من آيات ربه الكبرى	لقد رأى حين رقى إلى السماء الآيات الكبرى ، وهى بعض آيات ربه .

مجمل المعنى

١ — أقسم الله سبحانه وتعالى بالنجوم إذا تهاوت وتساقطت فى إثر الشياطين ، إذا حاولت استراق السمع من السماء ، أو حين انقضاء العالم ، ليبين بهذه الآية الظاهرة المشاهدة ، أن الله قد حفظ الوحي من استراق الشياطين له ، وأن ما أتى به رسوله حق وصدق ، لا سبيل للشياطين إليه — أقسم الله أن محمداً صاحبكم الذي عاشرتموه منذ درج وشب ، وخبرتم صدقه ، ما ضل عن الحق ، وما حاد عنه ، وما تكلم بالباطل ، أو جاوز سبيل الهدى والرشاد فيما جاءكم به من الوحي ، وأنه لم ينطق به عن هوى نفسه ، ولم يقل لكم قولا من عنده هو ، وما نطقه إلا وحي أوحى الله به إليه ، نزل به عليه ، وعلمه إياه ، ملك قوى متين ، حصيف العقل ، سديد الرأي ، حسن الصورة ، ذو جلال وهيبة ؛ وقد رغب محمد إلى ربه أن يريه هذا الملك — وهو جبريل الذى ينزل إليه بالوحي من عنده — فى صورته الحقيقية ، حتى يملأ عينه برؤيته ، ويطمئن قلبه برسول الوحي ، وسفير التنزيل الحكيم ، فاستجاب إليه ربه ، ونزل جبريل بصورته الملائكية النورانية ، فبدا له في هذه الصورة ، وظهر فى أعلى الأفق ، — وهو أفق الشمس — ثم أخذ يدنو منه شيئاً ، فشيئاً حتى صارت المسافة بينهما لا تزيد عن مقدار طول قوسين ، بل هى أدنى من ذلك وأقل ، فأوحى الله عن طريق هذا الملك العظيم ، إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه من القرآن ، وأنزل عليه ما أنزل من الآيات العظيمة ، والحدود والأحكام ، والبينات والنذر .

٢ — ولقد رأى محمد جبريل فى صورته الحقيقية بعينيه ، وعرفه بقلبه ، وصدق القلب ما شاهد النظر ، وتحقق من الصورة التى خلق الله عليها جبريل

الروح الأمين ، فلم يكذب فؤاده ، ولم يشكّ قلبه ، فيما رأت العين ، وشاهده البصر .

٣ — أفيبلغ بكم الجحود والكفران أيها المشركون ، أن تكذبوا محمداً فيما رآه بعينه، وعرفه ببصيرته وبصره ؟ تجادلونه فيما حقّقه النظر، واطمأن إليه القلب ، وتقولون : إن جبريل لم ينزل إليه ، وإن الوحي لم يأته.

٤ — وكما رأى محمد وهو على الأرض جبريل رؤية عين وقلب ، فكذلك رآه مرة أخرى فى السماء ليلة المعراج ، عند الشجرة التى ينتهي عندها جميع الخلائق ولا يتجاوزونها ، ولا يعلم ما وراءها من الغيب وأسرار الملكوت غير الله جل شأنه ، وعندها جنة المأوى التي يصير إليها المتقون ، وتأوى إليها أرواح المؤمنين ، يتنعمون بنعيمها ، ويتنسمون بطيب ريحها ؛ لقد رأى محمد جبريل عند هذه الشجرة ، وظهرت له عجائب يحار العقل فيها ، فأنوار رب العالمين ساطعة عندها، والملائكة يرتقون إليها، ويأتونها متبركين زائرين ، كما يزور الناس في الأرض الكعبة ، فيغشاها الجمّ الغفير منهم ، ويجتمعون عندها .

٥ — لقد كان نظره ممتدًّا ،وقلبه متجهاً لرؤية جبريل في السماء عند شجرة المنتهى ، ما زاغ بصره يميناً ولا شمالا ، ولا جاوز ما وقع من المرئيات أمام بصره ، بل اتجه إليه اتجاهاً قصداً ، ووقع عليه وقوعاً تامًّا ، ولم يتجاوز بصره ما بين يديه ، وقف أمام عظمة هذا الملكوت فى ذلك المقام بكل أدب ، ولم يمد بصره إلى غير ما أُرى من الآيات ، وما هناك من العجائب ، بل قام مقام العبد الذي أوجب عليه أدبه، إطراقه وإقباله على من وقف في حضرته، دون التفات إلى غيره، مع ثبات الجأش، وسكون القلب وطمأنينته ؛ في هذا الموقف الملىء بالعظمة والجلال ، والقوة والسلطان ، رأى محمد

بعض الآيات الكبرى من آيات الرب وعظمة الخالق ، وصُنع الله الحكيم ، مما لا تستوعبه الأبصار ، ولا تحيط به الأفكار .

(٢)

من الآية ١٩ إلى الآية ٢٥ من سورة النجم

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اللات والعزى ومناة	اللات : صنم كان بالطائف لثقيف ، والعزى : لقريش وبني كنانة ، ومناة : لهذيل وخزاعة ، وكانت أعظمها .
ألكم الذكر وله الأنثى	ألكم الذكور ؟ وله هذه الإناث من الأصنام ، التي تزعمون أنها بنات الله ؟
ضيزى	ظالمة جائرة عن العدل ، خارجة عن الصواب .

الألفاظ	شرحها
إن هى إلا أسماء سميتموها	ما هذه الأصنام إلا أحجار نحتموها وسميتموها آلهة.
سلطان	حجة وبرهان .
وما تهوى الأنفس	وما تميل إليه الأنفس .
أم للإنسان ما تمنى	أللإنسان ما أحب واشتهى ؟ .

مجمل المعنى

١ ـ أخبرونا عن الأصنام التي عبدتموها ، والأحجار التي قدستموها ، كاللات والعزى ومناة ، هل أوحين إليكم شيئاً كما أوحى الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وهل لها مثل هذا الملكوت ، ومثل الملائكة المكرمين الذين رآهم محمد بعينه وقلبه ؟ هذه الأصنام التي أنثتموها وجعلتموها بنات الله ، لماذا كانت إناثاً ؟ ومن الذي اختاركم لهذا الحكم ، فتجعلوا هذا ذكراً وذاك أنثى ؟ ومن الذي وكلكم فى القسمة ، فتجعلوا الذكور من نصيبكم ، والإناث من نصيب الله ، فتزعموا أيضاً أن الملائكة بنات الله ؟ وإذا كنتم تقولون : إن هناك إلهاً معبوداً وأنتم العبيد ، فكيف تختصون أنفسكم بأنفع الصنفين ، ما أظلمكم ! إن قسمتكم جائرة عن شريعة العدل ، مائلة عن الحق ، إذ جعلتم لله ما تستنكفون منه .

٢ ـ ليس لهذه الأصنام التي تعبدونها من حقيقة ، وما هى إلا أوثان نحتموها وسميتموها آلهة ، فليس لها من معنى الألوهية شىء ، وليس لها من الدلالات التي تدل عليها الأسماء معنى ، وليس لكم من حجة أو برهان على اتخاذ هذه الأصنام آلهة ، ولا على تلك الأسماء التى أطلقتموها

عليها أنتم وآباؤكم ، — فلم يتبع المشركون فى عبادة الأصنام ، وجعلها بنات الله ، وتسميتها بأسماء الإناث ، غير الظن الفاسد، وتوهم أنهم على حق ،وإنما هم على الباطل ، وليس لهم فى هذا الزعم حجة أو دليل، وإنما هم يميلون مع هوى أنفسهم ، ويسيرون على حسب شهواتهم ، ولقد جاءتهم البينات والهدى من عند الله ، في كتابه الذى أنزله على نبيه ، بأن هذه الأصنام ليست آلهة فكذبوه ، واتبعوا هواهم ، ومالوا مع ما سولت لهم به أنفسهم .

٣ — هل يتحقق للإنسان كل ما يتمناه ويشتهيه من الأمور المعيبة ؟ وهل يكون له ما يحب ويرضى مما زينت له نفسه الأمارة بالسوء ، ومما يخوض فيه من الأباطيل ، كاتخاذه الأصنام آلهة،وقوله : إنها بنات الله ،واقتراحه النبوة فى شخص يختاره هو ، ومن شفاعة الأصنام له في الآخرة ؟ كلا ! إن أمور الدنيا والآخرة جميعها من شأن الله وحده ، يدبر الأمر ، ويفعل ما يشاء ، لا كما يتمنى هذا أو ذاك .

(٣)

من الآية ٢٦ إلى الآية ٣٢ من سورة النجم

وَكَمْ
مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ
اللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢٦) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
الْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا
وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١)
الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ
الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي
بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ (٣٢)

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وكم من ملك	وكثير من الملائكة .
ليسمون الملائكة تسمية الأنثى	ليعتقدون أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله .
إن يتبعون إلا الظن	لا يتبعون فيما يقولون غير الظن ، ويتوهمون أنهم على الحق .
تولى عن ذكرنا	أعرض عمن انصرف عن القرآن .
ذلك مبلغهم من العلم	ذلك قدر عقولهم ، ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة .
ضل عن سبيله	حاد عن دينه .
كبائر الإثم	الذنوب الكبيرة ، كالشرك بالله ،عقوق الوالدين
والفواحش	الذنوب الشنيعة الفاحشة ، كالزنى والخمر .
اللمم	صغائر الذنوب .
أنشأكم من الأرض	خلق أباكم آدم من الطين .
أجنة	جمع جنين : وهو الولد ما دام في بطن أمه .
فلا تزكوا أنفسكم	فلا تمدحوها ولا تثنوا عليها .
اتقى	أخلص العمل ، واجتنب ما يغضب الله .

مجمل المعنى

١ — الله سبحانه وتعالى مالك الملك ، لا شريك له ، واحد متصرف فيه وفق مشيئته وإرادته ، فلا تجرى الأمور حسب التمني أو الهوى ، فهؤلاء الملائكة وهم أهل القربى والكرامة عند الله ، الذين يعبدونه ويسبحونه ، كثير منهم لا يقبل الله شفاعتهم ، ولا ينفع بها أحداً من خلقه ، وقليل منهم يأذن الله لهم فى الشفاعة، لمن يشاء أن يشفعوا له من عبيده، إذا كان يراهم أهلا للشفاعة ، ويرضاهم لها ؛ فهذا حال الملائكة فى الشفاعة ، فما ظنكم بالأصنام ؟ كيف يقبل الله أن يكونوا شفعاء يوم القيامة لمن يعبدونهم من دونه ؟

٢ — إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ، ولا يعتقدون بالبعث والحساب ، والجنة والنار ، ليقولون ما تشتهي نفوسهم من الضلال والباطل ، من غير حجة أو برهان ، فهم يقولون : إن الملائكة بنات الله ، ويزعمون أنه صاهر الجن ، وأن بينه وبينهم نسبا ، فوُلد له بنات ، هن الملائكة ، دون أن يكون لهم دليل على ما يقولون ، فلا الله أحضرهم يوم خلق الملائكة ، ولا أطلعهم على غيبه ، ولا أنزل في كتابه ، ولا قال نبيه ، ما ينبئ أن الملائكة إناث ، وليس لهم علم أصلا بما يقولون ، وإنما هم يجرون وراء الأوهام والظنون الفاسدة التي مصدرها هوى النفس ، وتقليد آبائهم من غير نظر أو تفكير ، وإن الإنسان لا يعرف الحق ، ولا يهتدى إلى حقيقة الأشياء ، بالظن والتوهم ، وإنما يعرفه بالعلم واليقين ، والتأمل والتفكير ، والظن لا يعتدّ به بجانب الحق.

٣ — فإذا كان هذا حال هؤلاء المشركين ، وأنهم لا يقولون ما يقولون عن علم ويقين ، ولا يبحثون عن الحق ، وإنما يتبعون الظن ويُقلدون آباءهم في

الشرك تقليداً أعمى ، فلا تكترث بهم ، ولا تحرص على هداهم ، وأعرض عمن انصرف عن ذكرنا ، وتولى عن تفهم ما أنزلنا عليك من القرآن ، لأنهم يريدون أن تكون اعتقاداتهم على حسب ما يظنون ، ولا يريدون اتباع الحق الذي جاء به القرآن ، بل يريدون الحياة الدنيا ، والانهماك فى شهواتها ، ولا يعتقدون أن وراء هذه الحياة حياة أخرى ؛ هذا مبلغ علمهم ، لا يحاولون أن يتجاوزوه إلى تدبر القرآن وتفهمه ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض وتأمله ؛ فلا تتوقع منهم أن يستمعوا إليك ، أو يؤمنوا بك ، أو يهتدوا بهدى ما أنزل الله عليك ، لأن الله هو أعلم منك بمن أصر على الكفر ، وضل عن الهدى لفساد فطرته ، فيبقيه على ضلاله ، وبمن هو مستعد للاهتداء وقبول الحق فيهديه ، فلا تتعب نفسك فيمن يعارضك ويجادلك ، ودع لله شأنهم ، فإنه خالق السموات والأرض ، وهو مالكهما ، وصاحب الأمر فيهما ، وهو الذى يجزي المسيئين بسبب ما عملوا من الضلال ، وما ارتكبوا من السيئات ، ويجزى الذين اهتدوا وآمنوا بالحسنى والمثوبة على أعمالهم الصالحة .

٤ — ولم يجعل الله — وسعت رحمته — الإيمان وحده غاية تستتبع استحقاق العبد لثواب الله ، لكنه بيّن أن الإيمان يستلزم العمل الصالح ، فالمؤمن إيماناً كاملا لا يسيء أبداً ، ولهذا إذا ذكر الذين آمنوا ، أتبع ذكرهم بالعمل الصالح ، وذكر سبحانه وتعالى صفة المؤمنين الذين يجزيهم بالجزاء الحسن ، بأنهم مع العمل الصالح يجتنبون الآثام الكثيرة ، كالشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، وعلى الأخص الذنوب الفاحشة منها ، كالزنى

والقتل وشرب الخمر ، أما الذنوب الصغيرة ، فإن الله يغفرها لعباده المؤمنين الصالحين ، الذين يجتنبون الكبائر ، والله واسع المغفرة ، عظيم الصفح عن المؤمنين ، يغفر لهم ما شاء من الذنوب ، لأنه هو أعلم بحال عباده ، والمطلع على أحوالهم ، فإنه هو الذي خلقهم من عناصر الأرض ، وهو الذي كوّنهم في بطون أمهاتهم ، وأتم خلقهم ؛ وإذا كان الله تعالى هو الذي خلق العباد وأنشأهم ، من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، فهو أعلم بالمهتدين والضالين ، والمؤمنين والعاصين منهم ، فلا يصح أن تمدحوا أنفسكم ، بالإعلان عما تأتون من الأعمال الصالحة ، لأن هذا يدفعكم إلى الغرور ، ويحجب عنكم نور الحق ، هذا إلى أنكم لا تقدرون الأعمال وتضعونها في موضعها من الصلاح والفساد ، لكن الله هو الذي يقدر ذلك ، وهو أعلم منكم بالتقيّ المؤمن الذي عمل صالحاً فاستحق الثواب ، وبالكافر والفاجر الذي عمل سيئاً فاستحق العقاب ، وأعلم بما تنطوي عليه نفوسكم من حب الخير لذاته ، ومن التظاهر به للشهرة والرياء .

(٤)

من الآية ٣٣ من سورة النجم ، إلى آخر السورة

أفرءيت الذى

تولى ﴿٣٣﴾ وأعطى قليلا وأكدى ﴿٣٤﴾ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴿٣٥﴾
أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ﴿٣٦﴾ وإبرهيم الذى وفى ﴿٣٧﴾ ألا تزر وازرة
وزر أخرى ﴿٣٨﴾ وأن ليس للإنسن إلا ما سعى ﴿٣٩﴾ وأن سعيه
سوف يرى ﴿٤٠﴾ ثم يجزيه الجزاء الأوفى ﴿٤١﴾ وأن إلى ربك المنتهى ﴿٤٢﴾
وأنه هو أضحك وأبكى ﴿٤٣﴾ وأنه هو أمات وأحيا ﴿٤٤﴾ وأنه خلق
الزوجين الذكر والأنثى ﴿٤٥﴾ من نطفة إذا تمنى ﴿٤٦﴾ وأن عليه
النشأة الأخرى ﴿٤٧﴾ وأنه هو أغنى وأقنى ﴿٤٨﴾ وأنه هو رب الشعرى ﴿٤٩﴾
وأنه أهلك عادا الأولى ﴿٥٠﴾ وثمودا فما أبقى ﴿٥١﴾ وقوم نوح من قبل
إنهم كانوا هم أظلم وأطغى ﴿٥٢﴾ والمؤتفكة أهوى ﴿٥٣﴾ فغشيها
ما غشى ﴿٥٤﴾ فبأى ءالاء ربك تتمارى ﴿٥٥﴾ هذا نذير من النذر
الأولى ﴿٥٦﴾ أزفت الآزفة ﴿٥٧﴾ ليس لها من دون الله كاشفة ﴿٥٨﴾ أفمن هذا

الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تولى	أعرض عن اتباع الحق والثبات عليه .
وأكدى	ومنع ما كان يعطيه .
صحف موسى	التوراة .
وفّى	أتم الوفاء بما عاهد الله عليه .
أن لا تزر وازرة وزر أخرى	أن لا تعاقب نفس آثمة على ذنب نفس أخرى ، وأنْ هنا : هى أنّ المخففة ، فلا تنصب المضارع .
ما سعى	سعيه وعمله .
يُجزاه	يجزى على عمله .
إلى ربك المنتهى	إليه ينتهي الخلق ، ويرجعون إليه .
أضحك وأبكى	خلق قوتى الضحك والبكاء في الإنسان .
أمات وأحيا	لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره .
نطفة	ماء الرجل — المنى .
تمنى	توجد في الرحم .
النشأة الأخرى	إعادة الحياة في الأجسام بعد الموت فى الآخرة .
أقنى	أعطاه ما يقتنى من نفائس الأشياء .
الشعرى	نجم كانت خزاعة تعبده .
والمؤتفكة أهوى	وخسف وأسقط مدائن قوم لوط ، التي ائتفكت وانقلبت بهم .

الألفاظ	شرحها
فغشاها ما غشى	فغطى هذه المدائن بما غطاها من الأحجار الهائلة .
فبأي آلاء ربك تتمارى	فبأي نعم ربك تشك ؟ .
هذا نذير من النذر الأولى	هذا الذي ذكرناه مما أهلكنا به الأمم السابقة ، نذير لكم من النذر التي حلت بمن كان قبلكم .
أزفت الآزفة	قربت الساعة .
ليس لها من دون الله كاشفة	ليس لها غير الله مانع من عذابها ، ومنج من نارها .
سامدون	لاهون معرضون ، شامخون متكبرون .

الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى

هو الوليد بن المغيرة ، كان قد اتبع رسول الله وأسلم ، فجاء إليه بعض المشركين وَعَيَّره ، وقال له : لم تركت دين الأشياخ من آبائك إلى دين محمد، فأقررت بذلك أنهم فى الضلال ، ورضيت أن يكونوا في النار ، كما يقول كتاب محمد ؟ قال : إني اتبعت دين محمد خوفاً من عذاب الله ، فقال له: يابن المغيرة ،أنا أضمن لك أن أتحمل عنك عذاب النار الذي يخوفك به دين محمد ، إن رجعت عن الإسلام إلى دين آبائك ، وأعطيتنى شيئاً من مالك ، فأعطاه الوليد بعض المال ، ورجع إلى الشرك ، ثم منع ما كان يعطيه الرجل من المال بخلا وشحاً ، فنزل : « أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى » .

مجمل المعنى

١ — أوَ قد علمت يا محمد الذي أعرض عن الإسلام، ورجع إلى الكفر ، وأعطى قليلا من المال لمن ضمن له أن يتحمل عنه عذاب النار ، واشترى منه مكانه في جهنم، ثم غلب عليه الشحّ فمنع القليل الذي كان يعطيه، وأمسك عن إعطاء الرجل ثمن العذاب الذي ضمن له أن يتحمله عنه ؟ أليس هذا منه غاية الجهل والحماقة ؟ ألا يعلم أن كُلاًّ محاسب على عمله ، وأنه لا تتحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ؟ هل كان عند هذا الذى أعرض عن الإيمان ، ورجع إلى الشرك ، ثم منع ما كان يعطيه ، علمُ ما غاب عنه من أمر الآخرة ، التي من جملتها جوازأن يحمل صاحبه عنه العذاب يوم القيامة ، حتى يقبل ذلك ، ويسوغه له عقله وتفكيره ؟ فهو يرى أن العذاب في الآخرة على الشرك والضلال في الدنيا ، سلعة تباع وتشترى .

٢ — أولم تخبره صحف موسى — وهى التوراة — وإبراهيم الذي وفى بما عاهد الله عليه ، وصبر على ما امتحنه به ، وصدق في قوله وعمله ، فصبر على النار التي ألقى فيها، ونجاه الله منها، وعلى ذبح ولده إسماعيل ، وعمل بما أمر به ، وبلغ رسالات ربه، واحتمل ما احتمل من الاضطهاد والشدائد والابتلاء، بألا تزر وازرة وزر أخرى، وألا يؤاخذ أحد بذنب غيره ، ليتخلص المذنب من العقاب ، ويعاقب غير المذنب ، وأن كل إنسان محاسب على عمله، وموفى جزاءه بمقدار ما عمل، فلا ينقص شيئاً من ثوابه، ولا يزاد عليه شيء من العقاب ، وأن مناط كل ثواب هو الإيمان والعمل الصالح ، ومناط كل عذاب هو الكفر والعمل السيء ، وأن عمل كل

إنسان سيعرض في صحيفته يوم القيامة ، فيلقى الثواب على الخير ، ويلقى العقاب على الشر ، ويُجزى الجزاء الكامل على الخير وعلى الشر ، لا ظلم اليوم ، وأن منتهى الخلق ومصيرهم إلى الله يوم القيامة ، وأن إليه المرجع والمآب ، هذا كله ثابت في صحف أبيهم إبراهيم ، وفي صحف موسى التي يقرؤها عليهم اليهود ، فكيف تباع الذنوب بالمال ؟ وكيف يشترى عذاب الآخرة بعرض الدنيا ؟ إن هذا لأمر عُجاب !

٣ — أو لم يقرأوا في هذه الصحف المنزلة ، أن النفع والضرر ، والإضحاك والإبكاء ، والسرور والحزن ، وكل ما يصيب الإنسان من خير وشر ، هو من عند الله ، وأنه هو الذي يميت من انقضى أجله ، ويحيي من يولد ويعيش على ظهر الأرض ، وأنه خلق الصنفين : الذكر والأنثى ، اللذين كان منهما النسل والعمران ، من نطفة حقيرة ، وقطرة ماء صغيرة ، تصب فى الأرحام بإذنه ، وتتكون علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً يكسوها لحما ، ثم تنبعث فيها الحياة بقدرته وإرادته ؟ فكيف يشركون بعبادة من هذه قدرته ، الأصنام والأوثان ؟

٤ — أو لم يقرأوا ويعلموا من صحف إبراهيم وموسى ، أن إلى الله جل شأنه النشأة الأخرى ، وإحياء الناس بعد الموت ، فهو الذي يحيي ويميت ، ويميت ويحيي ؟ وأنه ضامن الأرزاق ، ومعطي الحقوق والحظوظ والأقوات ؟ وأنه هو الذي يعطي المال للأغنياء ، والنفائس الغالية لمن يحرزونها ويقتنونها ، ويكسبون بها عزًّا ووجاهة ؟ وأنه خالق هذا الكون كله ، وموجد كوكب الشعرى اللامع الوضاء ، الذي تعبده خُزاعة ، وتزعم أنه شريك لله ، مع

أنه أحد مخلوقاته الضئيلة إلى جانب قدرته العظيمة ، وإن كان هؤلاء المفتونون يرون الشعرى فى نظرهم باهرة عجيبة ؟

٥ — أو لم يعلموا و ينبأوا بأن قوتهم التي يغالبونك ويخاصمونك بها ، واهنة ضعيفة أمام قوة الله ، الذي أهلك عاداً القديمة ، التي كانت تقول تحدياً وتجبراً : مَنْ أشد منا قوة ؟ وأنه أهلك ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ، ويزعمون أنهم في مَنعة من قوة الله ، ولم يبق أحداً منهم ؟ وأنه أهلك من قبلهم قوم نوح ، لأنهم كانوا أكثر ظلماً ، وأشد طغياناً من ثمود ، فكانوا يؤذون نوحاً ، ويضربونه حتى لا يكون به حراك ، وينفرون الناس منه ، ويضعون أطراف أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا دعوته ، ويغطون وجوههم بثيابهم حتى لا يروا وجهه ؟ كما أهلك قوم لوط بتدمير قريتهم ، فائتفكت قراهم عليهم ، وانقلبت بهم ، فأصبح عاليها سافلها ، وغطاها شيء عظيم من الصخور والأحجار المنضودة ؟

٦ — فبأي نعم الله أيها المفكر الجاحد لفضل الله عليك ، تمارى وتتشكك فيما أولاك من النعم ، وفيما منع عنك من النقم ؟ وفى أيِّ ألْوٍ من هذه الآلاء والنعم تتجادل وتتشكك ، حتى تشك في ربوبيته ووحدانيته ؟

٧ — يا محمد ، هذا الذي بيناه وذكرناه من أنباء المشركين في الأمم السابقة ، إنذار من بعض الإنذارات التي امتحنا بها السابقين من الأمم الأولى ، لعلها تكون عظة لمن عارضوك وكذبوك .

٨ — لقد اقتربت الساعة ، ودنا يوم القيامة ، وليس هناك قدرة تكشف عنها ، وتظهرها فى وقتها ، غير قدرة الله القادرة ، وسيحاسَب فيها كلٌّ على عمله ،

ويلقى فيها جزاءه .

٩ — أفمن هذا القرآن الذي أنزلناه على محمد بشيراً ونذيراً، تعجبون وتنكرون، وتضحكون سخرية واستهزاء ، ولا تبكون ندماً وخوفاً ، وأنتم غافلون لاهون لاعبون ، تصرفون الناس عن الاستماع إليه ؟ قال أبو هريرة : لما نزلت آيات : «أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون »، بكى أهل الصُّفَّة ، حتى جرت دموعهم على خدودهم ، فلما سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم بكاءهم ، بكى معهم ، فبكينا لبكائه ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يلج النار مَن بكى من خشية الله ، ولا يدخل الجنة مصرٌ على معصية الله » .

١٠ — فارجعوا إلى الحق أيها المشركون ، ودعوا ما أنتم فيه من الضلال ، واسجدوا لله لا للأصنام ، وآمنوا بكتابه ، واعبدوه وحده ، ولا تشركوا به شيئاً .

سُورَةُ ٱلقَمَر

نزلت بمكة ماعدا الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ فإنها نزلت بالمدينة

وآياتها ٥٥ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اقتربت الساعة وانشق القمر	قد قرب قيام الساعة ، وانشقاق الكواكب واضطرابها ، ومنها القمر ، إيذاناً بانتهاء الدنيا .
آية	معجزة .
يعرضوا	يكذبوا بها .
سحر مستمر	سحر قوي شديد .
واتبعوا أهواءهم	واتبعوا ضلالاتهم وأباطيلهم ، وما تهوى أنفسهم .
وكل أمر مُستقر	وكل شيء إلى نهاية يستقر عندها ، ويثبت الخير بأهل الخير ، والشر بأهل الشر .
ولقد جاءهم من الأنباء	ولقد جاء هؤلاء الكفار من أنباء الأمم السابقة .
ما فيه مُزدجر	ما يزجرهم عن الكفر ، ويمنعهم من الضلال لو قبلوه .
حكمة بالغة	القرآن حكمة بالغة .
فما تغني النذر	فما تنفع الآيات والأنباء والنذر لقوم لا يؤمنون بها ، وهم معرضون عنها .

الألفاظ	شرحها
فتولّ عنهم	فأعرض عنهم ، فإن الإنذار لا ينفع معهم .
يومَ يدعو الداعي	وانتظر يوم ينفخ إسرافيل فى الصُّور ، ليبعث الناس من القبور .
شيء نُكُر	عذاب شديد .
خشّعا أبصارهم	في حال كونهم قوماً أذلاء خاضعين ، يبدو ذلك في نظراتهم المنخفضة المنكسرة .
الأجداث	القبور .
كأنهم جراد منتشر	كأنهم في كثرتهم وعدم انتظام سيرهم واضطرابهم جراد منتشر .
مهطعين	مسرعين ، مادين أعناقهم في ذلة .
يومٌ عسر	هذا يوم شديد ، لما يشاهدون فيه من أمارات الهول .
قبلهم	قبل قريش .
مجنون	هو مصاب بالجنون
وازدجر	وزجروه ونهروه بالسب والتخويف .
أني مغلوب	غلبني قومي على أمري ، فلم يسمعوا مني ، ويئست من تلبيتهم دعوتي .
فانتصر	فانتقم لي منهم بعذاب ترسله إليهم .
ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر	فاستجبنا دعاءه ، وأمرناه باتخاذ السفينة ، وأمطرناهم مطراً كثيراً متدفقاً .
وفجرنا الأرض عيوناً	جعلنا من الأرض عيوناً متفجرة .

الألفاظ	شرحها
فالتقى الماء على أمر قد قدر	فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر إهلاكهم ، بإغراقهم الذي قدره الله عليهم .
على ذات ألواح	على سفينة ذات ألواح .
دسر	مسامير وحبال مشدودة بها .
تجرى بأعيننا	تجرى في الماء في حفظنا ورعايتنا .
جزاء لمن كان كفر	جزاء لنوح الذي كفر به قومه .
آية	عظة وعبرة .
مدّكر	متذكر متعظ خائف .
يسرنا القرآن للذكر	سهلناه للحفظ .

مجمل المعنى

١ — إن قيام الساعة قريب ، وإنها إذا قامت ، تضطرب السماء ، ويختل سير الكواكب ، وتختلف دورتها ، فيصدم بعضها بعضاً ، وتمور السماء َموراً ، وتسير الجبال سيراً ، ويتصادم القمر بكوكب آخر وهو في دورته حول الأرض ، فينشق ويتصدع ، والمشركون سادرون في غيهم ، لاهون في ضلالهم ، وكلما جاءتهم آية ، أو ظهرت لهم معجزة ، تدل على أن وحدانية الله حقّ ، وأن نبوة محمد حقّ ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، أعرضوا عنها ، وصموا آذانهم عن استماعها ، وقالوا : هذا الذي جاء به محمد من الآيات نوع من السحر المحكم المتقن ، يريد به أن يحوّلنا عما كان يعبد آباؤنا ، وأصروا على تكذيبه ، واتبعوا أهواءهم وضلالهم ، وما تميل إليه نفوسهم ، وكل أمر من أمور الناس ، وحال من أحوال

الدنيا ، له غاية ينتهى عندها ، ويستقر فيها ، وحقيقة يعرف بها ، فيظهر الخير لأهل الخير ، والشر لأهل الشر ، وتتكشف الأمور عن خذلان أو نصر في الدنيا ، وشقاوة أو سعادة في الآخرة ؛ وعبر الله بالماضي في انشقاق القمر ، لتأكيد حدوثه ، على غرار ما جرت عليه الأساليب العربية .

٢ — ولقد جاء المشركين من أنباء الأمم الخالية فى القرآن ، ومن أنواع العذاب الذي وقع عليهم لتكذيبهم أنبياءهم ،ما فيه زجر وردع لهم عن تكذيبك ، والاستمرار فى الشرك ، لو أنهم قبلوه وتدبروه ؛ ولقد نزل إليهم القرآن يحوى الحكمة ، والموعظة الحسنة ، وفيه نهاية الصواب ، لكن العناد والضلال ركبهم ، فما وعته قلوبهم ، وما تدبرته عقولهم ، وما أصاخت إليه أسماعهم ، وما تنفع العظات ، ولا تغني الإنذارات ، ولا يجدي التنبيه والوعيد ، في قوم مصرين على الضلال ،متمسكين بالشرك ، لا يبغون به بديلا ؛ فأعرض عنهم ، ولا تكترث بكفرهم ، ولا تحاول أن تميلهم إلى جانب الحق ، بما تلقيه عليهم من البينات والنذر ، وانتظرهم يوم ينفخ إسرافيل فى الصور ، فينهضون من القبور ، ويدعوهم إلى أمر شديد ، وموقف رهيب تنكره النفوس ، لأنها لم تعهد مثله ، وهو يوم القيامة ، ويساقون إلى الموقف فيذهبون خاشعة أبصارهم ، خافضة نظراتهم من الذل والخوف ، ينظرون من طرف خفي ، لا يجرؤون من شدة الهول على التحديق أو إدامة النظر ، وقد اضطربوا في سيرهم ، وتخبطوا فى طريقهم ، ومضوا متكاثرين متراحمين

متخبطين كالجراد المنتشر ، مقبلين نحو الداعي ، مسرعين إليه فى ذلة وخضوع ، مادين أعناقهم تجاهه ؛ حينئذ يعرف كلٌّ مصيره ، ويتبين عاقبة أمره : يتبين المشركون ما هم فيه من شدة وهول ، فيقولون : هذايوم صعب شديد . أما المؤمنون فلا يتكلمون ، لأنهم غير خائفين من ربهم ، مطمئنون إلى حسن ثواب الآخرة .

٣ — ولقد سبقت قريشاً أمم كذبت رسلها ، وخذلت أنبياءها ، وكان من أقدم هذه الأمم المكذبة قوم نوح نبي الله وعبده ورسوله ، دعاهم إلى عبادة الله وطاعته ، فأعرضوا عنه ، بل جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكباراً ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل رموه بالجنون ، وزجروه وكذبوه وسبوه ، وهددوه بالقتل ؛ فدعا عليهم نوح ، وقال : يا رب ، إن قومي غلبوني على أمري ، وليس لي طاقة بهم ، أو قدرة عليهم ، فانتصرلي عليهم ، وانتقم لي منهم بقوتك وسلطانك ، يا أكرم الأكرمين

٤ — فاستجاب الله دعاءه ، وأمره باتخاذ السفينة ، وفتح عليهم ميازيب السماء ، فصبت ماء منهمراً متدفقاً ، وجعل من الأرض عيوناً متدفقة ، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على تحقيق أمر إغراقهم وإهلاكهم الذي قدره الله عليهم ، وأراده لهم فى الأزل ، ونجّى الله نوحاً والذين آمنوا معه ، فحمله على سفينة ذات ألواح مشدودة بحبال ، موثقة بمسامير ، وجرت وسط الطوفان المتلاطم المضطرب فى موج كالجبال ، محفوظة بعناية الله ، محروسة برعايته

وقوته ، جزاء حسناً لنوح الذي كفر به قومه وآذوه .

٥ — ولقد تركنا السفينة وآثار الهلاك الذي أوقعناه بمن كذبوا نوحاً ، آية للأمم التي جاءت بعدهم ، وعظة وعبرة لهم ، فهل من متعظ ومتذكر لما فعلنا بهم ، فلا يفعلوا فعلهم ؟ فكيف كان وقع عذابي عليهم شديداً ، وانتقامي منهم قاسياً . وإنذاراتي لهم هائلة قوية محققة ؟

٦ — ولقد يسرنا القرآن للحفظ والفهم بوضوح معانيه ، وسمو أسلوبه ، حتى يتدبره الذين يريدون أن يهتدوا ، ويتعظوا بما فيه من آيات ، فهل من متعظ ومتذكر بها ؟ وهل من قارئ يقرؤه ، وحافظ يحفظه ؟ ليستفيد بهديه ، ويتبع ما فيه ؟ .

(٢)

من الآية ١٨ إلى الآية ٣٢ من سورة القمر

كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر (١٨) إنا أرسلنا
عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر (١٩) تنزع الناس كأنهم
أعجاز نخل منقعر (٢٠) فكيف كان عذابي ونذر (٢١) ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر (٢٢) كذبت ثمود بالنذر (٢٣) فقالوا أبشرا منا
وحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلل وسعر (٢٤) أءلقي الذكر عليه من بيننا
بل هو كذاب أشر (٢٥) سيعلمون غدا من الكذاب الأشر (٢٦) إنا
مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر (٢٧) ونبئهم أن الماء
قسمة بينهم كل شرب محتضر (٢٨) فنادوا صاحبهم فتعاطى
فعقر (٢٩) فكيف كان عذابي ونذر (٣٠) إنا أرسلنا عليهم صيحة وحدة
فكانوا كهشيم المحتظر (٣١) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (٣٢)

الألفاظ	شرحها
فكيف كان عذابي ونذر	فكيف كان وقعُ عذابي عليهم وإنذاراتي لهم ؟.
ريحاً صرصراً	ريحاً شديدة البرد ، شديدة الصوت .
في يوم نحس مستمر	في يوم دائم الشؤم والشرّ .
تنزع الناس	تقلعهم من مواضعهم .
كأنهم أعجاز نخل منقعر	فتتركهم متمددين ، كأنهم أصول نخل منقلع ، ممتد على الأرض .
سعر	جنون.
أؤلقي عليه الذكر من بيننا	أؤنزل عليه الوحي دوننا ؟ .
أشرٌ	بَطر متكبر .
فتنة لهم	امتحاناً وابتلاء لهم .
فارتقبهم واصطبر	فراقبهم وانتظرهم ، وتبصر ما هم صانعون، واصبر على أذاهم .
قسمة بينهم	مقسوم بينهم .
كل شرب محتضر	كل نصيب من الماء يحضرلشربه صاحبه ، في اليوم الذي خصص له .
فتعاطى	فاجترأ على تعاطي الأمر الخطير ، وارتكابه من غير اكتراث .
صيحة واحدة	صاعقة واحدة .
فكانوا كهشيم المحتظر	فهلكوا وصاروا كالشجر اليابس المتهشم ، الذي يجمعه الغنام ليقيم منه حظيرة لغنمه .

مجمل المعنى

١ — كذبت قبيلة عاد نبيها هوداً عليه السلام، فهل سمعتم ما حصل لها؟ أو فاسمعوا كيف وقع عذابي عليهم شديداً ، وانتقامي منهم قاسياً وإنذاراتي قوية محققة هائلة؟ إنا سلطنا عليهم ريحاً قوية عاصفة شديدة البرودة، في وقت كثير الشؤم شديد النحس ، وقد استمر العذاب ، ولم يستطيعوا أن يثبتوا أمامه ، أو يقفوا في طريقه ، برغم قوتهم وتماسكهم، واعتصامهم بالكهوف والحفر ، فكانت تنزعهم من أماكنهم اللاصقين بها ، الثابتين فيها ، فترفعهم فى جو السماء، ثم تهوى بهم إلى الأرض، فتدق أعناقهم، وتدك أجسامهم ، وتلقيهم على الأرض طوالا متمددين ضخام الجثث ، كأنهم أصول نخل منقلع من مغرسه ، ذهبت فروعه ، وطاحت رؤسه ، وسقط على الأرض ممتداً ، فهل سمعتم كيف كان بطشي شديداً ، وانتقامي عظيما ، وإنذاراتي لهم واقعة محققة ؟ ولقد سهلنا القرآن للحفظ والفهم ، لتتعظوا به ، وتتذكروا ما فيه من الآيات ، فهل منكم من متعظ ومتذكر ، وراجع عن الضلال إلى الحق، قبل أن يحل بكم العذاب ، كما حل بعاد ؟

٢ — ولقد أرسلنا صالحاً إلى قبيلة ثمود ، فأنذرهم عذاب الله، إن ظلوا على الشرك والضلال ، فكذبت بالآيات والإنذارات التي أنذرهم صالح إياها ، واستكبروا أن يطيعوه ، وأبوا أن يتبعوه ، وقالوا مستهزئين به : أنتبع فرداً واحداً من جنسنا ، وبشراً مثلنا ، يأكل مما نأكل ، ويعمل كما نعمل ، وليس من الجن أو الملائكة ؟ ولماذا نزل عليه الوحي دوننا، وهو ليس أفضل منا ؟ إننا لا نتبعه على دينه الذي جاءنا به ، ونترك ديننا الذي يقول عنه : إنه ضلال خارج عن الحق ، وإنه ليؤدى بنا إلى عذاب النيران المستعرة ،

بل لو اتبعنا صالحاً على دينه، لكنا إذن فى ضلال ، وبعد عن الصواب ، وتنكب عن الحق ، وجنون مطبق ، ومعزل عن مقتضى العقل ؟ هل اختصه الله بالوحي دوننا ، وأنزله عليه من بيننا ، وفينا من هو أكثر منه مالا ، وأحسن حالا ؟ ليس الأمر كما يدعي ، وليس هو نبياً أوحي إليه كما يزعم ، وإنما هو كذاب ، قد استغنى فأراد أن يتعاظم ، ويلتمس الرياسة علينا من غير استحقاق ، ويفرض علينا اتباعه ، سيرون العذاب الذي يحل بهم قريباً في الدنيا ، والذي ينتظرهم في الآخرة ، وحينئذ يعلمون : أي الفريقين هو الكذاب الأشر ؟ أصالح الذي يدعوهم إلى عبادة الله واتباع الحق ، ام ثمود التي تعبد الأصنام ، وتمعن فى الضلال ؟

٣ — إننا قد أرسلنا الناقة آية للدلالة على صدق صالح ، واختباراً وابتلاء لهم ، فإذا خالفوا ما أمرهم الله في شأنها ، حل بهم عذابه ، وأمر ناصالحا أن ينظر ماذا يفعلون ، وأن يصبر على أذاهم واستهزائهم ، وألا يعجل حتى يأتى أمر الله فيهم ، فأخبرهم أن ماء البئر قسمة بين الناقة وبينهم ، فالناقة لها شرب يوم ، ولثمود شرب يوم ، ومقدار الماء في يوم الناقة هو للناقة وحدها ، لا يجوز لثمود أن ترده ، وفى يوم ثمود هو لثمود ، لا تأتي الناقة إليه ، ولا تتجه نحوه ، فكل ماء البئر يحضر صاحبه ويشربه فى يومه دون غيره .

٤ — استمروا على ذلك من قسمة الماء بينهم وبين الناقة ، حتى ملوا طريقة القسمة ، ولم يصبروا عليها ، وعزموا على عقر الناقة وقتلها ، والتخلص منها ، فاستدعوا صاحبهم الذي جر عليهم الشؤم والشقاء ، وهو قُدار ابن سالف ، اتفقوا معه على أن يخلصهم منها ، فاجترأ على فَعلته الكبيرة ،

وخالف أمر الله فيها ، وعقرها بيده ؛ أعرفت كيف كان عقابي لهم شديداً ، وإنذاراتي لهم قاسية عنيفة ؟ إنا أرسلنا عليهم صيحة عقاب ، وصاعقة عذاب ، أهلكتهم ، وتركت أجسامهم خاوية جافة يابسة ؛ كالهشيم المتفتت من الشجر والشوك والعشب ، الذي يجمعه صاحب الغنم ، ليتخذ منه حظيرة لها ، تمنع عنها الوحوش الضارية وبرد الريح .

٥ — ولقد يسرنا القرآن للحفظ والفهم ، ليتعظ به من يتعظ ، ويتذكر من يتذكر ، ويعتبر من يعتبر ، بما أصاب المكذبين المتحدين لآيات الله ، فهل من متعظ ومعتبر من قريش ؟

(٣)

من الآية ٣٣ إلى الآية ٤٢ من سورة القمر

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ
أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ
فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ
مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠) وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا
فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢)

الألفاظ	شرحها
حاصباً	ريحاً شديدة ، ترميهم بالحصى أو الحجارة .
إلا آل لوط	إلا من اتبع لوطا على دينه .
بسحر	السحَر : ما بين طلوع الفجر وآخر الليل، حينما يختلط سواد الليل ببياض النهار .

الألفاظ	شرحها
نعمة من عندنا	إنعاماً منا على لوط ومن اتبعه من أهله .
شكر	آمن بالله وأطاعه ، وشكر له نعماءه .
بطشتنا	عذابنا الشديد .
فتماروا بالنذر	فشكّوا وجادلوا فيما أنذرهم إياه لوط ، ولم يصدقوه .
راودوه عن ضيفه	أرادوا منه أن يمكنهم من الملائكة الذين نزلوا عنده في هيئة الضيوف ، طلباً للفاحشة .
فطمسنا أعينهم	فأعميناهم عن رؤيتهم .
ولقد صبحهم بكرة	ولقد وقع بهم في الصباح .
عذاب مستقر	عذاب ثابت تستقر آثاره ، وتبقى إلى يوم القيامة .
النذر	موسى وهارون ، وما أرسل الله مع موسى من الآيات .
بآياتنا	بمعجزاتنا الدالة على توحيدنا ، ونبوة موسى .
عزيز مقتدر	غالب قادر على ما أراد .

مجمل المعنى

١ — وقوم لوط من الأمم التي كذبت برسولها ، واستهزأت به ، وبما هددهم به من إنذارات ، وما خوفهم به من عقاب الله ، فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفة ترميهم بالحصباء ، وتلقي عليهم حجارة من سجيل ، فقلبت بيوتهم ، وجعلت عاليها سافلها ، فأهلكهم الله ، ولم ينج من هذا العذاب إلا من اتبعه من أهله ، فأمرهم الله أن يتركوا القرية ليلا قبل أن يسلط عليها العذاب ، فخرج بهم وقت السحر آخر الليل ، قبل انبلاج الصباح ، لإنعامه عليهم بالنجاة ، ورضائه عنهم ، لأنهم آمنوا بربهم ، وأطاعوا نبيهم ،

ومثل هذا الجزاء الحسن ، يجزى الله كل من آمن وعمل صالحاً ، وشكر الله على نعمه .

٢ — ولقد حذَّرهم لوط أخذنا لهم بالعذاب الشديد ، فتشككوا فى نذرنا ، وتجادلوا فى تحذيراتنا ، وكذبوا بها ، وأوغلوا فى الضلال ، وتمادوا فى الفجور ، وجاهروا بالفحش ، وطلبوا أن يفعلوا فعلتّهم القبيحة بالملائكة الذين نزلوا ضيوفاً على لوط ، واقتحموا عليهم الباب ، فأعميناهم عنهم ، وطمسنا على أعينهم ، وحجبنا عنهم رؤيتّهم ، فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً ، وقلنا لهم على ألسنة الملائكة : ذوقوا عذابى الشديد ، وإنذاراتى لكم بالهلاك ؛ وفى الصباح الباكر ، نزل بهم العذاب والهلاك المستقر الثابت فيهم ، ولن يفارقهم حتى يُفضى بهم إلى عذاب النار يوم القيامة ، فذوقوا أيها المجرمون عذابى الشديد ، وإنذاراتى لكم بالهلاك .

٣ — ولقد سهلنا القرآن يا محمد لقومك ، فأنزلناه بلغتهم ، وضمنّاه أنواع المواعظ والعبر ، وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد ، ويسرنا عليهم حفظه وفهمه ، ليتعظ به من يتعظ ، ويعتبر به من يعتبر ، فهل منهم من يتعظ أو يعتبر ؟

٤ — ولقد جاءت فرعون وقومه إنذارات وآيات ، وخوّفناهم كثيراً عذاب الله ، فما آمنوا وما اتعظوا ، وكذبوا بكل الآيات والمعجزات التى جاءهم بها موسى : من العصا ، واليد . والسنين . والطمس ، والطوفان ، والجراد والقمّل ، والضفادع ، والدم ، فبطشنا بهم بطشاً شديداً ، وأخذناهم بذنوبهم أخذاً عنيفاً ، وما ظنك بأخذ إله عزيز لا يغالَب ، مقتدر على فعل ما يريد ، لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ؟

(٤)

من الآية ٤٣ من سورة القمر إلى آخر السورة

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم
بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ
الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ
فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا
مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ
بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ
فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أكفاركم خير من أولئكم	ليس كفار قريش خيراً من كفار الأمم الحالية ، الذين أُهلكوا بكفرهم .
أم لكم براءة فى الزبر	أم لكم فى الكتب المنزلة على أنبيائنا ما يدل على أنكم مُعفون من العذاب على كفركم .
نحن جميع منتصر	نحن قوم أقوياء لا ينتصر علينا منتصر ، ولا يغلبنا غالب .
سيهزم الجمع	ستتمزق قوة قريش ، ويتفرق جمعهم ، ويهزمون .
ويولون الدبر	ويفرون على أعقابهم منهزمين .
الساعة موعدهم	يوم القيامة موعد عذابهم الشديد .
أدهى وأمرّ	أشد هولا ، وأمر مذاقاً من عذاب الدنيا ،
فى ضلال وسُعُر	فى ضلال وكفر فى الدنيا ، وفى عذاب النيران المستعرة فى الآخرة .
مَس سَقر	عذاب جهنم .
بقدر	بتقدير لأحواله وزمنه .
واحدة	مرة واحدة .
كلمح بالبصر	ينفذ أمرى بها ، أسرع من لمح البصر .
أشياعكم	أشباهكم فى الكفر من الأمم الحالية .
فى الزبر	مكتوب فى الكتب المنزلة .
مستطر	مسطور مكتوب .

الألفاظ	شرحها
نَهر	أنهار .
فى مقعد صدق	فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم .
عند مليك مقتدر	فى كرامة ونعيم إله مالك للدنيا والآخرة ، قادر ، لا شىء إلا وهو تحت ملكه وقدرته .

مجمل المعنى

١ — ليس الكفار من قومك يا محمد خيراً من كفار الأمم الخالية ، التى تصصنا عليك أنباءهم ، وأهلكناهم بكفرهم ، وأخذناهم بذنوبهم ، بل هم مثلهم أو شر منهم ، وقد علموا ما لحق بهم من العذاب المستأصل ، لمَّا كذبوا رسلهم ، وسيحيق بهم من التنكيل والعقاب ما حاق بهذه الأمم ؛ أم لقريش فى الكتب الإلهية التى أنزلها الله على رسله براءة من عذاب الله ، فلهذا يكفرون ويعصون ، معتمدين على أنهم لا يسألون عما يفعلون ؛ لقد أجمعت كل الكتب السماوية على وبال الكفار ؛ أم هم معجبون بأنفسهم ، معتزون بقوتهم ، فيحسبون أن لا غالب يغلبهم ، ولا قوة فوق قوتهم ، فيقولون : نحن قوم أمرنا مجتمع ، وجماعتنا قوية ، ويدنا واحدة ، منتصرون بقوتنا ، ممتنعون على من يريد بنا شرًّا .

٢ — ثق يا محمد بأن جمعهم مهزوم لا محالة ، وأن قوتهم منحلة ، وشملهم متفرق ، وقد حقق الله وعد نبيه ، فهزمهم وبدد شملهم يوم بدر ، وارتدوا على أعقابهم ، وولوا الأدبار منهزمين .

٣ — بل يوم القيامة موعد عذابهم ، والعذاب الذى ينتظرهم فيها أشد عليهم

من كل هزيمة وقتال ، فعذاب الساعة أشد وأفظع وأمرّ مذاقاً من عذاب الدنيا .

٤ — إن الكفار فى ضلال وتخبط وحيرة فى الدنيا ، ونيران ملتّهبة متسعرة فى الآخرة ؛ يوم يسحبون فى النار على وجوههم ، يقال لهم توبيخاً وتشفياً : ذوقوا عذاب النار ، واكتووا بلهب جهنم ، وقاسوا حرها وألمها .

٥ — إننا خلقنا كل شىء مقدراً مُحكماً مرتباً ، على حسب ما اقتضته الحكمة ، فلم نخلق شيئاً عَبثاً ، وكل شىء يحدث فى هذا الكون بعلمنا وإرادتنا ، ومخلوق بأمرنا ، وما أمرنا إلا كلمة واحدة من حرفين ، هى قولنا للشىء : كن ، فلا بدأن يكون على الفور فى أسرع وقت ، كلمح البصر أو هو أقرب .

٦ — ولقد أهلكنا أمثالكم ، ومن كان على شاكلتكم فى الكفر والعصيان ، من الأمم الخالية ، وسنهلككم كما أهلكناهم ، فهل منكم من يتعظ ويتذكر ، ويرجع إلى الله فيؤمن به ، ويقلع عن الضلال والمعاصى ، قبل أن يفوت الوقت ، فيندم ولاتَ حينَ مَندم ؟

٧ — وكل شىء فعله المشركون والعصاة ، ثابت مسجل عليهم إلى يوم القيامة ، مفصّل فى دواوين الحفظة الذين يحصون على الناس أعمالهم ، وكل صغير وكبير من هذه الأعمال ، مسطر عليهم فى اللوح المحفوظ .

٨ — إن المتقين للكفر والمعاصى ، المؤمنين بالله واليوم الآخر ، لَمقُامهم فى جنات عظيمة الشأن ، ونعيم لا يحيط به وصف ، يتمتعون بأنهار تجرى من تحتهم ، وحياة طيبة رغيدة ، وهم فى كرامة الله وضيافته فى جنته ، ينعمون بمكان مرضى ، ومجلس ماكثين فيه أبداً ، لا لغو فيه ولا تأثيم ، مقربين عند إله هو مالك الملك قادر ، ليس من شىء فى الدنيا والآخرة إلا وهو تحت تصرفه وسلطانه ، وخاضع لأمره وقدرته .

سورة الرّحمٰن

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٧٨ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ٢٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْاٰنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْاِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ اَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَاَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْاَرْضَ وَضَعَهَا لِلْاَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْاَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِاَيِّ اٰلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ فَبِاَيِّ اٰلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِاَيِّ اٰلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِاَيِّ اٰلَاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
علمه البيان	علمه أن يبين ويعبر عما فى ضميره ، وأن يفهم بيان غيره .
بحسبان	بجريان بحساب مقدر فى بروجهما ومنازلهما ، بحيث تنتظم بذلك أمور الكون ومنافع الناس .
والنجم والشجر	النجم : النبات الذى يطلع ولا ساق له ، والشجر : ما له ساق .
يسجدان	ينقادان بطبعهما لما يريد الله ، انقياد الساجدين من المكلفين إرادة وطوعاً .
والسماء رفعها	خلقها مرفوعة محلا ورتبة ، ودلالة على كبرياء شأنه ، وعظم ملكوته وسلطانه .
ووضع الميزان	شرع العدل ، وأمر به ، وبيّن الحلال والحرام .

الألفاظ	شرحها
ألاَّ تطغوا فى الميزان	لئلا تجوروا وتتجاوزوا العدل وأحكام الشرع .
وأقيموا الوزن بالقسط	وقوّموا وزنكم بالعدل، وزنوا بالقسطاس المستقيم.
ولا تخسروا الميزان	ولا تنقصوا الميزان .
وضعها للأنام	مهّدها وذللها لمنافع الخلق ، من إنس وجن وحيوان وطير .
الأكمام	جمع كِمّ ، وهى أوعية الطلع وغطاء النَّوْر والثمر ، وكل ما يغطَّى من ليفه وسعفه .
العصف	علف البهائم من التبن وورق الشجر .
والريحان	مَطعم الناس .
آلاء	نعم ، مفردها : أَلْو .
صلصال	طين يابس ، يسمع له صلصلة .
مارج	ساطع مختلف الألوان .
رب المشرقين ورب المغربين	رب مشرقى الشمس فى الصيف والشتاء ، ورب مغربيها ، ورب ما بينهما .
مرج البحرين	أرسل البحر الملح والماء العذب ، يلتقيان ويتماسان من أطرافهما ، حيث يصب أحدهما فى الآخر .
برزخ	حاجز .
لا يبغيان	لا يبغى أحدهما على الآخر .
اللؤلؤ والمرجان	اللؤلؤ : الدر ، والمرجان : حجر كريم أحمر اللون .
الجوار	السفن .
كالأعلام	كالجبال الشاهقة .

الألفاظ	شرحها
عليها	على الأرض التى سبق ذكرها فى قوله: « والأرض وضعها للأنام » .
وجه ربك	ذاته .
ذو الجلال والإكرام	الذى عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده .

شجاعة المؤمن

لما نزل القرآن ، كان المسلمون يتلونه سرًّا ، خشية أن يسمعهم كفار قريش فيؤذوهم ، فقال الصحابة : إن قريشاً ما سمعت هذا القرآن يُجهَر به قط ، وربما دخل الإيمان فى قلوبهم إذا سمعوه ، فمَن رجلٌ يجترئ على أن يُسمعهم إياه ؟ فقال ابن مسعود : أنا ، فقالوا : إنا نخشى عليك أن يضربوك إذا سمعوك ، وإنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه ، فأبى ، ثم قام عند مقام إبراهيم فى بيت الله الحرام ، فقرأ بصوت مرتفع : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الرحمنُ علم القرآن » ، ثم تمادى رافعاً صوته فى قراءة السورة ، وقريش فى أنديتها تسمع ، فتأملوا وقالوا : ما يقول ابن أم عبد ؟ ، قالوا : هو يقول الذى يزعم محمد أنه أنزل عليه ، فقاموا إليه وضربوه ، حتى أدموْا وجهه .

ما يقول هذا بشر

وجاء قيس بن عاصم المِنْقَرِى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا محمد، اتل على شيئاً مما أنزل عليك، فتلا عليه سورة «الرحمن»، فقال: أعِدْها، فأعادها ثلاثاً؛ فقال: والله إن له لطُلاوةً، وإن عليه لحلاوة، وأسفله مُغدِق، وأعلاه مُثمر، وما يقول هذا بشر، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله.

فبأى آلاء ربكما تكذبان

ذكرت هذه الآية الكريمة فى سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة، ثمان منها عقب آيات عَدَّدت عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، وسبع منها عقب آيات ذَكرت فيها النار وشدائدها، وثمان فى وصف الجنتين وأهلهما من المتقين السابقين، وثمان أخرى بعدها فى وصف جنتين دونهما لأصحاب اليمين؛ والخطاب فى كل منها موجه إلى الثقلين من الجن والإنس؛ والمقصود منها: شدة الإنكار على الكفار، إذ أن المنعم بهذه الآلاء مستحق للشكر والإيمان، لا الكفر والطغيان؛ وفائدة تكرار هذه الآية: التجرد عند استماع كل طائفة من النعم للاتعاظ، واستئناف التيقظ، وتنبيه النفوس، لكيلا تستولى عليها الغفلة؛ وقد عدد الله فى هذه السورة نعماءه، وذكّر خلقه آلاءه، وهدد العصاة المذنبين، وبشر الطائعين المتقين، وأتبع كُلاًّ من هذا وذاك بهذه الآية، للتنبيه على النعم، والتخويف من النقم، كما تقول لمن تتابع عليه إحسانك وهو يكفره ويجحده: ألم تكن فقيراً فأغنيتك؟ أفتنكر هذا؟

ألم تكن خاملا فأشدت بذكرك ؟ أفتنكر هذا ؟ والتكرير فى مثل هذا حسن، لأنه يطرد الغفلة ، ويؤكد الحجة ؛ وكأن الله تعالى يقول : نعم الله يحصيها لكم ، ويعددها عليكم ، فبأى نعمة من هذه النعم تكذبون بها ، وتكفرونها أيها الثقلان؟ وقد قدمنا ذلك عن هذه الآيات ، حتّى لا نعود إلى ذكره عند تكرارها فى السورة .

مجمل المعنى

١ — لما بيّن الله سبحانه وتعالى فى السورة السابقة ما نزل بالأمم السالفة من ضروب النعم ، وذكر بعد كل ضرب منها أن الله قد يسر للناس تذكر القرآن والاتعاظ به ، ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك ، عدّد فى هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام من فنون النعم الدينية والدنيوية ، وأنكر عليهم إثر كل نعمة منها إخلالهم بواجب شكرها ، فذكر أن الله جل شأنه متصف بالرحمة الواسعة ، ومن آثار رحمته بعباده أنه أنزل لهم القرآن على نبيه محمد بلسانهم ، ليتيسر لهم حفظه وفهمه ، وعلمهم ما فيه من قصص وأحكام ، وآداب وعقائد ، وشرائع ونظم ، ورسم لهم به طريق السعادة فى الدنيا والآخرة ، وأنه أنشأ الإنسان وسوى خلقه فى أحسن تقويم، ووهب له القدرة على الإدراك والتفكير ، فسخر لمنفعته الحيوان والنبات والجماد ، وأنه علمه كيف يُبين عما فى نفسه ، ويعبر عن ضميره بلغات مختلفة ، وألسنة متعددة ، وكيف يفهم ما يقول غيره ، وما يدور فى ضميره ؛ هذه نعم الله على الإنسان يحسها فى نفسه ، وقلبه وعقله ، ولسانه وبيانه ، ولا يستطيع أن ينكرها أو يرتاب فيها .

٢ — وهذه الشمس وهذا القمر ،خلقهما الله، وهما من أجل نعمه على الإنسان، فهما يجريان فى أفلاكهما ، جرياً مقدراً معلوماً ، ويدوران بحساب دقيق منتظم فى بروجهما ومنازلهما ، فيحدث الليل والنهار ، والصيف والشتاء ، والخريف والربيع ، ويعرف الناس حساب السنين والشهور والأيام ، فتنتظم بذلك أمورهم ، وتجرى أعمالهم وفق منافعهم ومطالبهم ؛ هاتان نعمتان عُلويتان ظاهرتان ، يراهما الإنسان بعينى رأسه كل يوم يمر ، ويحس منافعهما وآثارهما فى حياته ومعيشته،لا سبيل إلى أن يجحدهما ، أو يتعامى عنهما .

٣ — وهذا النبات الذى ينجم من الأرض زرعاً أخضر لا ساق له ، وهذا الشجر الذى يقوم على ساقه ، وتمتد فروعه وأغصانه ، مَن الذى أخرج هذا وله ساق ، وأخرج ذاك ولا ساق له ؟ ومن الذى جعلهما ينقادان لأمر الله فيهما ، فيظهران من تربة الأرض وينموان ، ويُخرجان الحب والثمر ، ويخضعان لإرادة الله بطبعهما ، كما ينقاد المكلفون العقلاء لإرادته هو طوعاً ؟ من الذى أودع قوة الإنبات والنمو ، والإيراق والإثمار فيهما غير الله ؟ هل من سبيل إلى تجاهل ذلك وإنكاره ؟ .

٤ — ومَن غير الله خلق السماء مرفوعة ، وسوّاها خلقاً ، وجعلها متنزل قضائه وأحكامه ، وجعلها مظهراً لكبرياء شأنه ، وعظم سلطانه ؟ ومَن غير الله وضع فى الأرض ميزان العدل ، وأمر أن يأخذ كل ذى حق حقه ، وأن يقوم التعامل والمبادلة بينهم على أساس التسوية والإنصاف ، لكيلا يستبد بكم الطمع والطغيان ، فتطغوا فى الميزان ، وتتجاوزوا حد الإنصاف

فى الأخذ والعطاء، والبيع والشراء ؟ فعليكم أن تقوّموا وزنكم بالعدل، ولا تُخسروا الوزن ، ولا تنقصوا منه شيئاً ؛ وفى بيان أن الله هو الذى وضع ميزان العدل فى الأحكام والأقوال والمعاملات ، وأنه نهى عن الطغيان والخسران الذى هو تطفيف ونقصان ، وفى أمره الصريح بإقامة الوزن بالعدل ، وفى جعله ذلك من النعم التى يمتن بها على عباده ، ما يدل على أثر العدل، وتوفية الحقوق، وحسن التعامل، فى سعادة الأفراد والجماعات، والأمم والهيئات ، وإن أول انهيار للمجتمع، أن يختل فيه ميزان العدل، وتضيع فيه الحقوق ، ويسوء التعامل .

٥ — والرحمن جل شأنه هو الذى وضع الأرض،وفرشها ومهدها ، وذللها وعبّدها لمصلحة الخلق أجمعين ، فجعل فيها برًّا وبحراً ، وسهلا وجبلا ، وجدباً وخصباً، وحرًّا وبرداً ، لتتعدد المنافع ، ويؤتى كل كائن ما يلائم طبعه ، ويوائم مزاجه فيها ، وجعل من شجرها فاكهة يتفكه الإنسان بها ، ويتمتع بمذاقها ، ولونها ورائحتها، وجعل فيها النخل كثيرَ المنافع، بأكمامه التى تغطى طلعه،وبسعفه وليفه؛ وفى ثمره غذاء حلو،يستطيع الإنسان أن يعيش عليه حياته ، وفى الأرض الزرع الذى يخرج الحب ذا العلف الذى يطعمه الحيوان: كالشعير والتبن والورق،ويخرج الريحانَ الذى يطعمه الإنسان: كالبقل والبرّ ؛ فهل يمارى مُمار ، أو يجادل مجادل ، بأن ذلك كله من خلق الله ، ومن نعمه على عباده ؟ فبأية نعمة من هذه النعم التى تفضل عليكم بها الله، تكذبون وتكفرون يا معشر الجن والإنس؟وإذا كان الجن والإنس لما يأت ذكرهما ، فإن ذكر « الأنام » يدل عليهما ، وسيأتى ذكرهما صريحاً عند قوله : « أيها الثقلان » .

٦ — والرحمن جل شأنه هو الذى وهب للإنسان نعمة الوجود ، ومنحه الحياة والحركة والتفكير ، وأنشأه من مادة صامتة لا جياة فيها : من طين صلصال جافّ كالفخار ، وخلق الجن من لهب النار الساطع الصافى ، فكانت قدرته وأمره وإرادته هى الباعث فى الوجود ، مهما كان أصل الموجود ؛ فبقدرته هو خلق الإنسان العاقل المفكر من صلصال كالفخار ، وبقدرته هو خلق الجان القادر على التشكل والظهور والاختفاء من مارج من نار؟ هذا ما أفاض الله عليكما أيها الإنس والجن فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم ، فبأى نعم الله عليكما تكفران وتكذبان ؟

٧ — والرحمن هو رب مشرقى الشمس ورب مغربيها صيفاً وشتاء ، شاءت قدرته أن يطيل الليل ويقصر النهار ، وأن يُطيل النهار ويقصر الليل، ولكم فى كلّ منفعة ، وله فى خلقه هذا حكمة ، ولكم فى ذلك فوائد لا تحصى من اختلاف الفصول ، وحدوث ما يناسب وقت كل فصل من زرع وإخصاب ، ورحلة وطير وسمك ، وغير ذلك مما فيه للناس منافع ، فبأى نعمة من نعم الله تكذبان وتكفران أيها الثقلان؟

٨ — ومن نعم الله ومظاهر قدرته ، ولطفه بخلقه، أنه أرسل البحر الملح، والنهر العذب ، فالتقيا بلا فاصل بينهما عند مصب النهر ، حيث يصب أحدهما فى الآخر، وبينهما برزخ حاجز ، فلا يبغى أحدهما على الآخر، فيظل البحر ملحاً ويظل النهر عذباً ، لأن منفعة الناس أن يظل ذاك ملحاً ، وهذا عذباً ، فبأى نعم الله هذه تكذبان، وهى غير قابلة للتكذيب؟ ولقد شاءت قدرة الله العجيبة أن يكون ملتقى البحر ين بيئة طيبة لتكوين اللؤلؤ

والمرجان ، وهما حجران كريمان ، يتخذهما الإنسان حلية وزينة ، فكأنهما يخرجان من البحرين ، فبأى نعمة من نعم الله تكذبان ؟

٩ — ومن نعمه — وسعت رحمته — أن جعل البحر مجرى للسفن ، التى تسير رافعة شراعها فى البحار كالجبال الشامخة ، والأطواد الباذخة ، فتمخر عُبابها ، وتنقل الناس والسلع بين أطرا ف المعمورة ، فبأى نعمة من نعم الله هذه تكذبان ؟

١٠— هذا الذى خلقه الله لكم من أرض وفاكهة ، ونخل وحب وريحان ، وبحار ولؤلؤ ومرجان، وسفن كالأعلام ، وكل مابه تتمتعون، ثم تجحدون وتكفرون ، ذاهب فان ، ولا يبقى غير ذات الله الذى عنده الجلال والإكرام لعباده المخلصين، فبأى نعمة من نعم الله تكذبان أيها الثقلان ؟.

(٢)

من الآية ٢٩ إلى الآية ٤٥ من سورة الرحمن

يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾
سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ
ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً
كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ
وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ
فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ
جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسأله من فى السموات والأرض	يحتاج إليه كل من السموات والأرض .
كل يوم هو فى شأن .	كل وقت يمر ، يحدث أموراً ، ويجدد أحوالا ، وينشىء خلقاً .
سنفرغ لكم	سنتوفر على النكاية بكم ، والانتقام منكم .
الثقلان	الإنس والجن المثقلان بالذنوب ، لجحودهما نعم الله .
إن استطعتم	إن قدرتم .
أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا	أن تخرجوا من ملكوتى ، وتهربوا من قضائى ، وترحلوا خارج أقطار السموات والأرض ، فافعلوا لتخلصوا أنفسكم من عقابى .
إلا بسلطان	إلاّ بقوة وقهر ، وأنتم عاجزون لا سلطان لكم .
شُواظ	لهب أخضر مختلط بالدخان .
ونحاس فلا تنتصران	وذوب النحاس يصب على رؤوسكما، فلا تتخلصان من هذا العذاب الأليم .
انشقت السماء	انصدعت يوم القيامة .
فكانت وردة كالدهان	فصارت كلون الورد الأحمر ، وصفاء الدهان ، وهو الزيت .
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه	فيوم القيامة لا يسأل عن ذنبه أحد للعلم ، لأن الذنوب كلها مكتوبة معلومة .

الألفاظ	شرحها
بسيماهم	بعلاماتهم التى يعرفون بها ، قيل : هى سواد الوجه ، وزرقة العين .
فيؤخذ بالنواصى والأقدام	فيأخذهم الملائكة من شعورهم وأرجلهم ، ويقذفون بهم فى النار ؛ والناصية : الشعر فى مقدم الرأس .
بينها	بين جهنم .
وبين حميم آن	وبين شراب حار ، قد بلغ أقصى درجات الحرارة.

مجمل المعنى

١ — كل من فى السموات والأرض محتاجون إلى الله ، يدعونه أن يهب لهم الخير ، ويمنع عنهم الشر ، ويطلبون منه أن يفتح لهم طريق السعادة ، ويصدهم عن الضلال ، من إنس وجن وملائكة ، وما نعلم وما لا نعلم من خلقه ؛ وهو جل شأنه يحدث أموراً ويجدد أحوالا فى كل وقت، وكل لحظة من لحظات الدنيا والآخرة ، فهو — له الدوام — يُحيى ويميت ، ويُعطى ويمنع ، ويغفر ذنباً ، ويفرّج كرباً ، ويرفع قوماً ، ويضع آخرين ، فالزمان والحياة والمخلوقات تتغير وتتجدد ، وتأتى وتذهب ، ولا يبقى غير وجه الله الكريم ، فبأى نعم الله تكذبان وتكفران أيها الجن والإنس ؟

قصة الملك والغلام الأسود

يحكى أن بعض الأمراء سأل وزيره عن قوله تعالى : « كل يوم هو فى شأن »، فلم يعرف معناها ، ولم يحضره الجواب عنها ، واستمهله إلى الغد، فأمهله، وانصرف الوزير من حضرة الملك كئيباً حزيناً إلى منزله ، يفكر فى معنى ما سأله عنه الأمير ، فلما رآه غلام له أسود على هذه الحال ، قال له : يا مولاى، أخبرنى عما أصابك، لعل الله يوفقنى فى أن أساعدك عليه ، فأخبره، فقال له : اذهب بى إلى الأمير ، فإنى أفسرها له ، فذهب به ، وأعلم الملك بأمر الغلام ، فأحضره بين يديه ، وسأله عما سأل عنه الوزير ، فقال الغلام : أيها الملك ، شأنه أن يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، ويخرج الحىّ من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ويشفى سقيماً ، ويسقم سليماً ، ويبلي معافى ، ويعافي مبتلى ، ويُعز ذليلا ، ويذل عزيزاً ، ويُفقر غنيًّا، ويُغنى فقيراً، فقال له الأمير : فرّجت عنى فرج الله عنك ؛ وأمر أن تخلع عليه ثياب الوزارة ، فقال له الغلام : وهذا الذى حدث من شأن الله تعالى .

٢ — لكم أيها العصاة الكافرون بنعمة الله ، المنكرون بوحدانيته وآلائه ، من الإنس والجن ، الذين أثقلت كواهلهم ذنوبهم، وجحدوا نعم الله عليهم — لكم يوم تحاسبون فيه على أعمالكم ، وتعاقبون فيه على ذنوبكم ، هذا اليوم هو يوم القيامة ، الذى ستتوفر فيه على النكاية بكم ، والانتقام منكم ، وسنتجرد لحسابكم على كل ما فعلتم، بعد انقضاء الدنيا ، وحينئذ لا يبقى فى الآخرة إلا شأن واحد ، هو إقامة الميزان ، ومجازاة كلٍّ على ما فعل ، وسؤاله عن سبب كفره بنعمة الله ، وتكذيبه لآلاء ربه؛ وهذه

الآية صريحة فى أن الجن كالإنس مكلفون مأمورون ، مثابون معاقبون ، فيهم المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي ، هؤلاء كهؤلاء ، وقد جاءت آية : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » ، والأربع عشرة آية التالية لها ، متحدية الكفار والعصاة من الإنس والجن ، مهددة لهم ، وذكرت فيها النار وشدائدها ، وقانا الله عذابها .

٣ — يا معشر الجن والإنس ، أنتم فى قبضتى ، وتحت سلطانى ، أنفذ فيكم قضائى ، وأسلط عليكم بلائى ، ولن تستطيعوا أن تخرجوا من ملكى ، أو تهربُوا من سمائى وأرضى ، وأتحداكم أن تفعلوا ، ولن تفعلوا لأنكم عبيد مقهورون ، وضعفاء عاجزون ، ولن تفروا من قدر الله ، ولن تخرجوا من ملكوت الله إلا بقوة وسلطان ، والقوة والسلطان لله وحده ، فاخضعوا لمشيئته ، وكونوا فى طاعته ، فهذا أمثل بالمخلوق العاجز ، والعبد الضعيف ، وإذا كان الله هو القادر لا قادر غيره ، والمنعم لا منعم سواه ، فبأى نعمه كفرتما ، وبأى آلائه كذبتما ؟

٤ — أنتم لا تستطيعون أن تخرجوا مهما حاولتم من سماء الله وأرضه ، ولن تستطيعوا الفرار من الموت الذى هو ملاقيكم أينما كنتم ، ومن يوم الحساب الذى ينتظركم مهما أنكرتم ، وحينئذ تفتح لكم أبواب جهنم ، فيرسل عليكم أينما ذهبتم شواظها ، ولهبها الذى لا يُخفف من حرارته ، أو يلطف من قدرته ، دخان يتخلله ؛ كما يصب على رؤوسكم ذوب النحاس المنصهر ، لتذوقوا العذاب ألواناً ، وتقاسوه أشكالا ، وهناك أيضاً لا تستطيعان — مهما حاولتما — أن تتخلصا من عذاب الله ، ولا تنجوان بحال من هذا العذاب الأليم المقيم ،

وقد أنعم الله عليكما قبل أن يأتى يومكما ، فبين لكم عاقبة ما أنتما عليه من الكفر والمعاصى ، فبأى نعم الله كفرتما ، وبأى آلائه كذبتما ؟

٥ — فإذا انتهى أمر الدنيا ، وجاء يوم القيامة ، وتشققت السماء ، واختلت دورة الفلك ، فاضطربت الكواكب وتصدعت ، واستحالت نيرانا حامية ، حمراء صافية ، فيها حُمرة الورد وصفاء الدهان والزيت ، فما أشد الهول ! ! وما أعظم الخطب ! ! فبأى نعم الله الذى أنذركم وعيده ، وحذركم ناره ، تكفرون وتكذبون ؟

٦ — فإذا حدث هذا ، وقام الناس من قبورهم ، وسيقوا وسط هذا الهول إلى الحساب ، لا يسأل عن ذنبه أحد من الإنس والجن ، لأن المجرمين حين يبعثون يعرفون بسيماهم ، ولكل منهم علامة يتميز بها ، وله شارة تبين سَمته ومنزلته بين المجرمين ، فيتلقاهم الزبانية ، ويجذبونهم من أقدامهم وشعور رؤوسهم ، ويقذفون بهم فى أماكنهم التى أعدت لهم فى جهنم ، ويقولون لهم وهم يتناولونهم بهذا العنف والشدة والمهانة : انظروا ، هذه هى جهنم التى كان يكذب بها الكافرون ، وهذه نارها ، وذاك مكانكم فيها ، هو نار حامية ، وشراب حار فى منتهى الحرارة ، فيقضون أوقاتهم فيها ، يترددون بين نار تَلظى ، وشراب من حميم ، وصديد فى منتهى الحرارة يقطع أمعاءهم ؛ أليس تنبيه الله لكم إلى هذا المصير ، قبل أن تصلوا إليه ، وتقفوا فيه ، نعمة من الله عليكم ؛ فبأى نعم الله تكفرون ، وبأى آلائه تكذبون ؟

(٣)

من الآية ٤٦ من سورة الرحمن ، إلى آخر السورة

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا
مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ
عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ
وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ
حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ

فِى الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولمن خاف مقام ربه	ولمن خاف موقفه بين يدى ربه للحساب ، فترك المعاصى حياء منه .
أفنان	أغصان .
زوجان	صنفان .
بطائنها من إستبرق	مكسوة بالديباج الغليظ ، والحرير الثمين .
وجنى الجنتين دان	وما يجنى من ثمرهما قريب منهم ، يناله القائم والقاعد والمتكئ .
فيهن قاصرات الطرف	فى هذه الفرش نساء قصرن نظراتهن على أزواجهن ، فلا ينظرن لغيرهم .
لم يطمثهن	أبكار لم يدخل بهن أحد من قبل ، ولم يتزوجن غير أصحاب الجنة .
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان	ليس جزاء إحسان العبد بالإيمان والعمل الصالح فى الدنيا ، إلا إحسان الله إليه بنعيم الجنة فى الآخرة.

الألفاظ	شرحها
ومن دونهما جنتان	ولأصحاب اليمين جنتان غير جنتى السابقين المقربين.
مُدْهَامَّتان	شديدتا الخضرة ، ضاربتان إلى السواد .
نَضَّاختان	فوارتان بالماء لا تنقطعان .
خَيْرات حِسان	فاضلات الأخلاق ، حِسان الخَلْق .
حُور	جمع حوراء، وهى الشديدة سواد العين ، فى شدة بياض .
مقصورات فى الخيام	مصونات محبوسات فى الخيام ، لسن بالجوَّالات المتبذلات فى الطرق .
رفرف	وسائد .
وعبقريّ حسان	وطنافس وأثواب منقوشة مُوَشَّاة .
تبارك اسم ربك	تعالى اسمه الجليل ، الذى منه ما صُدِّرت به السورة ، وهو الرحمن المنبىء عن آلائه ونعمه .
ذى الجلال والاكرام	الذى عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده

مجمل المعنى

١ — ولكل من خاف الموقف بين يدى الله ، وَخشى مناقشة الحساب ، واستشعر الحياء منه يوم اللقاء، فآمن وعمل صالحاً ، واجتنب المعاصى من الجن والإنس — لكل من هؤلاء جنتان ، يتجدد فيهما نعيمه، ويشتد شوقه ، وتزداد رغبته ، ويتم تمتعه ، فى انتقاله بينهما ، وتردده عليهما ، لأن المُقام على حال واحدة ، ذاهب باللذة، باعث على الملل، فبأى نعمة من نعم الله كفرتم،وبأيها كذبتم ؟ هاتان الجنتان، قد جمع الله فيهما

من فنون الكرامة ، وألوان النعيم ، وضروب الأنس والراحة والسعادة لعباده المقربين ما جمع ؛ أشجارها كثيرة الأغصان الوريقة ، والظلال الوريفة ، والثمار الجنية ، وفى كل منهما عين تجرى فى جميع نواحيها ، وإلى حيث يشاؤون من منازلهم ومجالسهم ، جرياً سهلا ، بعذب زُلال ، وماء سلسبيل ، وشراب طهور ، وفيها من كل فاكهة نوعان ، نوع غض رطب لم يحن قطافه، ولم يستكمل نضجه، ونوع دنا قطافه، واستتم نضجه ، فهى دائمة الثمر ، كثيرة الجنى ، فاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ، فإذا تمّ قطاف الجنَى الناضج ، بدا نُضْجُ الفِجّ وأينع وتأرّج ، فتدلت به الأغصان، وتناولته اليدان، وهكذا دواليك ؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟

٢ — هؤلاء الذين اتقوا الوقوف بين يدى ربهم عاصين فى الآخرة، فأطاعوه فى الدنيا ، يقيمون فى الجنة بين عيونها الجارية، وأشجارها المورقة، آمنين مطمئنين ، متكئين على فرش نظيفة ، مكسوة بحرير الإستبرق الأبيض اللامع الثمين ، وقد تدلت الأغصان ، وتهدلت بالثمار الجنية ، حتى صارت قريبة من أيديهم، يقطعونها قاعدين أو مضطجعين؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان أيها الإنس والجان ؟

٣ — وقد أتم الله عليهم كل أنواع النعيم ، وأعد لهم فى دار الرضوان جميع ألوان السعادة ، فجعل لهم بين ظل ممدود ، وفاكهة كثيرة ، وفرش من حرير ، نساء من الحُور العين ، يَقْصُرن النظر عليهم ، ولا يشتغلن بغيرهم ، يُقبلن عليهم بقلوبهن وعيونهن ، أبكاراً لم يتزوجن بأحد غيرهم ، ولم يمسسهن إنس

قبلهم ولا جان؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟ وهن فى غاية الحسن والنضارة، صافيات البَشَرة ، حمر الوجنات كالياقوت، ناصعات البياض ، لوامع كالمرجان ، أو حبات الدرر ، أو اللؤلؤ المكنون ؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟

٤ — هذا الجزاء الحسن، والنعيم التام ، حق على الله لعباده المتقين ، وليس جزاء إحسان العبد فى الدنيا بالإيمان والطاعة والعمل الصالح ، إلا إحسان الرب إليه بالجنة، ومضاعفة ثوابه فى الآخرة؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان، أيها الثقلان ؟

٥ — وللمؤمنين من أصحاب اليمين جنتان، أقل درجة من جنتى المقرَّبين بالعبادة والطاعة ، والخوف من لقاء الله ، شجرهما أخضر ، ضارب إلى السواد لشدة خضرته ، وفى كل منهما عين فوّارة بالعذب الزلال ، والخمر الحلال ، وفيهما فاكهة ذات ألوان، وعلى الأخص النخل، فإنه ثمره فاكهة وغذاء، والرّمان، فإنه فاكهة ودواء، وبين هذا النعيم نساء خيِّرات فاضلات الأخلاق ، حسان الوجوه ، لم يتزوجن بأحد قبل أزواجهن من أصحاب الجنتين ، حور جميلات ، عيونهن حلوة ، شدة سواد فى صفاء بياض ، مستورات فى خيامهن، مقصورات فى حجالهن، غير متبذلات ، كالدرر المصونات ، يتمتع الطائعون بكل هذا ، متمددين على فرش مرفوعة ، موشاة بضروب الوشى الحسن ، متكئين على وسائد موضوعة ، مزينة بأحسن الزينات، وأبهى النقش ، فبأى آلاء ربكما تكذبان، يا معشر الإنس والجن ؟

٦ — تبارك اسم الله وتعالى ، وتقدست ذاته ، وارتفع عما لا يليق بشأنه الكريم ، من الأمور التى من جملتها جحود نعمائه الفائضة على عباده ، وإنكار آلائه التى عمت الأنام ، وهو صاحب الجلال والإكرام لعباده المخلصين .

إجمال بيان ، عن سورة الرحمن

أولا — من أول السورة إلى : « كل يوم هو فى شأن » ، فصّل الله الآلاء الدينية والدنيوية ، المستوجبة للإيمان والطاعة ، المؤديين إلى نعيم الجنة ، وهذه الآلاء داعية إلى الشكر ، والمثابرة على ما يؤدى إلى استدامتها وزيادتها .

وثانياً — عدد فيما بين قوله تعالى : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » ، وقوله : « يطوفون بينها وبين حميم آن » ، الأحوال الهائلة التى تقع يوم القيامة للكفار المكذبين بيوم الدين ، وهى من قبيل الآلاء والنعم ، لأن ذكرها فى الدنيا ، والتنبيه عليها ، داع إلى الارتداع والانزجار عن المعاصى والكفر ، وذلك إنعام وإحسان .

وثالثاً — عدد فى قوله تعالى : « ولمن خافَ مقام ربّه جنتان » ، إلى آخر السورة ، النعم السابغة على المتقين فى الآخرة ، وفنون الكرامات التى أعدها الله لهم فى الجنة .

ورابعاً — وصف الله جنتين للسابقين المقربين ، وجنتين أقل من الأوليين درجة ، لأصحاب اليمين ، وبيّن أن منازل الجنات مختلفة ، ونعيمها متفاوت ، والجزاء على قدر العمل .

سورة الواقعة

نزلت بمكة ، ماعدا الآيتين ٨١ ، ٨٢ فإنهما نزلتا بالمدينة ، وآياتها ٩٦ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآيه ٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾
إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً
مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾
وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ
مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن
مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وقعت الواقعة	قامت القيامة .
ليس لوقعتها كاذبة	ليس حين تقع الساعة نفس تكذب على الله، أو تكذّب بيوم القيامة .
خافضة رافعة	خفضت أقواماً إلى العذاب ، ورفعت أقواماً بالثواب .
رُجت الأرض رَجّاً	زُلزلت الأرض زلزالا شديداً ، وحُرّكت تحريكاً قويّاً ، حتى ينهدم كل شيء فوقها .
وبُسّت الجبال بَسّاً	وتفتتت أحجار الجبال ، فصارت كالدقيق .
هباء منبثّاً	غباراً منتشراً متفرقاً؛ والهباء : ما ينتشر من الذرات عند فتح نافذة يدخل منها شعاع الشمس .
أزواجاً ثلاثة	أصنافاً ثلاثة ، صنفان للجنة ، وصنف للنار .
فأصحاب الميمنة	هم الذين يؤتَوْن صحائفهم بأيمانهم يوم القيامة .
ما أصحاب الميمنة	ما هم ؟ وما صفاتهم ؟ وما أحوالهم فى عظم شأنهم يوم القيامة ؟
وأصحاب المشأمة	هم الذين يُؤْتون صحائفهم بشمالهم يوم القيامة، مأخوذة من الشؤمَى ، وهى اليد اليسرى .
ما أصحاب المشأمة	ما هم ؟ ما أسوأ حالهم ! وما أشد عذابهم !
والسابقون السابقون	والسابقون إلى الإيمان والطاعة والخيرات ، هم السابقون إلى منزلتهم فى الجنة .

الألفاظ	شرحها
المقربون	الذين رفعت درجاتهم ، وأعليت منازلهم فى الجنة .
ثلة من الأولين وقليل من الآخرين	من السابقين المقربين أمة وجماعة من الأمم الماضية، وجماعة قليلة من أمة محمد .
على سرر موضونة	مجالسهم على سرر مصفوفة، منسوجة بالذهب، وقوائمها من الدر والياقوت .
متقابلين	يجلسون ووجوههم متقابلة .
يطوف عليهم وِلدان مخلدون	يخدمهم غلمان أحداث يبقون على نضارتهم ، لا يتغيرون ولا يهرمون .
من معين	من عين جارية بالماء والخمر والعسل واللبن .
لا يُصَدَّعون عنها	لا يصيبهم الصداع من شربها ، كما يحدث لمن يشرب خمر الدنيا .
ولا يُنزفون	ولا يسكرون من شرابها .
عِين	جمع عيْناء : وهى واسعة العين فى حلاوة .
كأمثال اللؤلؤ المكنون	هن صافيات مصونات ، كاللؤلؤ الذى لم تمسه يد ، ولم يقع عليه غبار .
لغواً	كلاماً لغواً ، أى سقَطاً فاحشاً ، لا فائدة منه ، ولا خير فيه .
تأثيماً	كلاماً باطلا يؤدى إلى الإثم .
قيلا : سلاماً سلاماً	قولا جميلا مفيداً، هوتحيات طيبات ، يتبادله أهل الجنة .

مجمل المعنى

١ — اذكر يا محمد إذا وقعت الواقعة ، وجاء يوم القيامة ، ورأى المكذبون الضالون بأعينهم حقيقة ما كانوا ينكرونه فى الدنيا من قيام الساعة ، وبعث الناس للحساب ، لا تجد نفساً تكذّب وقوعها ، أو تمارى فى قيامها ، ومَن ذا الذى يستطيع أن يكذب على الله حينئذ والهول مُحْدق به؟ وقد انقلبت الأوضاع ، وتغيرت الموازين أمامه ، فقد خفضت قوماً بالنكال والعذاب ، ورفعت قوماً بالنعيم والثواب .

٢ — اذكر لهم يا محمد يوم الفزع الأكبر ، حينما يتأذن الله أن تنتهى الدنيا ، وتجىء الآخرة ، فتهتز الأرض اهتزازاً قويًّا ، وتتحرك تحركاً شديداً ، وتضطرب اضطراباً هائلا ، وينهدم ما فوقها من بناء وجبال ، وتتفتت حتى تصير كالدقيق الناعم الذى يُبَسّ ، أو كالسراب ، أو كالغبار الذى تذروه الرياح ، ويطير فى الهواء ، فيملؤه قتاماً منتشراً فى كل مكان منه ، « ويسألونك عن الجبال ، فقل: ينسفها ربى نسفاً » .

٣ — ويكون الناس حينئذ أصنافاً ثلاثة ، صنفان فى الجنة ، وصنف فى النار :

(ا) فالصنف الأول أصحاب اليمين من المؤمنين ، الذين تاب الله عليهم ، وكتب لهم جنة النعيم ، وآتاهم صحائفهم بأيمانهم ، يطالعون فيها ما وفقهم إليه ربهم ، فوقاهم عذاب الجحيم ، ما أحسن حالهم ، وأعظم شأنهم ، يوم يلقون ربهم !

(ب) والصنف الثانى أصحاب الشمال ، الذين غضب الله عليهم ، فأوتوا صحائفهم بشمائلهم ، ورأوا فيها قبح أعمالهم ، فأدركوا سوء مصيرهم ،

والعذاب الذى أعد لهم ، ما أسوأ حالهم ! وما أشد عذابهم ! إذ يساقون إلى جهنم وهم لها كارهون !

(ح) والصنف الثالث : السابقون فى الدنيا إلى الإيمان والطاعات عند ظهور الحق لهم ، المسارعون إلى عمل الخير ، وهم السابقون إلى منزلتهم فى الجنة ، المقربون من رضوان الله ، الذين رفعت درجاتهم ، وأعليت منازلهم فى جنات النعيم .

٤ – وعدد كثير من أمم الأولين ، من آدم إلى محمد ، وعدد ليس بالكثير من أمة محمد ، لأن الأمم الأولى منذ قامت الخليقة من عهد آدم إلى بعثة محمد ، أكثر عدداً من الأمم المتأخرة ، التى جاءت بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأن مرتبة السبق والقربى لا ينالها إلا القليل ممن رضى الله عنهم ، فأخلصوا لله إيمانهم ، وخافوا الوقوف أمام ربهم ، فالتزموا الطاعات ، واجتنبوا السيئات ؛ هؤلاء قد أعد الله لهم كل أنواع الكرامة وألوان النعيم ، فهم يجلسون على سُرُرٍ ضمّ بعضها إلى بعض ، ووشّيت بخيوط الذهب ، ورصّعت جوانبها بالدرر والياقوت ، ليستريحوا فوقها فى منظرها البهيج ، وشكلها الجميل ، متكئين عليها ، لايشغل بالهم من أمر حياتهم ومتاعهم وغبطتهم وسرورهم شاغل ؛ وقد اكتمل أنسهم ، وعلا البشر وجوههم ، واضطجعوا متقابلة وجوههم ، ليطالع كل منهم فى وجه أخيه نضرة النعيم ، وقد قام بخدمتهم وِلدان أحداث ، لا يأتى عليهم الزمن ، ولا تلحقهم شيخوخة أو هرم ، ولكنهم يبقون على حداثتهم ونضارتهم ، وبهجتهم ونشاطهم ، فيقدمون إليهم شراباً يحملونه فى أباريق ، ويصبّون ما فيها فى

كئوس يقدمونها إليهم ، وهذه الأباريق مملوءة من عيون وأنهار تجرى بالزلال العذب ، واللبن الطازج ، والعسل المصفى ، وخمر هو لذة للشاربين ، لا يصيبهم منها صداع كما يحدث من خمر الدنيا ، ولا تذهب بعقولهم ، أو يفقدون بعد تناولها رشدهم ، ولكنها تبعث الراحة والنشاط فى أبدانهم ، واللذة والبهجة فى قلوبهم ، ويقدمون إليهم ما يختارون من أنواع الفواكه ، وما يشاءون منه لوناً ورائحة وطعماً وحجماً ، فى أى زمن وفى أى حال ، ويسارعون إليهم بما يشتهون من لحم الطير ، وهو ألذ اللحوم وأشهاها للنفس ، وإذا كان لحم الطير أغلى وألذ من لحوم البقر والغنم ، فإنها تقدم إليهم إذا طلبوها ، وتلقى بين أيديهم إذا أرادوها ، ويقوم بإيناسهم وإمتاعهم نساء أُفْرِغن لهم خاصة ، فى قالب الحسن والجمال ، بيض الوجوه فى حسن ، واسعات العيون فى حلاوة ، طويلات الأهداب فى سواد ، فالبياض فى ألوانهن ، والحسن فى وجوههن ، والملاحة فى عيونهن ، والطول فى أهدابهن ، كأنهن فى الصفاء والنفاسة ونصاعة البياض ، اللؤلؤ المحفوظ من لمس اللامسين ، وعبث العابثين ، ولكن دون الوصول إليهن خرْط القتاد ، إلا للمقربين السابقين ؛ أعد الله لهم كل هذه الطيبات فى الجنات ، جزاء لهم على ما قدموا فى الدنيا من حسنات ، وما عملوا من أعمال صالحات ، لا يؤذى سمعهم فيها باطل من القول ، وفارغ من الحديث ، وسقط فاحش من الهُرَاء الذى يكون بين من فى الدنيا فى مجالسهم وعلى شرابهم ، ولا يحدث بينهم كلام يؤدى إلى مؤاخذة وإثم ، بل لا تسمع منهم إلا قولا عفًّا ليناً مفيداً ، إلا أن يسلم بعضهم على بعض سلاماً بعد سلام ، وتحيات مباركات .

(٢)

من الآية ٢٧ إلى الآية ٥٦ من سورة الواقعة

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سدر	السِّدر : شجر النبق .
مخضود	خُضد شوكه وقطع ، وَتَثَنَّتْ أغصانه بكثرة ما حمل من الثمار .
وطلح منضود	وشجر موز نضدت ثمراته ، وتراكب بعضها فوق بعض .
وظل ممدود	وظل دائم باق ، لا تنسخه الشمس .
وماء مسكوب	وماء جار لا ينقطع .
وفرُش مرفوعة	ونساء مرتفعات القدر فى الحسن والكمال ، وعبر عنهن بالفرش: لأنها محال لهن .
أنشأناهن إنشاء	خلقناهن خلقاً ، وأبدعناهن إبداعاً ، لأهل الجنة خاصة .
عُرُباً	العرُبُ : المتحبِّبات لأزواجهن بحسن الكلام ، ورقة الطبع ، وبشاشة الوجه .
أتراباً	فى سن واحدة .
ثُلّة من الأولين	جماعة وأمة من الأمم الماضية .
وثلة من الآخرين	وجماعة وأمة من الأمم المتأخرة .
وأصحاب الشمال	هم أهل النار الذين يأخذون صحائفهم بشمائلهم .
سموم	السموم : الريح الحارة التى تنفذ فى مسام البدن .
وحميم	وماء حار قد بلغ أقصى درجات الحرارة .

الألفاظ	شرحها
يحموم	دخان قاتم شديد السواد .
ولا كريم	وليس فيه خير أو حسن منظر .
كانوا قبل ذلك مترفين	كانوا فى الدنيا متنعمين بالحرام .
الحنث العظيم	الإثم الكبير وهو الشرك ، فيحلفون أن لا بعث ولا حساب .
ميقات يوم معلوم	وقت قيام الساعة .
المكذبون	المنكرون للبعث فى الآخرة ، ووحدانية الله .
لآكلون	بعد البعث والموقف ودخول جهنم تأكلون .
شجر من زقوم	الزقوم : شجر ينبت فى أصل الجحيم ، ثمره قبيح المنظر ، كريه الرائحة ، مُرّ المذاق :
الحميم	الماء الشديد الحرارة .
فشاربون شرب الهيم	فتشربون منه شرب الإبل التى اشتد بها العطش ، ولا يذهب مهما شربت .
نزلهم يوم الدين	منزلهم يوم الجزاء .

مجمل المعنى

١ — فصل الله أحوال الصنف الثانى من أهل الجنة ، وهم أصحاب اليمين ، كما فصّل أحوال المقربين السابقين ، فبيّن أن أصحاب اليمين حالهم حسنة ، وشأنهم عظيم ، قد تاب الله عليهم ، وغفر لهم ما تقدم من ذنبهم ، وصفح عنهم ، وأثابهم فوزاً عظيما : مساكن طيبة فى الجنة ، بين أشجار وريقة ظليلة من أشجار النبق الصغير الورق ، المتكاثر المتكاثف ، الذى يرف

فى النسيم رفيفاً ليناً خفيضاً، وقد بدا ثمره المختلف الألوان، وطلع فى جميع جهاتها وفروعها كورد أصفر لمَّا يتفتح، أو يواقيت حمر لم تُثْقَب ، أو درر بيض لم تُمس ، أو نجوم لامعة لم تنحدر للمغيب ، وقد تمايلت أغصانها ، وتعانقت فروعها ؛ وخُضد شوكها ، فلا ينال الأيدى أذى منها وهى تعبث بها ، أو تتناول ثمرها ، وبين مروج من شجر الموز الذى نُضدت ثماره ، وتراصَّت بعضها فوق بعض ، وقد امتد الظل كل وقت فلا تنسخه شمس ، ولا يأتى عليه زوال ، وانسكب ماء العيون زلالا عذباً غَدَقاً، وآتت الأشجار ثمارها كل حين بإذن ربها، وأعطتهم فاكهة كثيرة النوع والعدد، دائمة لا تنقطع عنهم فى أى وقت، ولا يحال بينهم وبينها ، أو يمنعون من تناولها بأى وجه من الوجوه ؛ وقد جعل الله لهم على فرشهم نساء من الحُور العين ، يقمن على إيناسهم وإمتاعهم ، وقد أنشأهن الله إنشاء ، وأبدعهن إبداعاً ، على مثال لم يسبق له طراز فى الخلق حسناً وجمالا ، جعلهن الله أبكاراً دائماً، كأنهن الدر المكنون ، يملكن قلوب أزواجهن بحسن الكلام ، وجميل العشرة ، وبشاشة الوجه ، وسحر العيون ، ورقة الطبع ، وهن فى سن واحدة من الصِّبَا ، وريعان الشباب — كل أولئك جعله الله لأصحاب اليمين ، وهم أمة كثيرة من الأمم السابقة ، وأمة مثلها كثيرة من الأمم المتأخرة ، لأن الله يغفر الكثير منهم ذنوبهم، بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكونون فى مثل كثرة الأولين .

٢ — أما الصنف الثالث فهم أهل الجحيم، أصحاب الشمال الذين يُعطَون كتبهم بشمائلهم ، فيقرؤون فيها قبح أعمالهم ، وسوء مصيرهم ، ويا طول عذابهم ، ووبال أمرهم ، وشقاء حالهم ، ونكد عيشهم !!! إنهم يقيمون فى ريح

شديدة الحرارة، تنفذ من مسام جلودهم، وتتغلغل داخل أجسامهم، وبين أوصالهم، فيَحسُون منها فى كل أجزائهم وَخز الإبر أو أشد، ويشربون ماء يغلى غلياناً شديداً ، لا يطفىء ظمأهم ، ولكن يُقَطِّع أمعاءهم ، ويقيمون فى ظلال ، وأى ظلال ؟ إنها دخان حار قاتم ، يملأ الجو قتاماً ، والعين ظلاماً ، والصدر حرجاً وناراً ، لا هو بارد ينعش الجسم ، ويريح النفس ، ولكنه حار يؤلم الجسم ، ويعنت النفس ، ولا هو كريم حسن المنظر ، فيه غَنَاء ونفع ، لكنه كريه قبيح المنظر ، لا خير فيه ولا غَنَاء .

٣ — وهذا العذاب جزاء عدل لهم، ما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، إنهم كانوا فى الدنيا قبل أن يبعثوا لنوفيهم الحساب ، لا يبالون لقاءنا فى هذا اليوم ، وكانوا يتمتعون بالمتاع الحرام ، الذى يحصلون عليه من الربا والسلب ، وسفك الدماء والبغى والعدوان ، وكانوا لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ، ولا يخافون يوماً يحاسبون فيه على أعمالهم ، وكانوا يخاصمون الله ورسوله ، فإذا دُعوا إلى الإيمان بالله وحده رفضوا ، وأصروا على البقاء على أعظم الآثام وهو الشرك، وأقسموا أن لا بعث ولا حساب، وظلوا يعبدون الأوثان والأصنام، وإذا طلب منهم أن يعملوا للآخرة، وأن يؤمنوا بالبعث، كانوا ينكرون ذلك فى تعجب واستهزاء، ويقولون : أئذا فاضت أرواحنا، وفارقنا الدنيا ومتنا، وصرنا جثثاً هامدة ، وطوتنا القبور، وتحللت أجسامنا، واستحالت تراباً متفتتاً ، ذاهباً ذرات متفرقة فى أجزاء الأرض ، وعظاماً نخرة بالية، أنُبْعث من جديد، ويبعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا، وأكلتهم الأرض ، وذهبت آثارهم وقبورهم، وكل معالمهم؟ أئذا حدث هذا كله، تعود إلينا الحياة ، وننهض من قبورنا ، ويكسو اللحم عظامنا ، ونحاسب

على ما عملنا ؟ إننا لا نصدق هذا ولا نؤمن به ، إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وما نحن بمبعوثين .

٤ — قل لهم يا محمد رداً على إنكارهم ، وتحقيقاً للحق الذى لا ريب فيه : لستم أنتم وآباؤكم وحدكم الذين تبعثون وتحاسبون ، ولكن الأولين والآخرين من الأمم الذين هم أوفر منكم عدداً ، مجموعون بعد البعث فى وقت محدود من يوم معلوم لنا ، لا يعلمه غيرنا ، وهو يوم القيامة ، نحاسبكم فيه حساباً شديداً على ما تقولون وما تفعلون .

٥ — وليس هذا فحسب أيها الضالون عن طريق الحق ، المكذبون بالبعث من أهل مكة ، ولكنكم ستعذبون عذاباً شديداً ، فسيكون طعامكم فى جهنم شجر الزقوم ، نبت لكم خاصة فى جهنم ، وهو شجر قبيح المنظر ، كريه الرائحة ، شديد المرارة ، تأكلون منه حتى تمتلىء بطونكم ، وبعد هذا الامتلاء تحسون ظمأ شديداً ، فتشربون على ما أكلتم سائلا من صديد ، يغلى غلياناً شديداً ، هو ماء الحميم ، ولكن العطش لا يزول ، فتعاودون الشرب منه بنهم : لعل الظمأ أن يذهب ، وتُقبلون على الشرب منه إقبالا شديداً ، كما تفعل الإبل الهيم التى يشتد بها العطش ، ولا تروى مهما شربت ؛ هذا هو رزقكم وطعامكم وشرابكم فى منزلكم من جهنم يوم الدين ، وهذه مائدتكم التى أعدت لكم يوم الجزاء ، لتعلموا حالكم ، وتتبينوا عاقبة أمركم .

(٣)

من الآية ٥٧ إلى الآية ٧٤ من سورة الواقعة

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فلولا تصدقون	فهلا تصدقون أنا خلقناكم فتؤمنوا ! .
تُمنون	تَقْذِفون من منيّ فى الأرحام .
تخلقونه	تصورون منه الإنسان ، وتبعثون فيه الحياة .
نحن قدرنا بينكم الموت	كما خلقناكم وصوّرناكم فى بطون أمهاتكم ، نحن قدرنا موت كل أحد منكم ، ووقّتْناه بوقت محدد .
وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم	لا يسبقنا أحد ولا يغلبنا ، على أن نذهبكم ، ونأتى بأمثالكم ، إن أردنا .
وننشئكم فيما لا تعلمون	ونخلقكم خلقاً آخر على غير صوركم .
علمتم النشأة الأولى	علمتم خلقنا لكم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة .
فلولا تذكرون	فهلا تتعظون وتؤمنون بأنا قادرون على أن نعيدكم مرة أخرى ! .
أفرأيتم ما تحرثون	أخبرونى عما تحرثون من أرضكم ، وتلقون فيها من البذور .
أأنتم تزرعونه	أأنتم تنبتونه فى الأرض ، وتجعلونه زرعاً يخرج حباً .
حطاماً	هشيما متفتتاً متكسراً .
فظلتم تفكهون	فظللتم تتبادلون الحديث عن حاله وهو فى نضرته ، وتندمون على جفافه ، وتتعجبون مما حل به .

الألفاظ	شرحها
إنا لمغرمون	وتقولون : إنا لخاسرون هالكون ، لأننا غُرمنا الحب الذى بذرناه ، والجهد الذى بذلناه ، من غير فائدة .
نحن محرومون	حرمنا رزقنا الذى ننتظره .
المزن	السحاب .
أجاجاً	ملحاً شديد الملوحة .
فلولا تشكرون	فهلا تشكرون الله الذى جعل ماءكم الذى تشربونه عذباً ، ولم يجعله ملحاً !.
تورون	تظهرون النار وتستخرجونها من الشجر والزناد .
جعلناها تذكرة	جعلنا نار الدنيا تذكركم بنار جهنم .
ومتاعاً للمقوين	ومنفعة للمسافرين الذين ينزلون الأمكنة الخالية ، فلا يجدون غير النار تدفئهم ، وتنضج طعامهم ، وتنير الطريق لهم ؛ يقال : أقوت الدار ، إذا خلت من أهلها .
فسبح باسم ربك العظيم	نزه الله تعالى عما يقول الجاحدون بوحدانيته ، الكافرون بنعمته ، مع عظمها وكثرتها .

مجمل المعنى

١ — كيف تنكرون أننا قادرون على أن نحييكم بعد الموت ، وعلى أن نبعثكم للحساب ، ونحن الذين خلقناكم أول مرة ، وأوجدناكم من العدم ؟ ومن قدر على الابتداء ، قدر على الإعادة ، فهلا تؤمنون بأننا قادرون على

إعادتكم ، وتصدقون بأننا سنبعثكم ، كما أقررتم بأنا أنشأناكم ، وابتدأنا خلقكم !

٢ — وقد ساق الله الأدلة الموجبة للتصديق بالبعث ، والإيمان بيوم الحساب ، فوجه إلى المنكرين الخطاب بما معناه : أخبرونى عن النطف التى تصبونها فى الأرحام ، وتستودعونها بطون النساء ، أأنتم الذين تخلقونها ، وتقدرونها وتصورونها بشراً سوياً ؟ كلا ! أنتم لا تخلقونها ولا تصوّرونها ، ولا تعلمون من أمرها شيئاً ، وهى فى ظلمات الأرحام ، بل نحن المقدرون لها ، نحن الذين جعلنا النطفة علقة ، والعلقة مضغة ، ثم جعلنا المضغة عظاماً ، ثم كسونا العظام لحماً ، ثم صيرناها إنساناً سوىّ الخَلق ؛ فكيف لا نكون قادرين على البعث والنشور ، وإخراجكم من القبور ؟

٣ — نحن الذين وقتنا موت كل واحد منكم بوقت ، وجعلنا لكل منكم أجلا مسمى ، لا يتأخر عنه ولا يتقدم إلا بإرادتنا ومشيئتنا ، ونحن لا يسبقنا أحد ولا يغلبنا ، إن أردنا أن نميتكم ، ونأتى مكانكم بأشباهكم من الخلق ، ونحن قادرون على أن نخلقكم خلقاً آخر على غير صوركم وهيئاتكم ، فنجعلكم كالقردة والخنازير .

٤ — ولقد علمتم نشأتكم الأولى ، وأنا خلقناكم أول مرة ، من نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، فهلا تتذكرون بأن الذى قدر على بدئكم ، يقدر على إعادتكم حتما ! لأن النشأة الأخرى أيسر من الأولى ، لأنها أقل صُنعاً ، وأخف جهداً ، لحصول المواد التى منها تخلقون ، وسبق النّموذج الذى على غراره تُعادون .

٥ — أخبرونى عن الأرض التى تحرثونها ، وتُلقون فيها البذر ، أأنتم الذين تنبتونه فى الأرض ، وتخرجونه زرعاً أخضر يخرج منه الحب ، أم نحن الذين نفعل ذلك ؟ أنتم تعلمون أنه ليس لكم إلا مجرد إلقاء البذر، وشق الأرض ، فإذا أقررتم أنكم لا تفعلون شيئاً غير البذر وشق الأرض ، وأننا نحن الذين نخرج الزرع ، ونجعل فيه السنبل والحب ، فكيف تنكرون قدرتنا على إخراج الأموات من القبور ، وإعادة الحياة إليهم ؟ إننا لو أردنا أن نُذبله ونجففه حتى يصير حُطاماً متفتتاً ، وهشيماً متكسراً ، بعد ما أخرجناه زرعاً أخضر ، وأبرزنا ثماره ، وبعد أن طمعتم فى جنْيه ، والحصول على غلته، لفعلنا ذلك ، وما حال بيننا وبين ما نريد أحد ، فوقفتم عليه تعجبون وتندمون ، وتتحدثون عما كان عليه من الخضرة والنضرة ،وما صار إليه من الذبول والجفاف ، والتهشيم والتحطيم ، وتقولون : إنا لقد خسرنا ما أنفقنا فى حرثه وبذره وسقيه ، وهالكون لفقد غلته ، وقد غرمنا الحب الذى بذرناه ، والجهد الذى بذلناه ، بل نحن حُرمنا الرزق الذى ننتظره ، والخير الذى نرتقبه ، لأننا مشؤومون ، لا حظ لنا ولا بخت .

٦ — أخبرونى عن الماء الذى تشربونه ؟ أأنتم الذين أرسلتم إليه الحرارة التى صعّدته بخاراً فى الهواء ؟ أأنتم الذين جعلتم طبقات الهواء باردة فى السماء ؟ أأنتم الذين جمعتموه سحاباً ثقالا فى الجو ؟ أأنتم الذين أنزلتم من هذا السحاب الماء عذباً ، وهو خارج من بحر أجاج ، فتشربوه زلالا سائغاً ، وتُحْيوا به أرضكم ؟ إنكم لم تفعلوا شيئاً من هذا ، ولستم بقادرين عليه ؛ إننا لو أردنا أن نبخّره من البحر أجاجاً ،ونُنزله عليكم من السماء مِلحاً ،لما منعنا من ذلك

أحد ، وما حال بيننا وبينه حائل ، فهلا تشكرون الله على ما أولاكم من فضله ، وما أسبغ عليكم من نعمه !

٧ — أخبروني عن النار التى توقدونها من الشجر ، بحك عود بعود ، حتى تُورى ، فتوقدوا وتستضيئوا وتستدفئوا ، وتهتدوا فى ظلمات البر والبحر ، أأنتم الذين أخرجتم من الأرض شجرتها التى يؤخذ منها الزناد للقَدْح والاشتعال ؟ أأنتم الذين أودعتم قوة هذه النار فى الشجر ؟ كلا ! أنتم لم تفعلوا من ذلك شيئاً ، ولن تفعلوا ، بل نحن المنشئون للشجر ، والمودعون النار بقدرتنا فيها ، وقد جعلنا النار تذكرة لكم فى الدنيا ، لتذكروا بها نار الآخرة ، التى أنذرناكم إياها ، وخوفناكم عذابها ، لتنظروا إليها ، وتتعظوا بها ، وتعلموا أن الذى خلق لكم النار ، وعلق بها أسباب معاشكم ، قادر على خلق نار أشد وأقوى ، لتعذبوا بها فى جهنم ، كما جعلناها منفعة بينة النفع للمسافرين فى القفر ، الجوّابين للصحراء ، حين يضلون المسالك ، ويفقدون المعالم ، فلا شيء يهديهم ، ولا طعام يغذيهم ، ولا قوة تحميهم ، إلا النار يوقدونها ، فيهتدون ويختبزون ويشتوون ، ويردّون المفترس والكاسر ، ويدفعون عن أنفسهم عادية الجوع والبرد والفتك والضلال ؛ والمجتابون المفاوز أشد الناس إدراكاً لمنافع النار ؛ إذا كانت هذه النعم التى سقناها جمة الفوائد للناس أجمعين ، فنزّه أيها الغافل ربك المنعم بهذه النعم عما لا يليق به من الشريك والولد ، وعدم القدرة على البعث والحساب .

(٤)

من الآية ٧٥ من سورة الواقعة ، إلى آخر السورة

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ
لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ
رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ
حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ
إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ
إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن
كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ
إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ
جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فلا أقسم بمواقع النجوم	أقسم بالكواكب في مواقعها عند طلوعها وسيرها وغروبها ، ولا : زائدة .
فى كتاب	مثبت فى كتاب ، وهو اللوح المحفوظ .
مكنون	مَصُون محفوظ عن الباطل .
لا يمسه إلا المطهرون	لا يصل إلى القرآن ولا يمسه ، ولا يتنزل به إلا الملائكة المطهَّرون .
مدهنون	مكذبون منافقون كافرون .
وتجعلون رزقكم	وتجعلون شكركم لله على رزقكم الكفر والتكذيب .
بلغت الحلقوم	فارقت الروح البدن ، ووصلت الحلق ، وكادت تخرج من الجسم كله .
وأنتم حينئذ تنظرون	وأنتم أيها الأحياء حين موته جلوس حوله ، تنظرون ما يقاسى من غمرات الموت .
ونحن أقرب إليه منكم	ونحن بعلمنا وقدرتنا وتصرفنا ، أقرب إليه منكم .
لا تبصرون	لا تدركون ذلك لجهلكم بشئون الله .
غير مَدينين	غير مملوكين لرب ديَّان ، ولا مجزيِّين ومحاسَبين على أعمالكم .
ترجعونها	تعيدون الروح إلى الجسد ، ولا تدعونها تخرج .
فأما إن كان	فأما إن كان الذى بلغت روحه الحلقوم ، ثم خرجت إلى بارئها .

الألفاظ	شرحها
المقربين	السابقين فى الإيمان والطاعات وعمل الخيرات .
فروح وريحان وجنة نعيم	فجزاؤه رحمة ورأفة وراحة ، وابتهاج وفرح وسرور ، ورزق طيب ، وجنة نعيم ، ومنزل طيب .
أصحاب اليمين	المؤمنين الذين غفر الله لهم ذنوبهم .
فسلام لك	فأنت سالم من الاغتمام من حالهم ، لأنك لاترى لهم إلا ما تحب .
فنزل من حميم	فرزق من ماء مُغلى شديد الحرارة .
وتصلية جحيم	وإقامة فى النار ، ومقاساة لعذابها .
لهو حق اليقين	لهو حقيقة الخبر الثابت عن علم ويقين .
فسبح باسم ربك العظيم	فنزّهه تعالى عما لا يليق به من الشرك ، والتكذيب بآياته ، والكفر به وبنعمه العظيمة .

مجمل المعنى

١ — أقسم سبحانه وتعالى بمواقع النجوم عند طلوعها وغروبها ، وعند جريانها فى أفلاكها ، حيث يظهر فيها آيات العبرة والقدرة ، على أن القرآن كتاب كريم ، ليس بسحر ولا كهانة ، ولا بمفترى كما يزعم المشركون المكذبون ، لو يعلمون علم تبصر وتفكر ، ولكنه قرآن كريم محمود ، جعله الله معجزة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهداية للناس أجمعين ، وهو كريم على الله ، كريم على المؤمنين ، كريم على الملائكة ، لأنه يشتمل على كريم الأخلاق ، وأقوم التشريعات ، وهو هدى وبينات للناس فى الدنيا والآخرة ،

جامع للبيان والعلم والحكمة ، مكنون فى كتاب السماء ، مكتوب فى اللوح المحفوظ ، لا تصل إليه الشياطين ولا تتنزل به ، ولا تمسه ، ولا يمسه أو يصل إليه أو يتنزل به إلا الملائكة المطهرون ؛ وإذا كانت صحف القرآن التى فى السماء لا يمسها إلا المطهرون ، فكذلك مصحف القرآن الذى بأيدينا لا يمسه إلا طاهر ؛ وكما أن القرآن كريم ، وفى كتاب مكنون ، فهو منزل من رب العالمين ، وإله الخلق أجمعين .

٢ — أفبهذا القرآن الذى يؤيد الحق ، ويهدم الباطل ، ويدعو إلى الرشاد ، وينهى عن الفساد ، ويصحح الاعتقاد ، وينقذ العقول من الضلال ، أنتم تُكَذِّبون وتُدْهِنُون أيها المشركون؟ ولقد رزقكم الله القرآن وهو مادة الإيمان ، وغذاء الروح والقلب والعقل للإنسان ، كما أن الزرع والماء غذاء الأبدان ، وكان الواجب عليكم أن تشكروه على ما رزقكم ، ولكنكم وضعتم التكذيب فى موضع الشكر ، والكفر في موضع الإيمان .

٣ — وقد ختمت السورة ببيان أحوال الناس عند الموت ، وعند ما يقومون للبعث ، ويقفون فى الحشر ، وتلك هى القيامة الصغرى ، فقيل فى بيان حالهم عند الموت : فهلا إذا أخذَ أحد منكم يعالج سكرات الموت ، وبلغت روحه الحلقوم ، ولما تخرج منه وكادت ، وأنتم فى هذه الحال جلوس حوله تنظرون إليه ، لا تقدرون على شىء ! هلا أمسكتم عليه روحه ، وأرجعتموها إلى بدنه ، ولم تسلموه للموت ، مع حرصكم على امتداد عمره ، وحبكم لبقائه ! ونحن — وأنتم حوله فى المكان الذى تنتزع منه الروح ، وتلامسونه وتتحسسونه وهو يعالج سكرات الموت — أقرب إليه منكم بعلمنا بأحواله ، وقدرتنا على التصرف فى أمره ، ولكنكم لا تبصرون ذلك ولا تدركونه ، بجهلكم

بشؤوننا ، وقصوركم عن إدراك علمنا ! فهلا إن كنتم لستم تحت قدرة أحد، وليس لكم إله يملك أمركم، ويتصرف فى شأنكم ، ترجعون الروح إلى البدن، وتحفظونها فى الجسم،إن كنتم صادقين فيما تزعمون ! وإن كان الأمر كما تزعمون :أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ، ولا إله ولا رب يقوم بذلك ، فهلا تردون رُوح من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم ! فإذا لم يكن لكم فى ذلك حيلة بوجه من الوجوه ، فهلا يدلكم ذلك على أن الأمر إلى مليك قادر قاهر ، متصرف فيكم ، وهو الله الذى لا إله إلا هو !

٤ — فلما قام الدليل، ووضح السبيل ، وتم البرهان على أنهم مملوكون تحت سلطان الله وقهره ، مجزيون محاسبون ، ذكر طبقاتهم عند الحشر الأول، والقيامة الصغرى ، وهى طبقة المقربين ، وطبقة أصحاب اليمين ، وطبقة المكذبين . فجعل للمقربين الرحمة والراحة ، والفرح والسرور والابتهاج ، والرزق الكريم ، والعيشة الراضية،وجنة النعيم، والمنزل الطيب فى دار السعادة والرضوان ؛ وجعل لأصحاب اليمين — وهم دون المقربين فى المرتبة — السلامة من الآفات ، والشرور التى تحصل للمكذبين الضالين ؛ والخطاب فى سلام لك لمحمد صلى الله عليه وسلم ، أى أنت سالم من الاغتمام بحالهم ، لأنهم سالمون مما يضيرهم، ولا تراهم إلا كما تحب لهم ؛وجعل للطبقة الثالثة— وهم المكذبون بالبعث ، الضالون عن الهدى وطريق الحق — رزقاً من حميم، ومقاساة الجحيم ؛ وإن هذا الذى أنزله الله فى هذه السورة لهو الحق الثابت عن علم ويقين، فنزه يا محمد ربك عما لا يليق به، من الشرك والتكذيب بآياته، والكفر به وبنعمه العظيمة ، ولا عليك إن صدقوك أو كذبوك ، فما عليك إلا البلاغ .

سورة الحديد

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٢٩ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (١) له
ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (٢)
هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم (٣) هو
الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش
يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير (٤) له ملك
السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور (٥) يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور (٦)

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبح لله	أبعد الله ، ونـزّهه عما لا يليق به ، ومجّده .
العزيز الحكيم	القوى الذى تستوجب قدرة خلقه تمجيده ، الذى خلق كل شىء بحكمة .
له ملك السموات والأرض	هو المنفرد بملك السموات والأرض ، وصاحب الأمر والنهى والنفوذ فيهما .
يحيى ويميت	يميت الأحياء فى الدنيا ، ويحيى الأموات للبعث
قدير	لا يعجزه شىء .
الأول	الذى ليس قبله شىء ، السابق على سائر الموجودات ، ومبدئها ومُبدعها .
الآخر	الذى ليس بعده شىء ، الباقى بعد هلاك كل شىء .
الظاهر	الذى ليس فوقه شىء ، الغالب على كل شىء .
الباطن	الذى لا يراه أحدٌ ، وهو يرى كل أحد ، ويعلم ما بطن وخفى .
وهو بكل شىء عليم	لا يعزب عن علمه شىء من الظاهر والخفى .
استوى على العرش	استولى على ملكوت السموات والأرض بالتدبير والتصرف .
ما يلج فى الأرض	ما يدخل فيها من البذر والمعادن والمياه الجوفية ، والكنوز والآثار والقبور .

الألفاظ	شرحها
وما يخرج منها	وما يخرج من نبات ومعادن وغيرهما
وما يعرج فيها	وما يصعد إليها من الملائكة ، وأعمال العبادة ، ومن أبخرة وأدخنة .
والله بما تعملون بصير	والله مطلع على أعمالكم، فيجازيكم بحسبها .
يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل	يدخل وقت الليل فى وقت النهار ، ويدخل وقت النهار فى وقت الليل ، بأن يكون ظلام فى جهة ، وضياء فى جهة أخرى ، وبالعكس .
وهو عليم بذات الصدور	وهو يعلم علماً شاملا بكل ما تخفى الضمائر .

مجمل المعنى

١ — كل ما استقر فى السموات والأرض ، وما اتصل بهما على أى وجه ، من جميع الموجودات العُلوية والسفلية ، يُنَزِّهُ الله سبحانه وتعالى عما لا يليق بذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه ، ويدل على أنه واحد فى ذاته وصفاته ، متصف بجميع صفات الكمال ، منزّه عن جميع سمات النقص ؛ وتدل آياته بدقة صنعها ، وحكمة وضعها ، وباهر أسرارها ، على أنه منزه عن النقص ؛ وهذه الدلالة هى التسبيح المشار إليه فى الآية ؛ وهو العزيز القاهر فوق عباده ، الغالب الذى لا يغلب ، الذى أوجد جميع الأشياء على مقتضى الحكمة ، وفى غاية الإحكام .

٢ — الله هو المنفرد بملك السموات والأرض ، والمتصرف فيهما على حسب إرادته ومشيئته، أحسن صنعهما بحكمته، وأوجد كل شيء فيهما بقدرته ، لاينازعه فيهما منازع ، ولايغالبه مغالب ؛ ومن أظهر آثاره فيهما، أنه خلق الموت والحياة، فيميت الأحياء بعد أن يستوفوا آجالهم التى قدرها لهم ، ويحيي الموتى يوم يجمعهم للبعث من قبورهم ، وهو مبسوط القدرة والسلطان على كل شيء ، فلا يعجزه شيء ، ولا يفلت من سلطانه شيء .

٣ — ومن صفاته التى انفرد بها ، أنه الأول الذى لم يسبقه فى الوجود شيء ، وأنه الآخر الباقى بعد أن يفنى كل شيء — ثم ينصب الميزان ، ويقيم الجنة والنار — وهو الظاهر الغالب فوق كل شيء ، المعروف المستبين بالأدلة الدالة عليه فى خلقه وصنعه ، والباطن الذى لا يراه أحد ، وهو يرى كل أحد ، ويعلم ما خفى وما بطن ، ولايغيب عن علمه أى شيء ، ومن هذا شأنه ، لابد أن يكون محيطاً بما فى ملكوته ، عليما بكل شيء فيه .

٤ — وقد بين الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض، وأبدع صنعهما، ودبر أمرهما ، فى ستة أيام ؛ وليس المقصود بالأيام الأيام الزمنية ، التى يستوعب كل منها ليلا ونهاراً ، لأن الأرض التى يحصل من دورانها حول مركزها أمام الشمس الليل والنهار ، لم تكن وجدت بعد — والتعبير بالأيام : الغرض منه أن يقرب الله إلى مداركنا ما يمكن أن نتصور به قدرته ، وأن ييسّره على عقولنا بما نستطيع أن تفهمه — وإنما المقصود بالأيام : الأطوار الستة التى مرّ فيها خلق السموات والأرض ، حتى صارت كما نراها فى وضعها المحكم ، وصنعها المتقن ، صنع الله الذى أتقن كل شيء ؛ فالأطوار

التى مرت بالأرض كانت مع كل الملكوت دخاناً ، ثم كانت جزءاً متصلا بالشمس، ثم كانت رتقاً متماسكاً بها ، ثم تفتقت الأرض منها، وانفصلت عنها ، « أوَ لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما »، (تراجع الفقرة الثانية من الصفحة من تفسير الجزء السابع عشر) ، ثم كَوّن فيها اليابس والماء ؛ وبعد ذلك جعلها صالحَة للحياة ، وقدر فيها الأقوات ، ثم استخلف الإنسان عليها فسكنها وعمّرَها ، يدل على هذه الأطوار التى مر بها خلق الأرض حتى صارت على هذا النحو ، قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهيَ دُخانٌ ، فَقَال لهَا وللأرض : أئتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين » ، (تراجع الفقرة الثانية من الصفحة من تفسير الجزء الرابع والعشرين) ، ثم استولى على ملكوت السموات والأرض ، يتصرف فيهما على حسب ما تقتضيه مشيئته ، وهو محيط بخفايا الأمور وظواهرها ، فيعلم ما يدخل فى الأرض من بذر ، وما ينطوى فى باطنها من معادن وكنوز ، وعيون وزيت ، ويعلم ما يخرج منها من زرع وحب ، وشجر وفاكهة ، وما يستخرج منها من حديد ونحاس وذهب ، ويعلم ما ينزل من السماء من ملَك ومطر وصواعق ، وما يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد ، ومن بخار ودخان ؛ وعلمه محيط بجميع المخلوقات أينما كانوا ، وفى كل لحظة ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو بصير بأعمال العباد ، وله السلطان المطلق ، والحكم النافذ فى السموات والأرض ، وإليه ترجع الأمور ، ويصير الخلق ، فيقضى وحده بينهم بحكمه .

٥ — ومن الدلائل على أن زمام الملكوت مُصَرَّف بقدرته ، ومرجع الأمور كلها إليه ، أنه يدخل وقت الليل فى وقت النهار ، ووقت النهار فى وقت الليل ، فتكون بعض الجهات فى ظلام دامس ، وبعضها فى ضياء ساطع فى نفس الوقت ، كما يبدو هذا فى العراق وأمريكا مثلا ، فمتى يكون الوقت ليلا فى العراق ، يكون نهاراً فى أمريكا ، لأن الله جعل الأرض مكوّرة ، تدور على محورها المائل حول نفسها دورة يومية ، وحول الشمس دورة سنوية ؛ وكذلك يدخل ما نقص من ساعات الليل فى النهار ، فيصير النهار زائداً فى ساعاته ؛ ويدخل ما نقص من ساعات النهار فى الليل ، فيصير الليل زائداً فى ساعاته ، ويطّرِد حساب اختلاف الليل والنهار فى البُلدان والأقطار ؛ وهو إلى جانب قدرته وسيطرته على السموات والأرض ، وتدبير أمرها ، عليم بما تُكِنُّ الصدور ، وبكل ما يهجس فيها من الخواطر .

(٢)

من الآية ٧ إلى الآية ٩ من سورة الحديد

آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه	وأنفقوا من الأموال التى أوجدها الله ، وجعلكم خلفاءه فى التصرف فيها ، ووكلاء فى إنفاقها .
وما لكم لا تؤمنون بالله	وأى عذر لكم فى عدم الإيمان بالله ؟
وقد أخذ ميثاقكم	وقد أخذ الله عليكم عهداً وميثاقاً ، بما وهب لكم من العقول ، وما أظهر لكم من الأدلة والآيات .
إن كنتم مؤمنين	إن كنتم مؤمنين بالحجج والدلائل، مصدقين لما تهدى إليه العقول .

الألفاظ	شرحها
عبده آيات بينات من الظلمات إلى النور	محمد صلى الله عليه وسلم . القرآن الواضحة آياته . من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .

مجمل المعنى

١ — بعد أن بين الله أن علمه محيط بكل الأشياء ، وأن مرجع كل أمر ظاهر وخفىّ إليه ، وأنه صاحب السلطان المطلق على الملكوت ، وأنه لا يماثله شىء ، أمر العباد أن يؤمنوا به وبرسوله الذى أرسله إليهم ، وأن ينفقوا فى سبيل البر والجهاد من الأموال التى جعلهم الله خلفاءه ووكلاءه عليها ، فمكّنهم من التصرف فيها ، وجعل لهم حق الاستمتاع بها ، وبذلها فى سبيل الخير ، ونبههم على أن هذه الأموال ليست باقية لهم ، أو ليسوا باقين لها ، وإنما ستنتقل منهم إلى غيرهم ،كما انتقلت إليهم ، وبين أن المؤمنين الذين يفهمون حقيقة المال على هذا الوجه ، فينفقون منه على أنفسهم فى وجوه الاستمتاع الحلال دون إسراف ، وينفقون منه فى منافع الناس ، لهم أجر كبير على ذلك من الله .

٢ — وأى عذر لكم فى ألا تؤمنوا بالله ؟ وقد أرسل إليكم رسوله بالبينات ، ليدعوكم إلى الإيمان ، كما أنه قطع عليكم العهد والميثاق بأن تؤمنوا به ، بما ركب فيكم من العقول التى من شأنها أن تفكروا بها ، وتعرفوا الحق من الباطل ،وتميزوا الخبيث من الطيب ، وبما بيّنَ لكم من الآيات الكونية على وجوده وإنشائه للخلق ، وقدرته ووحدانيته ؛ ليس لكم عذر بعد هذا

فى ترك الإيمان ؛ فإن كنتم مستعدين أن تنظروا فى ملكوت السموات والأرض ، وتفكروا فتؤمنوا ؛ فهذا وقت الإيمان ، وقد وجب عليكم لأن أسبابه متوافرة ، ودواعيه ظاهرة .

٣ ــ لقد أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ، وفيه الآيات البينات المفصلات الواضحات ، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والضلال ، إلى نور العلم والإيمان والحق ، وفى ذلك منتهى رأفة الله ورحمته بعباده ، حيث يهديهم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول ، وإنزال الآيات مفصّلات ، بعد أن أقام لهم الحجج العقلية ، والآيات الكونية ، التى تستوجب منهم الإيمان .

(٣)

من الآية ١٠ إلى الآية ١٥ من سورة الحديد

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ
مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ
وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا
وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ
قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ
بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ
أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ
وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ

لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله	وأى غرض لكم فى عدم الإنفاق فى سبيل الله ، والجهاد فى إعلاء كلمته ، ونشر دينه ؟
ولله ميراث السموات والأرض	والله يرث كل شىء فى السموات والأرض ، فلا يبقى فيهما باق لأحد ، من مال أو غيره .
من قبل الفتح وقاتل	من قبل فتح مكة ، وقاتل جهاداً فى سبيل الله .
وكُلاًّ وعد الله الحسنى	وقد وعد الله كلا منهما أحسن المثوبة ، ونعيم الجنة ، مع تفاوت بينهما ، ووعده النصر والغنيمة فى الدنيا .
يقرض الله قرضاً حسناً	ينفق عن طيب نفس فى الجهاد والصدقات والبر ، ابتغاء مرضاة الله ، من مال حلال
فيضاعفه له	فيعطيه الأجر على انفاقه أضعافاً مضاعفة ، تفضلا منه .
وله أجر كريم	وله مع مضاعفة الأجر على إنفاقه أجر كريم من عند الله ، هو أفضل الأجر وأحسنه .
يسعى نورهم	يمضى ويذهب نور إيمانهم وطاعتهم وتوحيدهم مِنْ أمامهم ومِنْ حولهم .

الألفاظ	شرحها
بشراكم اليوم : جنات	تقول لهم الملائكة : اليوم لكم البشرى ، وهى دخول الجنات .
انظرونا نقتبس من نوركم	انظروا نحونا ، لنصيب من نوركم قبساً نستضىء به فى الظلمات التى تحيط بنا .
ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً	ارجعوا إلى الموقف الذى أوتينا فيه صحائف أعمالنا ، فاطلبوا النور منه .
فضرب بينهم بسور له باب	فأقيم بين المؤمنين والكافرين حاجز .
باطنه فيه الرحمة	ما يلى المؤمنين منه هو الجنة .
وظاهره من قبله العذاب	والجانب الذى يلى أهل النار فيه جهنم .
فتنتم أنفسكم	أهلكتموها بالكفر والمعاصى والشهوات .
وتربصتم	ودبرتم ، وارتقبتم أن تحل بالمؤمنين المصائب .
وغرتكم الأمانىّ	وخدعكم طول الأمل والأباطيل، وتوقعكم خذلان المؤمنين .
وغركم بالله الغَرور	وخدعكم الشيطان بأن الله عفوّ كريم لا يعذبكم .
لا يؤخذ منكم فدية	لا يُقْبَلُ أن تخرجوا من النار بأى ثمن .
مأواكم النار	مُقامكم ومنزلكم النار .
هى مولاكم	هى أولى بكم .

مجمل المعنى

١ — ولماذا لا تنفقون أيها الناس فى سبيل الله ؟ وأى غرض لكم فى عدم بذل المال فى وجوه البر والخير والجهاد ، لنشر دين الله وإعلاء كلمته ؟ والله

خالقكم وخالق أموالكم ، وستنتهى آجالكم ، وتنقضى أعماركم ، وتتركون أموالكم التى جمعتموها ، فيرثها الله بعدكم ، لأن الله يرث كل ما فى السموات والأرض ، وإليه مرجع كل شىء فيهما ، فإن أنفقتموها فى الخير ربحتم ، وإن بذلتموها فى سبيله أثابكم أجراً عظيما ، وإن لم تنفقوها فى سبيله ذهبت منكم بعد موتكم دون مقابل ، فلم تنتفعوا بشىء منها ، ولا يقبل عاقل أن يترك الإنفاق الذى فيه خير له ، إلى عدم الإنفاق الذى لا خير له فيه ؛ والمنفقون المال فى سبيل الله ، والمقاتلون دفاعاً عن دين الله ، لهم جزاؤهم عند ربهم جنة وأجر عظيم ، لكن درجاتهم فى الجنة ، وأجورهم عند الله ، متفاوتة ، فهناك قتال أفضل من قتال ، وإنفاق خير من إنفاق ، فالذين قاتلوا وعرّضوا أنفسهم للموت ، ودماءهم للسفك ، وبذلوا المال وأنفقوه عن طيب نفس به قبل فتح مكة ، حيث المسلمون فى ضعف وخوف ، وقلة عدد وجوع وفقر ، فلا حماية ترتجى لمن آمن منهم ، ولا توقع لانتصارهم ، ولا مطمع فى غنائم ينالونها ، وإذ لا يبعث على الإنفاق فى سبيلهم إلا الإيمان القوىّ ، والإخلاص الكريم — هؤلاء درجاتهم فى الجنة ، ونصيبهم من الأجر ، أعظم من درجات الذين قاتلوا وأنفقوا المال فى الخيرات بعد فتح مكة ، حين قويت شوكة المسلمين ، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم ودينهم ، وكثر عددهم ، وظفروا بالغنائم ؛ لقد نفى الله استواء الفريقين فى الأجر ، ولكنه أثبت الحسنى لكل منهما ، وكتب له المثوبة والجنة ، ورضوان الله فى الآخرة ، والنصر والغنيمة فى الدنيا ؛ والله خبير بأعمال العباد ظاهرها وباطنها ، عليم بأحوالهم ، وسيجازى كلا على حسب ما قدم من عمل ، وما فعل من خير .

٢ — أى إنسان لا يسارع إلى إنفاق المال فى سبيل الله ، وأى عاقل لا يسابق إلى بذل المال فى وجوه الخير والبر والإحسان والجهاد ؟ وكل ما ينفق من مال فى هذه الوجوه لا يضيع ولا يذهب ، ولكنه مدخر له عند الله ، وقرض حَسَن عنده، يرده إليه أجراً عظيماً ، ويضاعف له هذا الأجر أضعافاً ، فيمنحه الثواب عليه فى الآخرة ، والنماء والبركة فى الدنيا عشرة أمثاله، وله مع ذلك أجر كريم من الله، خالص من شوائب المنّ والأذى، ومن عَنَت الجهد والمشقة ، فيه سهولة ويسر وكثرة ؛ والقرض الحسن : هو المال الذى يُبذل عن صدق نية، وطيب نفس، يُقصد به وجه الله، لا الرياء ولا السمعة ، وأن يكون من خير المال لا من رديئه ، وأن يكون من حلال طيب ، وألا يُتبع المنفق إنفاقه بالمنّ والأذى ، وألا يَتعالى بعزة الغنى ، ويشعر الفقير، بذلة الفقر ، وأن يعطيه وهو قوىّ الأمل فى الحياة ، وأن يُخفى صدقته حتى لا يؤذى بها نفس المتصدَّق عليه .

٣ — وهذا الأجر الكريم أعده الله يوم القيامة للمؤمنين الذين أنفقوا وقاتلوا ، حين ترى نور الهداية والطاعة والإيمان يضىء لهم بقدر أعمالهم ، وما سُجّل منها فى كتبهم التى بأيمانهم، فينفذ إلى جميع ما حولهم ، ويهديهم الطريق المستقيم إلى دار الرضوان ، وتقول لهم الملائكة : البشرى التى نسركم بها اليوم ، هى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، أعدت لكم، لا تتحولون عنها ، ولا تخرجون منها ، ولكم فيها نعيم مقيم ، وفوز عظيم .

٤ — وفى هذا اليوم يَتخبط المنافقون والمنافقات الذين كانوا فى الظاهر مع المسلمين ، وفى الباطن مع الكافرين ، فى ظلمة الضلال والمعصية والكفر ، لا يدرون

أين يتجهون ، فيطلبون من المؤمنين أن يرشدوهم إلى الطريق ، ويأخذوا بأيديهم إلى الجادّة ، ويقولون لهم : انظروا نحونا ، لعل قبساً من النور المنبعث من قلوبكم ، المضىء من صحائف أعمالكم التى بأيمانكم ، يهدينا الطريق المستقيم ، فيقول لهم المؤمنون : إن نورنا لنا ، يهدينا ويشعّ من قلوبناومن كتبنا ، فلا يَهدى غيرنا ، فارجعوا وراءكم حيث أحرزنا هذا النور ، فاطلبوه والتمسوه فى الدنيا بالإيمان وصالح الأعمال ، ولن ترجعوا ، فلن تجدوا إذن نوراً ، ولن تهتدوا ، وحيل بينهم وبين ما يطلبون ، فأقيم بينهم وبين المؤمنين حاجز ، من جهة جانبه الظاهر للمنافقين جهنم ، يلاقون فيها العذاب ، ومن وراء هذا الجانب — حيث لا يراه المنافقون — الرحمة والجنة التى ينعم بها المؤمنون ، حينئذ ينادِى المنافقون الذين دخلوا فى الإسلام من باب ، وخرجوا منه من باب آخر ، ينادون المؤمنين ، ويقولون لهم : ألم نكن معكم فى الدنيا نصلى ونصوم ، ونقيم شعائر الدين كما كنتم تصلون وتصومون ، وتقيمون شعائر الدين ؟ فلماذا كتبت علينا النار ، وكتبت لكم الجنة ؟ فيقول لهم المؤمنون : ليس الأمر مجرد صلاة وصوم ، وإقامة شعائر الدين ، إذ لا بد أن يصاحبهما الإيمان ، وحقاً لقد كنتم معنا ، لكنكم كنتم غير صادقين فى عبادتكم ، غير مخلصين فى إيمانكم ، ففتنتم أنفسكم ، وأوقعتموها فى البلاء ، وعملتم ما سبب لكم دخول النار ، وانتظرتم أن تدور الدوائر علينا ، فيهزمنا المشركون ، وينتصر علينا الكافرون ، وكنتم فى شك وريب من الدعوة إلى الإسلام ، فلم تصدّقوا فى الإيمان ، وخدعكم طول الأمل والأباطيل التى تُقدّرونها ، وتمنون أنفسكم بها ، من زوال الإسلام ، وانتكاس أمر المسلمين ؛ لقد ظللتم على هذه الحال ، حتى جاء

أمر الله ، وهلكتم وفارقتم الدنيا ، وعجزتم عن اكتساب صالحات الأعمال ، وخدعكم الشيطان ، وزين لكم النفاق بما وسوس فى صدوركم من الأمانىّ الكاذبة ؛ فاليوم لا سبيل إلى النجاة ، ولا يقبل منكم ولا من الكافرين أى فداء ، لتخرجوا من النار ؛ لقد ذهب الوقت ، وضاعت الفرصة ، والنار أولى بكم وأحق ، وهى بئس المصير الذى انتهيتم إليه !.

(٤)

من الآية ١٦ إلى الآية ١٩ من سورة الحديد

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألمْ يأن	ألم يأت الوقت ؟ .
أن تخشع قلوبهم	أن ترق قلوبهم وتذل وتلين .
وما نزل من الحق	والقرآن .

الألفاظ	شرحها
طال عليهم الأمد	طال عليهم الأجل، والوقت الذى جاء بعد نزول التوراة .
فقست قلوبهم	فلم تتعظ بالتوراة ، فتركوا الطاعات ، واتبعوا الشهوات .
فاسقون	خارجون عن دينهم .
إن المصّدّقين	إن الذين تصدّقوا .
قرضاً حسناً	القرض الحسن : أن يتصدق الإنسان من خير المال عن طيب نفس من مال حلال ، على المستحق للصدقة .
الصدّيقون	المؤمنون إيماناً صادقاً ، وهم أصدقاء الله وأحباؤه .
والشهداء عند ربهم	والذين قتلوا فى الجهاد شهداء عند ربهم يوم الحساب على أعمال العباد ، وهم العدول الذين تقبل شهادتهم .
أصحاب الجحيم	يلازمونها كما يلازم الصاحب الصاحب .

إن القلوب القاسية بعيدة من الله

رُوي أن المسلمين كانوا مجدبين بمكة ، فلما هاجروا أصابهم الرزق والنعمة : وشغلتهم شواغل الدنيا ، وفتروا عما كانوا عليه من عبادة الله ، ورقة القلب ، والخشية والانقياد لذكر الله ، فعوتبوا على ذلك، ونُبهوا على أن الاشتغال بالدنيا، وتعلّق النفس بها ، يميت القلب ، ويصرفه عن الطاعة ، ومراقبة الله فى عمله ، ونزل قوله تعالى : « ألم يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل

من الحق » ، وهذه الآية تنبه على ظاهرة اجتماعية شائعة بين الأمم ، وهى أن انقطاع الناس عن التذكير بالدين ، وتركهم العلم والمعرفة ، يؤدى بهم إلى قسوة القلوب ، وعدم تأثرها بالموعظة ، وذهاب خوفها من الله ، وعودتها إلى الجهل والضلال ؛ ولهذا ينبغى أن يقوم بين الجماعات دائماً من يذكرها بأمور الدين ، ويحيي قلوبها بالموعظة ، ويعيد إلى عقولها العلم والمعرفة ، وإلى نفوسها اليقين والهداية .

مجمل المعنى

١ — لقد نعى الله على المؤمنين تثاقلهم عن أمور الدين ، وتعلق نفوسهم بأمور الدنيا ، ونبههم على أن ذلك يقسّى القلب ، ويصرفه عن الطاعة والخوف من الله ، وهذا يؤدى إلى المعصية ، وشيوع الشر بين الناس ، فقال : ألم يحن الوقت للذين آمنوا بالله ، وانشرحت صدورهم بالهدى ودين الحق ، أن تخشع قلوبهم حين يذكرون الله ، ويسمعون ما أنزل إليهم من كتابه الحق ، فتطمئن به نفوسهم ، ويسارعوا إلى طاعة الله بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، من غير توان ولا فتور . ولا يكون شأنهم كشأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، حين كان كلٌّ من التوراة والإنجيل فى أول عهدهم به ، يحول بينهم وبين شهواتهم ، ويمنعهم من المعاصى والضلال ، فلما قدم عهدهم به ، وألفته نفوسهم ، ولم تتدبر مواعظه ، قست قلوبهم ، وغلبهم الجفاء ، وذهبت عنهم الروعة والخشية التى كانوا يستشعرونها من ذكر الله ، ولم يبق منهم على خوفه وإيمانه إلا قليل دخلوا فى الإسلام ، لما جاءهم به محمد ، وكثير منهم خارجون عن دينهم ، مائلون عما نزلت به كتبهم ؛ ألا فاعلموا أن الله يحيي القلوب الميتة ، ويبعث فيها الرقة واللين

والخوف بتذكره سبحانه وتعالى . وبتلاوة آياته، وتدبر ما فيها من هُدى وموعظة ، كما يحيي الأرض الموات ، فتنبت الزرع ، وتخرج الثمر ؛ ولقد بين الله لكم الآيات البينات ، والحجج الواضحات ، وضرب لكم الأمثال ، لعلكم تعقلون فتفكروا وتتدبروا ، وتأخذوا بما فيها من تكاليف وأحكام .

٢ — إن المتصدقين والمتصدقات ، الذين ينفقون الأموال فى مساعدة المحتاجين ، ودفع الضر عن الناس ، وتخفيف آلامهم وويلاتهم ، وكشف الجهل عن عقولهم، والذين أقرضوا الله قرضاً حسناً بالأعمال الصالحة ، والإنفاق عن سعة وسماحة فى خفية ، سيضاعف الله لهم أجرهم على ما تصدقوا وما وما أقرضوا ، وهذا الأجر الذى يعطيه الله إياهم ، هو أجر كريم فى نفسه ، محمود كل الحمد ، نقىّ من شوائب المنّ والعنت ، فكيف إذا كان يعطيه إياهم أضعافاً مضاعفة ؟

٣ — والذين آمنوا بالله حق الإيمان ، واتبعوا رسله فيما جاؤوهم به من الآيات والأحكام ، أولئك هم الصديقون الذين يرفع الله مكانتهم فى الآخرة ، ويعلى منزلتهم فى الجنة ، لأنهم بالغوا فى تصديق كل ما جاءهم به الرسل ، وجميع ما جاءهم من عند الله ؛ وسيخصهم الله بالكرامة ، فيجعلهم شهداء على أنفسهم وعلى غيرهم ، لأنهم مقربون عند الله ، مستحقون لحسن الثقة، ولهم أجرهم وثواب أعمالهم، ونورهم الذى يهتدون به إلى الجنة ؛

٤ — والذين كفروا بالله ، وكذبوا بآياته ، أولئك أعداء الله ، المسؤولون بين يديه عما فعلوا ، وأولئك هم أصحاب الجحيم، يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه ، لا يفارقونها ، بل يخلدون فيها أبداً .

(٥)

من الآية ٢٠ إلى الآية ٢١ من سورة الحديد

اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث
أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما
وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة
الدنيا إلا متع الغرور ﴿٢٠﴾ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿٢١﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لعب	اللعب : ما رغّب فى الدنيا .
ولهو	اللهو : ما ألهى عن الآخرة .
وتفاخر بينكم	يفتخر بعضكم على بعض بأمور الدنيا ، من قوة ومال ونسب .

الألفاظ	شرحها
الكُفَّار	الزُّراع ، لأنهم يكفُرون البذر فى الأرض ، أى يغطونه ويستّرونه .
يهيج	يجف بعد خضرته .
حُطاماً	فُتاتاً متهشماً متكسراً كالتبن .
وفى الآخرة عذاب	وللكافرين فى الآخرة عذاب .
ومغفرة	وللمؤمنين مغفرة .
متاع الغرور	متاع يَغُر ويُلهى عن الآخرة .
سابقوا إلى مغفرة من ربكم	سارعوا بالأعمال الصالحة التى توجب المغفرة لكم من ربكم .
عرضها كعرض السماء والأرض	تمثيل للعباد بسعة الجنة بأوسع شىء يقع فى عقولهم وتصورهم ، وهو السماء والأرض .
ذلك فضل الله	ذلك النعيم استحقوه بفضل الله ، الذى ربط نعيم الجنة بالأعمال الصالحة .

مجمل المعنى

١ — نفَّر الله سبحانه وتعالى من التعلق بالدنيا بتهوين شأنها ، وتحقير أمرها ، فذكر الله مخاطباً عباده : أن الحياة الدنيا التى تشغل بالكم ، وتستهوى نفوسكم ، ما هى إلا عبث ، ولعب كلعب الصبيان ، ليس فيه جدوى ، ولا من ورائه طائل ، بل يعقبه خمود وهمود ، وانقباض وسكون ، وهى لهو يصرف الإنسان عن الجد ، ويشغله عن الآخرة ، ويلهيه عن الصواب ، وهى زينة مصيرها إلى زوال ، ومآلها إلى تغيّر ، وهى مفاخرة بالأحساب

والأنساب — وكل الناس لآدم، وآدم من تراب وإلى تراب — وتكاثر ومباهاة بالأموال والأولاد — والأموال عَرَض يجيء ويذهب ، والأولاد ودائع الله تُعطَى وتؤخذ — فما قيمة دنيا قوامها أمور فانية، وأعراض زائلة، ومظاهر مستعارة، ما أعطت إلا لتأخذ ، وما أحلَت إلا لتُمِرّ ، وما أضحكت إلا لتُبكى، وما زهت إلا لتجيفّ؛ وإنما مثلها كمثل مطر يصيب الأرض فيرويها ، فتنبت الزرع ، ويخضرّ ويربو ويترعرع ، فيقف الزُّرّاع عليه مُعْجَبِين بنباته وخضرته، متوقعين الخير من الحب والثمر، معلقين عليه الرجاء والأمل ، ثم تصيبه آفة ، أو ينقطع المطر ، فيذبل الزّرْع ، ويصفرّ ورقه ، وتجف أعواده ، ويتفتت ويتكسر ، ويصبح هشيماً حطاماً كالتبن ، ويذهب رواؤه وحسنه ، وتذروه الرياح ، ويصير كأن لم يَغنَ بالأمس ، وكأن لم يكن حسناً بهيجاً يُقر العين ، ويشرح الصدر ؛ فمن غرته الدنيا فمضى فى ركابها ، وتلهى عن الآخرة ، فله فيها عذاب شديد ؛ ومن تذكر الآخرة ، سعى لها سعيها وهو مؤمن ، فله مغفرة من الله ورضوان؛ وليست الحياة الدنيا لمن اطمأنوا لها، وانغمسوا فى شهواتها ، وأضلتهم عن سواء السبيل ، ولم يجعلوها ذريعة للآخرة ، إلا متاع المغرور الغافل عن الآخرة ؛ قال سعيد بن جُبَيْر : الدنيا متاع الغرور ، إن ألهتك عن طلب الآخرة ؛ أما إذا دعتك إلى رضوان الله تعالى فنعم المتاع ، ونعم الوسيلة .

٢ — تسابقوا وسارعوا مسارعة المتسابقين لأقرانهم فى مضمار الخير ، للحصول على مغفرة الله واكتساب رضوانه ، بالإيمان والطاعة ، وللوصول إلى مكانكم

فى الجنة العريضة كعرض السماء والأرض، الوسيعة فى ملكوت الله جل وعلا؛ ووصْفُ الله الجنة بالعرض والطول، تمثيل لما تدركه عقولنا، وتقريب لما يقع فى حدود أفكارنا ؛ وقد أعدها للذين آمنوا بالله ورسوله ، ومعنى ذلك : أن الإيمان الصادق ، والاعتقاد الصحيح ، يؤدى إلى دخول الجنة؛ فاللهم هب لنا إيماناً صادقاً ، واعتقاداً صحيحاً ؛ والإيمان الصادق يقضى أن نتَّبع ما أمر الله به، ونجتنب ما نهى عنه — وهذا الإيمان الذى يقتضى ثواب الجنة فضل من الله ، يهدى إليه من يشاء من عباده ، ويؤتيه من أراد من خلقه ، والله صاحب الفضل العظيم ، ومن كان فضله عظيماً فثوابه أعظم ، ورحمته أوسع .

(٦)

من الآية ٢٢ إلى الآية ٢٤ من سورة الحديد

مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
من مصيبة	مما يصيبكم من خير أو شر.
فى كتاب	مكتوبة مثبتة فى علم الله .
من قبل أن نبرأها	من قبل أن نخلقها .
لكيلا تأسوا	لكيلا تحزنوا ولا تتبعوا ، ما فاتكم بالغم .
مُختال	متكبر ، لتخيله اختصاص نفسه بالفضائل .
فخور	شديد المباهاة بالأشياء التى تدعو إلى المفاخرة ، كالمال والجاه .

مجمل المعنى

١ – كل ما يصيب وما أصاب الأرض والناس من خير أو شر ، وكل ما يقع أو وقع فيها من نفع أو ضر ، ثابت فى علم الله ، هو يحيط به ، وهو يعلمه علماً تامًّا من قبل أن يخلق الأرض ، ويوجد الناس عليها ، فالقحط والجدب ، والزلازل وآفات الزروع والثمار ، وغلاء الأسعار ، والسيول الجارفة ، والخصب والعيون المتفجرة ، والأنهار الجارية ، والرخاء ، وآبار الزيت والمناجم ، والكنوز وغيرها ، ثابت فى علم الله ، لا تعزب عنه مثقال ذرة ؛ وكل ما يصيب النفوس من أمراض وعلل ، وجوع وخوف ، وفقد أهل وولد ، وكفر وعصيان ، وصحة وشبع ، وأمن وقرة عين ، وهدى وإيمان ، ثابت فى علم الله ، لا يغيب عنه قبل خلقه السموات والأرض ؛ والله سبحانه وتعالى الذى أوجد هذا الكون ، وأبدع خلق السموات والأرض ، يسير عليه أن يعلم ما يجرى فيهما قبل أن يخلقهما .

٢ – وقد أخبر الله أن ما يصيب الأرض والأنفس ثابت مكتوب ، لكيلا يشتد حزن الناس على ما فاتهم من خيرات ، ولا يشتد فرحهم بما أعطوا منها ، وليس المقصود أن الله يطلب منا ألا يكون منا مجرد فرح على ما نُعطى من خير ، ومجرد حزن على ما يفوتنا منه ، فإن الفرح والحزن من أمور الدنيا التى لا بد أن تحدث ، وهما مَرْكوزان فى طبيعة الإنسان ، بل يطلب منا ألاّ يطغى الفرح على نفوسنا ، وألا يتملكنا الأشَر والبطر إذا أوتينا المال أو القوة ، أو الجاه والنفوذ ، وألا يشتد حزننا على ما يصيبنا من شر ، وألا يكون معه جزع وضعف إيمان ؛ وفى التسليم بأن كل شىء من عند الله

تسلية للنفوس إذا أصابها ضر ، وتقوية لإيمانها إذا نالها خير ، وفيه نزوع وحفز إلى طلب الآخرة ، وبعد عن شدة الحرص على الدنيا ، وعدم المشاحّة فى التعامل ، وترك للحسد والحقد ؛ والله سبحانه وتعالى لا يحب المتكبرين ، الذين يفاخرون الناس ويباهونهم بما عندهم ، لأن الفخر والكبر يبعدان عن تذكر نعمة الله ، ويؤذيان عباده .

٣ ـ وقد ذكر الله من الصفات الذميمة للمتكبرين الفخورين ، أنهم يبخلون ، ويأمرون الناس بالبخل ، ذلك بأن المختال الذى يطغيه المال ، ويرى فيه سبب عزه وجاهه ، يحرص عليه كل الحرص ، ويمسكه فلا ينفق منه فى منافع العباد شيئاً ، ويصير الحرص لازماً له ، وطبيعة فيه ، بل يراه فضيلة يأمر الناس بها ، ويحثهم عليها ، لكن الله غنى عن الإنفاق ، لا يضره إعراض الناس عنه ، والناس هم الذين يضرون أنفسهم بحرصهم وبخلهم ؛ ومن يتولّ ويعرض عما أمر الله به ، فقد ظلم نفسه ، وحرمها الثواب والأجر ، وساقها إلى العقاب ، وجلب عليها الحرمان ، والله هو الغنى عن عباده ، المحمود فى كل أفعاله .

(٧)

من الآية ٢٥ إلى الآية ٢٧ من سورة الحديد

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بالبينات	بالأدلة والمعجزات .
والميزان	مقاييس العدل وحدوده بين الناس ، وسلوكهم وفق ما فى الكتب .
بالقسط	بالعدل .
وأنزلنا الحديد فيه بأس	وخلقنا الحديد فيه شدة فيما خُلق له .
قفَّيْنا على آثارهم	جئنا بعدهم وعلى إثرهم برسلنا متتابعين ، نبيًّا بعد نبىّ .
ورهبانية ابتدعوها	الرهبانية : رفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن ، والتعبد فى الأديرة ، وابتدعوها : أحدثوها من عند أنفسهم .
ما كتبناها عليهم	ما أمرناهم بها ، ولا فرضناها عليهم .
إلا ابتغاء رضوان الله	لكنهم أحدثوها بغية التقرب إلى الله ، والفوز برضوانه .
فما رَعوها حق رعايتها	فما قام بها مَنْ جاء بعدهم حق القيام .

مجمل المعنى

١ — يؤكد الله أنه أرسل رسله ومعهم الحجج الواضحة ، والبراهين القاطعة ، التى تدل على أنهم رسله إلى عباده ، اصطفاهم ليهدوهم ويرشدوهم إلى الإيمان ، واتباع أحكام الدين التى تكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة ، وأنه

أنزل معهم الكتب السماوية ، متضمنة للعقائد والأخلاق ، ونظام الأسرة والمجتمع ، وأصول التعامل بين الأفراد والجماعات ، ليدعوا الناس إلى اتباعها ، والسير على هديها ، وأنزل فى هذه الكتب مقاييس العدل وحدوده ، بما بين فيها من شرائع وأحكام ، وهذه المقاييس والحدود التى وضعت للعدل بين الناس ، هى الميزان ، وذلك ليقوم الناس باتباع ما جاء فى هذه الكتب ، وتنفيذ ما وضع فيها من حدود وأحكام بالقسط والعدل ، فيأخذ كل حقه مستوفى غير منقوص ، وفق أحكام الله المنزلة ؛ وكما بعث الله الرسل إلى العباد ، وأنزل معهم الكتب ، ورسم لهم الحدود والشرائع ليعملوا بها ، وَفق النّصَفة والعدل والقيام بالقسط ، قد خلق الحديد ، وجعل فيه بأساً وشدة ، ووسيلة للقوة والرهبة ، والقتل والتنكيل والأسر ، كما أودع فيه للناس منافع كثيرة ، ليستعملوه فيما خلق له ، من دفع بغى وعدوان ، وفى النكاية بأعداء الله الظالمين عباده ؛ وقد أنزل الله الكتاب والميزان والحديد ، ليعلم الله علماً يتعلق به الجزاء والحساب ، مَن ينصره وينصر رسله بالحجج والبراهين المنتزعة من الكتاب المنزل ، وبإقامة العدل ، ووضع الميزان ، واتباع الحدود ، وتنفيذ الأحكام ، وبإعلاء كلمة الله ، والجهاد فى سبيله بآلات الحرب والقتال ، وهو غائب عنهم لم يروه بأعينهم ، ولكنهم عرفوه بالأدلة القائمة فيما خَلق لهم ، وأنزل عليهم ، ولم يخلق الله الحديد ذا البأس والقوة رغبة فى أن ينصره العباد ، فإنه قوى قاهر ، غنى عن نصرتهم بقدرته وعزته ، وإنما خلق الحديد ،

وكلفهم الجهاد ، لمنفعة أنفسهم ، وتحصيل ما يترتب لهم من الثواب ؛ وقد ذكر الله للحديد فائدتين :

الأولى : أن فيه البأس والشدة والنكاية ، فآلات الحرب جميعها منه ، خصوصاً إذا أريد بالحديد جنس المعادن كما قال بعض المفسرين ، فمنه البنادق والمدافع ، والسيارات والمصفحات والدبابات ، والغواصات والطرادات والبوارج ، كما كان منه قديماً السيوف والرماح ، والدروع والخناجر .

والثانية : أن فيه منافع للناس ، وذلك واضح ، فما من شيء من ضروريات الحياة أو كمالياتها ، إلا وللحديد دخل فيه ، فسفن الملاحة ، والسكة الحديدية ، والقُطُر ، وأدوات الحرث والزرع والحصد ، والدرس والطحن ، والغزل والنسج ، وآلات البناء ومواده ، وآلات الطباعة ، وأدوات الزينة ، كل ذلك من الحديد أو راجع إليه .

ولقد امتنّ الله على عباده بالحديد ، ولم يمتنّ عليهم بما هو أغلى منه قيمة كالذهب والفضة ، لأنه أعم وجوداً وأكثر فائدة ، وأسهل تناولا ، وأرخص ثمناً ؛ ومن نعم الله على عبيده ، أنه سهّل وأكثر كلّ ما تشتد حاجة الناس إليه ، وجعل أعظم الأشياء قيمة فى الحياة ، أكثرها وأسهلها تناولا ، وإلا فما فائدة الناس من الجواهر إذا قيست بالهواء والماء ، والبُرّ والشعير ؛ وإذا نظرنا إلى الأطعمة ، وجدنا ما هو لازم وضرورى منها ، أرخص ثمناً مما هو غير لازم .

٢ — ويؤكد الله تعالى أنه أرسل نوحاً إلى قومه ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وأرسل إليهم إبراهيم وهو من ذرية نوح ؛ ومن ذرية إبراهيم الأنبياء الذين جاءوا بالكتب الأربعة : التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ،

فالنبوة والكتاب لا يخرجان عن ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام ، ولذلك خصهما الله بالذكر ، فمن ذراريهم من اهتدى بكتب الأنبياء واتبعها ، ومنهم من فسق عن أمر ربه ، وضل السبيل ، وخرج على الدين الحق وكفر به ، أو بقى فيه ، لكنه ارتكب الإثم والفسوق والعصيان ، وهم كثيرون .

٣ — ثم أرسل الله عقب نوح وإبراهيم رسلا متتابعين ، رسولا بعد رسول ، حتى انتهى الأمر إلى عيسى ابن مريم ، فآتاه الإنجيل ، وجعل الله فى قلوب الذين اتبعوه وآمنوا به رأفة ورحمة على عباده ، كما جعلهم رحماء فيما بينهم ؛ لكنهم لما اشتد إيذاء بعض الجبابرة من الملوك بهم ، أحدثوا الرهبنة وابتدعوها ، طلباً لرضوان الله ، وابتغاء ثوابه ، ولبسوا المسوح ، والخَشِن من الثياب ، وتعبدوا فى الأديرة والكهوف والمغارات ؛ ولم يكتب الله هذه الرهبنة ، ولم يفرضها على اتباع عيسى عليه السلام ، لكنهم هم الذين أحدثوها ، فرعاها الأولون المخلصون حق رعايتها ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يرعوا الرهبنة حق رعايتها ، فاتخذوها للرياء والشهرة وضمُّوا إلى الرهبنة التثليث ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمن به بعضهم ، فآتينا الذين آمنوا منهم نصيبهم من الأجر والمثوبة ، وكثير منهم فسق عن أمر ربه ، وظل على كفره وإلحاده .

(٨)

من الآية ٢٨ من سورة الحديد إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كفلين	نصيبين .
لئلا يعلم	ليعلم ، ولا : زائدة .
أهل الكتاب	الذين لم يُسلموا من أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى .
أن لا يقدرون على شىء من فضل الله	أنهم لا ينالون شيئاً مما ذُكر من فضل الله ، من الكفلين والنور والمغفرة .
بيد الله	بقدرته وتصرفه .

مجمل المعنى

١ — خاطب الله المؤمنين من أهل الكتاب ، وطلب إليهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم نصيبين من الأجر : نصيباً للإيمان بالأنبياء السابقين ، ونصيباً لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم أن يجعل لهم النور الذى يسعى بين أيدى المؤمنين وبأيمانهم يوم القيامة ، هادياً لهم إلى الجنة ، ووعدهم أن يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم ، وهو واسع المغفرة لمن رجع إليه من عباده ، كثير الرحمة لمن اهتدى واتبع سبيل الرشاد .

٢ — وهذا الخطاب وجهه الله إلى من كانوا مؤمنين بموسى وعيسى ، وطلب إليهم فيه الإيمان بمحمد ، ووعدهم أن يضاعف الأجر على ذلك مرتين ، زيادة على النور والمغفرة ، ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أنهم لا يقدرون على شيء مما ذكر من فضل الله ، وأنهم لا ينالون ثوابه ومغفرته ، إلا بالإيمان بمحمد ، وأن إيمانهم السابق بموسى وعيسى لا ينفعهم ، ولا يكسبهم فضلا ، إلا إذا أتبعوه بالإيمان بمحمد ، وأن الفضل والثواب بيد الله ، يؤتيه من يشاء من عباده ؛ والله صاحب الفضل العظيم على الناس أجمعين ، ليس لفرد من الناس ، ولا لأمة من الخلق .

الجـزء الثـامن و العشـرون

سورة المجادَلة

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٢٢ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا

أَيَٰتٍۢ بَيِّنَٰتٍۢ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قد سمع الله قول	استجاب الله دعاء .
تجادلك فى زوجها	تحاورك وتراجعك الكلام فى شأن زوجها .
وتشتكى إلى الله	وتظهر إلى الله ما بها من مكروه .
يسمع تحاوركما	يعلم تراجعكما الكلام وتخاطبكما .
إن الله سميعٌ بصيرٌ	إن الله لا يخفى عليه شىء من الأصوات ، عليمٌ بأحوال جميع الناس .
الذين يظاهرُون منكم من نسائهم	الذين يقولون لزَوْجاتهم : أنتن علينا كظهور أمهاتنا ، أى : محرمات علينا .
ما هن أمهاتهم	ليس نساؤُهم أمهات لهم فى الحقيقة .
إن أمهاتهم إلا اللائى ولَدْنهم	ليست أمهاتهم فى الحقيقة إلا اللائى ولدْنهم من بطونهن .
منكراً من القول	كلاماً فظيعاً يُخالفُ الشرْعَ .
زُوراً	كذباً وباطلاً

الألفاظ	شرحها
إن الله لعفوٌّ غفورٌ	إن الله كثير العفو والمغفرة لمن ارتكب إثم الظِّهار .
يعودُون لما قالوا	يرْجعون عن قولهم ، ويرْغبون فى الاستمتاع بزوجاتهم .
فتحرير رقبة	فعليه أن يمنح عبداً حريته .
منْ قبل أنْ يتماسا	من قبل أن يستمتعَ كل منهما بالآخر .
ذلكم	الحكمُ بالكفارَة .
توعظُون به	تُزْجرُونَ بهذه الكفارَة ، لارْتكابكم هذا المنكر .
متتابعين	لا يفصَل يومٌ عن يوم ، ولا شهرٌ عن شهر بفطر .
لتؤمنوا بالله ورسوله	لتصَدّقوا بما جاء به الرسولُ ، وتعملوا بما أمركم به الله ، وتتركوا ما كنتم عليه فى الجاهلية .
حدُودُ الله	شرائعه وأحكامه التى لا يجوزُ تعديها .
وللكافرين عذابٌ اليم	وللجاحدين المتعدين حدودَ الله عذابٌ مؤلمٌ .
يحادونَ اللهَ ورسوله	يعادُونَ اللهَ ورسوله ، فيتخذون لهم شرائع غير الشرائع التى أنزلها الله على رسوله .
كُبِتوا	أُذلوا وأُخزُوا .
آيات بينات	حججاً وأدلة واضحات من القرآن .
مهينٌ	يهينهم ويخزيهم .
يبعثهم	يحييهم بعد الموت ، ليحاسبهم على أعمالهم فى الدنيا .
فينبئهم	فيخبرهم .

قصة هذه الآيات

كانتْ خوْلةُ بنتُ ثعلبةَ الأنصَارية، زوجة لأوْس بن الصامت، فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أوْسٌ رجلا سريعَ الغضَب ؛ وقد طلبَ من زوجته أمراً فلم تجبهُ إليه ، فغضب منها ، وقال لها : أنت علىّ كظهر أمى . وكان من عادة أهل الجاهلية ، أن الرجلَ إذا قال لامرأته هذا الكلام ، طلقت منه ، وحرُمت عليه ؛ وسمى هذا الكلام ظِهاراً ، فحزنت المرأةُ ، وندمَ زوجها على ما حصَلَ ، وقال لها : ما أراك إلا قد حرُمت علىّ ؛ وكان هذا أول ظهار حدَثَ فى عهد النبي ، ولا يعرف الناسُ حكمَ الإسلام فيه .

فذهبت المرأةُ ، وقصتْ على رسول الله ما حصلَ من زوجها ، لعله يُفتيها بشىء ، ويجمعُ بينهما ، وتعودُ حلالا إليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أُمِرْنا فى شأنك بشىء » : أىْ لم ينزلْ علىّ الوحى فى أمرك هذا بشىء ، فقالت المرأةُ : أشكو إلى الله حالى وفقرى ، وأنه زَوْجى وابنُ عمى ، ولى منه صبية صغار ، إن ضممتهم إلىّ جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضَاعوا ، تزَوجنى وأنا شابةٌ ذات مال وأهل ، فلما ذهب شبابى ، وأنفق مالى ، وتفرق أهلى — ظاهر منى وتركنى ، فاستجاب الله دعاء هذه المرأة ، وأنزلَ فى أمرها هذه الآيات الكريمة ، وحرّم على الرجال الظهار ، ولم يجعله طلاقاً ، كما كان متبعاً فى الجاهلية .

مجمل المعنى

١ — قد استجابَ اللهُ دعاء المرأة التى جاءتْ إليكَ يا محمدُ لتستفتيكَ فى أمر زَوْجها ، وتراجعك الكلامَ فى شأنه ، واللهُ يسمعُ الحديثَ الذى حصَلَ بينكما ، لأنه سبحانهُ وتعالى يسمعُ كل من يناديه ، ويُنصفُ كل من يتضرعُ إليه .

٢ — واللهُ — سبحانهُ وتعالى — قد استنكرَ الظِّهارَ من الرجال فى الإسلام ، وحرمه عليهم ، وزَجرَ المظاهرين من نسائهم ، لأنهم يُشبهون الزوْجات بالأمهات ، والزوْجةُ لا تكون أمًّا ، لأن الأم محَرمةٌ على ابنها ، والزوجةُ حلالٌ لزوجها ، وأمُّ الرجل هى التى وَلدَتهُ ، وزَوْجتهُ لم تلدهُ ، فكيف تكونُ زوجتهُ كأمه ؟ ! وهؤلاء الذين يظاهرونَ من نسائهم ، ويجعلونَ زوجاتهم كأمهاتهم — يقولون كلاماً منكراً يخالفُ الشرعَ ، وكذباً باطلا فى الحقيقة ، واللهُ يعفو عن المذنبينَ ، ويغفرُ لهم إذا كفَّرُوا عن خطاياهم ، ولم يعودُوا إلى ذُنُوبهم .

٣ — وقد أوْجبَ اللهُ على المظاهرين إذا أرادوا أنْ يعودوا إلى زوجاتهم ، ويتدَاركوا ما سبقَ إليه لسانهم — أن يكفِّرُوا قبل الاستمتاع بهن ؛ وكفارةُ الظِّهار على ثلاثة أنواع ، وهيَ مرتبةٌ ، فلا يجوزُ أن ينتقل المظاهرُ إلى النوْع الثانى حتى يعجز عن الأول ، ولا ينتقلُ إلى النوع الثالث حتى يعجز عن الثانى :

الأول : تحريرُ رقبة ، أىْ عتقُ عبد من الرق وجعله حرًّا ، سواءٌ أكانت هذه الرقبةُ ذكراً أم أنثى ..

والثانى : صيام شهرين متتابعين : أى متوالية أيامهما بالصوم، فلا يُفصل بالفطر يومٌ عن يوم ، أو شهرٌ عن شهر.

والثالث : إطعامُ ستين مسكيناً مرة واحدة، طعاماً من غالب قوت البلد .

هذا حكمُ الله فى الظهار بيَّنهُ لكم، لتؤمنوا بما شرَعه اللهُ لرسوله، فتصدقوه وتعملوا به ، وهذه حدود الله وشرائعه ، يجب أن تتبعوها ، وللكافرين الذين يجحدون شرائعَ الله ويخالفونها عذابٌ أليمٌ .

٤ — والذين يعادُون اللهَ ورسوله ، مع ما أنزلَ على الرسول من الحجج الدالة على صدقه ، وصحة ما جاء به ، فيخالفون شرائعهُ — لهم الذل والهلاك فى الدنيا ، كما أذل اللهُ من سبقوهم من كفار الأمم السالفة وأهلكهم ، ولهم فى الآخرة عذابٌ مهينٌ يومَ يبعثهم اللهُ من الموت ، فيحاسبهم فى الآخرة على أعمالهم فى الدنيا ، التى يعددها عليهم واحدة واحدة على رؤوس الأشهاد ، تشهيراً بهم، وتوبيخاً لهم ، لا يترك منها كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها الله عليهم ، وإنْ كانوا قد نسُوها ، والله على كل شىء شهيدٌ ، يسعُ علمه كل ما فى السموات وما فى الأرض .

(٢)

من الآية السابعة إلى الآية العاشرة من سورة المجادلة

أَلَمْ تَرَ

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ
رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ
إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا
عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ
حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ
حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ
فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا بِالْبِرِّ
وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَٰنِ
لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألم ترَ أن الله يعلمُ ما فى السموات وما فى الأرض	ألم تعلمْ أن اللهَ يحيطُ علمهُ بكل شىء ؟
ما يكون من نجوىَ ثلاثة إلا هو رابعهم	لا يحصُل سرٌ بين ثلاثة إلا علمه اللهُ ، كأنه رابعٌ معهم .
ولا أدْنَى من ذلك	ولا أقل من هذا العدد
أينما كانوا	فى أى مكانٍ كانوا
ينبئهم بما عَملوا يومَ القيامة	يخبرهُم يومَ القيامة بالذى عملوه فى الدنيا ، إظهاراً لقبائحهم
نهوُا عن النجوىَ	طُلبَ منهم أنْ يكفوا عن المسارَّة التى تؤْذى المؤْمنين .
ويتناجوْن بالإثم والعدْوان	يتسارُّون بالذنب والظلم والجوْر
ويقولون فى أنفسهم	يقولُون فيما بينهم
لوْلا يعذبنا اللهُ بما نقول	إن كان محمدٌ نبيًّا كما يزْعم ، فلماذا لا يعذبنا اللهُ بدعائنا عليه .
حسبهم جهنمُ	تكفيهم جهنمُ
يصلوْنها	يدْخلُونها ويقاسون عذَابها
فبئس المصيرُ	فبئس المرْجعُ والمآلُ : جهنم !
تناجيتم	تحدثتم حديثاً سرًّا فيما بينكم
بالبرِّ والتقوى	بالخير والخوف من الله
تحشرُون	تجمعُون أمامه يومَ القيامة ليحاسبكُم على أعمالكم .

الألفاظ	شرحها
إنما النجوىَ من الشيطان	المسارَّة التى تكون فى الإثْم والعدوان من عمل الشيطان.
ليحزُنَ الذينَ آمنوا	ليؤدِّى هذا إلى حزْن المؤمنين ، لتوَهمهم أن المسارة بسبب نكبة أصابتهم
وليسَ بضاَرهم شيئاً	ولا يضر المؤمنينَ أنْ يتحدثَ المنافقون عنهم فى السرِّ.

قصة هذه الآيات

كان قومٌ من اليهود والمنافقين يجتمعون ويتحدثون فى السر بما يؤْذى المؤمنين ، ويوصى بعضُهم بعضاً بمعصية الرسول ومخالفته .

وكان المؤمنون إذا مروا بهم يتغامزُون بأعينهم ، وتتحرك ألسنتهم وشفاههم بكلام خافت لا يفهمهُ المؤمنون، فيحسبون أنهُم يتحدثُون عن أبنائهم وإخوانهم وأقربائهم الذين خرَجوا للجهاد والقتال فى سبيل الله. ويظنونَ أن اليهودَ والمنافقين بلغهم عنهم أنهم قتلوا أو هزُموا ، فيحزَنون لذلك أشد الحزْن .

فلما طال ذلك ، واستمرّ هذا الحالُ من اليهود والمنافقين ، شكا المؤمنون أمرَهم إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فأمر النبى هؤلاء المنافقين واليهود أن يكفُّوا عن المناجاة بشأن المسلمين ، أى يتركوا الحديثَ الذى يتحدثُونَ فيه سرًّا فيما بينهم ولا يسمعه المؤمنون ، حتى لا يحزَنوا ، لكن المنافقين واليهود لم ينتهُوا ، واستمروا فيما يغيظ المؤمنين ويحزنهم من أمر هذه المناجاة

لم يقتصرْ المنافقون واليهود على هذا الكيد للمسلمين ، لكنهم كانوا يجيئون إلى النبى فيقولون له : السَّامُ عليك يا محمد : ومعنى السام : الموتُ ، فكأنهم بدلا من أن يحيوا النبى بكلمة طيبة، يدْعونَ عليه بالموت ، وهم يوهمُونَ الناسَ أنهم

يقولون : السلامُ عليكَ يا محمدُ ، والنبى صلى الله عليه وسلم يسمعُ حقيقة ما يقولون ، فيرُد عليهم بقوله : « عليكم » .

وفى ذات مرة سمعتهم السيدةُ عائشةُ وهم يقولون للنبى : السامُ عليك يا محمدُ ، فغضبت وقالت : بلْ عليكم السامُ واللعنةُ ، فلم يرْضَ النبى أن تستعملَ ألفاظاً مثل ألفاظهم ، وأراد لها أن يعتاد لسانها أدبَ الخطاب ، حتى مع الأعداء والسفهاء ، فقال لها : « مهلا يا عائشة ، إن اللهَ يكرَهُ فاحشَ الكلام ، بل قولى لهم مثل ما قلتُ : عليكم ، واسكتى » ؛ نِعم ما أدب اللهُ به نبيهُ عليه الصلاة والسلام ! وفى هذه القصة نزلت الآياتُ الكريمةُ السابقةُ .

مجمل المعنى

١ — ألم تعلمْ يا محمدُ أن اللهَ مطلعٌ على كل شىء فى السموات وفى الأرض ، ما ظهرَ منهُ وما بطنَ ؟ وأنه يعلمُ السر الذى يقعُ بين أى عدد من الناس ، فيعلمُ السر الذى يقعُ بين ثلاثة أشخاص ، كأنه رابعٌ بينهم ، وبين خمسة أشخاص ، كأنه سادسٌ معهم ، ويعلم السر الذى يقعُ بين عددَ أقل من ذلك أو أكثر ، فى أى مكان كان هذا السر : فى داخل بناء أو فى خلاء ، بعيداً عن أعين الناس أو تحتَ أعينهم ؟ وسيخبر اللهُ هؤلاء الناسَ يومَ القيامة بما عملوا فى الدنيا ، لأنه بكل شىء عليمٌ .

٢ — ألم تعلمْ يا محمدُ حالَ أولئكَ اليهود والمنافقين ، الذينَ طلبتَ منهم أن يترُكوا المناجاةَ وإسرارَ الحديث فى أذَى المؤمنين ، ومَعصية الرسول ، فكانوا يعودون إلى ارتكاب ما نهيتهم عنه ؟ وإذا جاءُوك حيوك بسفاهة ودُعاء عليك ؛ واللهُ سبحانه وتعالى يدْعوك بخير دُعاء ، فيقول لك : «يأيها الرسولُ» ، ويحييك بأطيب تحية فيقول : «وسلامٌ على عباده الذين اصْطفى» ؛ وكانوا

يقولون : ماله إنْ كان نبياً لا يدْعو علينا حتى يعذبنا اللهُ بما نقول فيه ؟!
يكفيهم عذابُ جهنمَ الذى ينتظرُهم ، وجهنمُ بئسَ المآلُ والمصيرُ ! .

٣ — وقد نهى اللهُ المؤمنين أن يفعلوا مثل ما يفعله اليهودُ ، فقال لهم : إذا تناجيتم وتساررْتم ، فلا تتناجوْا بالشر والمعصية ، ولكن تناجوْا فى أفعال الخير والطاعة والخوف من عذاب الله ، الذى يحاسبُ الناسَ يوم القيامة على أعمالهم ، لأن المناجاةَ فى الشر والعدوان ومعصية الرسول ، من وساوس الشيطان ، ليحزن بها المؤمنين ؛ وإذا كان يُقصَدُ بها ضررُ المؤمنين ، فإن المؤمنين لا يضرهم شىءٌ إلا بإذن الله وإرادته ومشيئته ؛ والمؤمنون يجب أنْ يتوكلوا على الله فى جميع أمورهم ، ولا يخشوْا من إنسان ضرراً ، ولا يترقبوا منه نفعاً إلا بإذن الله .

(٣)

من الآية ١١ إلى الآية ١٣ من سورة المجادلة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تفسحُوا فى المجالس	توسّعوا فى المجالس، ولا يضايق بعضكم بعضاً فيها .
فافسحوا يفسح اللهُ لكم	فليوسّعْ كلٌّ منكم لغيره ، يوسّع اللهُ لكم فى رحمته ، ومنازل جنته .

الألفاظ	شرحها
انشزوا	انهضوا لتوسعوا للمقبلين عليكم .
يرفع اللهُ الذين آمنوا	فإن نهضوا يرفعهم الله بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا ، ويبؤهم فى غرف الجنات فى الآخرة .
والذين أوتوا العلمَ درجات	ويختص العلماءَ لعلو شأنهم بدرجات فوقَ درجات المؤمنين .
إذا ناجيتمُ الرسولَ	إذا أسررتم إليه حديثاً .
فقدموا بين يدىْ نجواكم صدقة	فتصدقوا قبل مناجاة الرسول .
ذلك	تقديمُ الصدقة قبل المناجاة .
وأطهرُ	أزكى لنفوسكم .
أأشفقتم أنْ تقدموا بين يدىْ نجواكم	أخفتم ذهابَ المال فى الصدقة ، وبخلتم أن تقدموه قبلَ مناجاتكم ؟
فإذْ لمْ تفعلوا	فإذْ لم تقدموا الصدقةَ قبلَ المناجاة عجزاً منكم ، أو بخلا بما لكم .
وتابَ اللهُ عليكم	خففَ الله عليكم ، وأزالَ عنكم المؤاخذةَ بتركِكم تقديمَ الصدقة قبلَ المناجاة

الصُّفَّة

الصُّفَّةُ من البنيان : شبهُ البهو الواسع ، الطويل السَّمْك ، وتطلق الصُّفَّة أيضاً على موضع مظلل فى مسجد المدينة ، كان يأوى إليه فقراءُ المهاجرين ، ممنْ لم يكنْ له منزلٌ يسكنه .

مجمل المعنى

١ — كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس فى الصُّفة يوْم الجمعة، فتضيقُ بالجالسين ، لأن كل قادم إلى المسجد كان يريد أنْ يأخذَ مكانهُ بالقرْب من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكان عليه الصلاةُ والسلامُ يكرمُ أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء أناسٌ من أهل بدر فيهم ثابتُ بن قيس، وكان فى أذُنيه وقرٌ (ثقل فى السمع) ، وقد سُبِقوا إلى المحل القريب من النبي ، فقاموا حيال النبي على أرْجلهم، ينتظرون أنْ يوَسَّع لهم ، فلم يفسحْ لهم أحدٌ ؛ فشق ذلك على النبي ، وقال لمن حوْله من غير أهل بدر : قمْ يا فلانُ ، وأنتَ يا فلانُ ، بعدد القائمين من أهل بدر ، فشق ذلك على من أقيمَ ، وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهيةَ فى وجوههم ، وغمزَ المنافقون ، وقالوا : ما أُنصِفَ هؤلاء، وقد أحبُّوا القربَ من نبيهم ، فسبقوا إلى المكان، فأنزل اللهُ عز وجل: « يأيها الذين آمنوا ، إذا قيل لكم : تفسحوا . . . »

٢ — وفى هذه الآيات أمرَ اللهُ تعالى المؤمنين بما يكون سبباً للمودة والتآلف ، وسبيلا إلى التراحم والتعاطف ، فحثهم على ألا يتزاحموا فى المجالس ، وأن يوسع بعضهم لبعض ، وإذا طلبَ منهم أن ينهضُوا من مجالسهم، ويَترُكوها لمنْ همْ أحق بالراحة أو الإكرام منهم : لتقدمهم فى السن، أو لرُسوخهم فى علم أو دين ، فليمتثلوا بلا ملل أو ضجر ، فيوَسعَ اللهُ لهم فى رحمته وفضله ؛ وإن المؤمنين الذينَ يتحلَّون بمثل هذه الآداب، يرفعُ اللهُ شأْنهم فى الدنيا بالنصر وحسن الذكْر ، وينزلهم فى الآخرة غرَفَ جنات النعيم ، ويختص العلماءَ منهم بدرجات فوقَ درجات المؤمنين ؛ وتشيرُ هذه الآيةُ إلى أمور ثلاثة يجدرُ بنا تبيانُها :

الأول : أن كل من وسعَ على الناس أبوابَ الخير والراحة ، وآثرَ بالإكرام والاستقرار من

هم أحق بذلك ، لسنِّهم أو فضْلهم، وسعَ اللهُ عليه خيرات الدنيا والآخرة .

والثانى : التنويهُ بشأن العلماء ، وتفضيل الله المؤمنَ العالمَ على المؤمن الجاهل :
« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والثالث : أن الرفعةَ عند الله إنما تكون بالعلم والتقوى ، لا بالمال والجاه ، والسبق إلى تصدُّر المجالس ؛ وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الأغنياء يقبضُ ثوبهُ نفوراً من رجل فقير ، أرادَ أن يجلسَ بجواره ، فأنكر النبى صلى الله عليه وسلم على الغنى ذلك وقال :
« يا فلانُ، خشيتَ أن يتعدى غناكَ إليه ، أو فقره إليك ؟ » .

٣ — وكان بعضُ المسلمين قد أكثرُوا من الانفراد برسول الله صلى الله عليه وسلم ومناجاته ، والإسرار إليه بالحديث ، وكان منهم من لا يقصِدون بتلك المناجاة مجردَ تلقى الإرشاد من النبى ، وإنما كان قصْدُهم منها أن يُظهروا أن لهم منزلة عند النبى ،وأن يوقعوا فى رُوع غيرهم من المؤمنين ، أنه صلى الله عليه وسلم يختصهم بالإيثار والتقريب ، ويَجعلهم دُونَ غيرهم موضعَ سره ومناجاته، ثقةً بهم، وإكبارًا لشأنهم ، كما نرى من تقرب بعض الناس فى هذا الزمان من ذَوى الجاه والسلطان ، لغرض الدنيا وابتغاء الظهور ؛ وكان النبى صلى اللهعليه وسلم سمْحاً لا يرُد من يزيدُونَ مناجاته ، والإسرارَ إليه بما شاؤوا من حديث ، حتى شقُّوا عليه ، فأراد اللهُ أن يخففَ عنهُ مشقةَ المناجاة ، ففرضَ على كل من يريدُ مناجاة النبى أن يتصدّقَ قبلَ نجواه ، فكفَّ كثيرٌ من الناس عما كانوا قد تعودُوا من مناجاته ، خوفاً على المال أن يذْهبَ فى الصدقة ، أو عجزاً عن الحصول على ما يتصدقون به.

٤ — وتقديم الصدقة خيرٌ لكم أيها المؤمنون وأطهرُ ، لأنكم إذا كنتم تريدون أن تستأثرُوا بالإفضاء إلى النبي بأسراركم ، وتحرموا غيركم من المؤمنين ، فعليكم أنْ تتصَدقوا جزاء ما تحمـّلون نبيكم من مشقة ، وما تفوّتون على غيركم من فرصة الاستفادة من التحدث إليه، وهذه الصدقةُ قبل المناجاة لن تضيع عليكم،بل ستنالون بها ثوابَ الله ، وتطهرون بها نفوسكم مما يكون قد شابها من قصد التظاهر بمناجاة النبي ، أو بما ارتكبتم من عناء المشقة على النبي بكثْرة مناجاتكم له ، وإذا كان فيكم فقراءُ يريدون مناجاةَ النبي ، وعجزوا عن تقديم ما فُرض عليهم من الصدَقة ، فإن اللهَ لا يؤَاخذُهم على المناجاة بغير صدقة ، ويغفرُ لهم عدمَ القيام بها ، ويشملهم برحمته ورضْوانه .

٥ — ولما نزلت هذه الآية، وصار مفروضاً على كل من أرادَ مناجَاةَ النبي أن يقدّمَ صدقة ، ظهرت مشقةُ ذلك على الناس ، لأنهم يحبُّون مناجاةَ النبي ، والإفضاءَ إليه بذات نفوسهم ، ولكنهم أشفقوا وخافوا أن يذهبَ مالهم فى الصدقات ، أوْ يعجزوا عن تقديم ما به يتصَدقون ، فخففَ اللهُ عن عباده ، ورَخصَ لهم فى المناجاة مع ترك الصدقة ، وعفا عمن لم يتصَدقْ قبلَ النجوى ، اكتفاء بما فرض الله على الناس من الصلاة والزكاة ، وبما أوْجبَ عليهم من طاعة الله ، باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وطاعة رسوله ، بالاقتداء بسنته والأخذ بشريعته .

(٤)

من الآية ١٤ من سورة المجادلة ، إلى آخر السورة

ألم تر إلى
الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على
الكذب وهم يعلمون ﴿١٤﴾ أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا
يعملون ﴿١٥﴾ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب
مهين ﴿١٦﴾ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿١٧﴾ يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴿١٨﴾
استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا
إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴿١٩﴾ إن الذين يحادون الله ورسوله
أولئك في الأذلين ﴿٢٠﴾ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز
﴿٢١﴾ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم

أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الذين تولَّوْا قوماً غضب الله عليهم	هم المنافقون الذين تولَّوا اليهودَ ، واتخذُوهم أولياءَ وأصدقاءَ مع غضب الله عليهم .
ما هم منكم ولا منهم	ليس المنافقون منكم أيها المسلمون ، وليسوا من اليهود ، ولكنهم مذبذبون ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .
على الكذب	على ادعائهم الإسلام ، مع أنهم كاذبون .
وهم يعلمون	وهم يعرفون أنهم متعمدون الكذب .
ساءَ ما كانوا يعملون	بئس الأعمالُ أعمالهم !
أيمانهم	جمعُ يمين ، وهو الحلف والقسمُ .
جُنّة	وقاية وستاراً .
فصَدّوا عن سبيل الله	فمنعوا الناسَ عن الإسلام بالتثبيط .
ويحسبون أنهم على شيء	ويظنون أن حلفهم على الكذب ينجيهم من العذاب .
استحوذَ عليهم الشيطانُ	استولى الشيطان عليهم وغلب ، وتملك نفوسَهم ، وأحاطَ بهم
حزبُ الشيطان	جماعته وجندُه .

الألفاظ	شرحها
يحادّون الله	يعادُون الله ويخالفُونه .
فى الأذَلّين	فى زُمرَة من هم أذَلّ خلق الله .
كتبَ الله	قضَى .
يوادُّون	يحبون .
كتبَ فى قلوبهم الإيمانَ	أثبتهُ ومكّنه فى قلوبهم .
أيّدَهم	قوّاهم .
برُوح	بإيمان وهدًى ونور ألقاهُ اللهُ فى قلوبهم .

مجمل المعنى

١ — كان المنافقون يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ينقلون حديثه وأخبارَ المسلمين إلى اليهود؛ وكان رأسُ المنافقين عبدَالله بن أبَىّ بن سَلُول، وعبدَ الله بن نَبْتَل ؛ وكان النبى صلىالله عليه وسلم جالساً بين أصحابه يوماً، إذ قال لهم: « يدخلُ عليكم الآنَ رجلٌ قلبه قلبُ جبار ، وينظرُ بعينَىْ شيطان » ، فدخل عبدُ الله بن نبتل — وكان أزرقَ أسمرَ، قصيراً خفيف اللحية — فقال عليه الصلاةُ والسلامُ : « علامَ تشتمنى أنتَ وأصحابك » ؟ ! فحلَفَ بالله ما فعلَ ذلك؛ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : «فعلتَ» ، فانطلقَ فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فنزل قوله تعالى : « ألم ترَ إلى الذينَ تولّوْا ... » إلى آخر الآية .

٢ — وقد بيّنَ اللهُ للنبى فى هذه الآية حالَ المنافقين وموقفهم منه، بموالاتهم لليهود ومصادقتهم لهم ، ورفْعَ أحاديثه وأخبار المسلمين إليهم ، وأنهم بهذا

النفاق ليسوا من المسلمين وليسوا من اليهود، ولكنهم مذبذبون بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ؛ فإذا كشفَ النبي أمرَهم، وأظهرَ للمؤمنين حقيقتهم، حلفُوا أنهم مسلمون ، وأنهم ما سبوا النبي عندَ اليهود ، مع أن ادعاءَهم الإسلام ، وادعاءهم عدم سب النبي الذى حلفوا عليه، كذبٌ محض، وهم يعلمون أنه كذبٌ ويتعمدونه ؛ وقد أعد اللهُ لهم عذاباً شديداً يومَ القيامة على كذبهم ونفاقهم، لأنهم يقومون بأخس الأعمال ، ويتصفون بأقبح الصفات، وبئسَ ما يعملون !

٣ — وقد اتخذوا من أيمانهم التى يحلفونها جُنة لهم ، وستاراً يسترُ نفاقهم ، ووقاية تقيهم إضرار المسلمين بهم ، فصَدوا ضعفاءَ النفوس عن الإسلام ، وثبَّطوا من بقوا منهم على إسلامهم، وخوفوهم الجهادَ، وأقعدوهم عنه بالتوْهين من أمر النبي وقوة أصحابه ؛ وجزاؤُهم على ذلك عذابٌ شنيعٌ، فيقتلون فى الدنيا شر قِتلة ، ويُلقوْن فى الآخرة فى نار جهنم خالدين فيها أبداً .

٤ — وكان المنافقون إذا خلوْا إلى شياطينهم قالوا : إن محمداً يزعمُ أنه سينتصر يومَ القيامة ، لقد شقينا إذَنْ؛ لئن كانت قيامة — كما يزعم — لنُنْصَرَنَّ فيها بأموالنا وأولادنا وأنفسنا ؛ فنفى اللهُ هذا الزعمَ الفاسدَ ، وهددَهم بأن ما يعتزون به من أموال وأولاد يقاومون بها النبي فى الدنيا، لن تقربهم إلى الله فى الآخرة ، ولن تمنعَ عنهم شيئاً من عذاب يوم القيامة ، ولكنهم سيكونون حطب جهنم ، يقاسون فيها دائماً عذابَ الهون، يومَ يبعثهم اللهُ جميعاً هم وأولادهم، ويساقون إلى النار سوْقاً لا ينفعهم فيها مالٌ ولا ولدٌ ، وقد تمكن الكذبُ من نفوسهم ، واستبد الباطلُ بهم ، فنسوا يوم القيامة أنهم أمام الحق الذى لا يخفى عليه خافيةٌ فى الأرض ولا فى السماء ، ويحلفون أيضاً أمام الله أنهم مؤمنون ، ويقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، كما كانوا يحلفون لكم فى الدنيا أنهم مؤمنون، وهم ليسوا بمؤمنين ، ولكنهم مقيمون على الكذب، قد تعودُوه حتى جرى على

ألسنتهم فى الآخرة، كما جرى على ألسنتهم فى الدنيا ، ويحسبون أنهم بهذا الحلف الباطل قد كسبوا شيئاً ، أو خدعوا أحداً ، ولكن حالهم معروفٌ ، وخداعهم مكشوفٌ ، والكذب قد صار لهم طابعا ، لا يفارقهم فى الدنيا ولا فى الآخرة ،

٥ — وقد غلبت الضلالةُ على هؤلاء ، واستولى الشيطانُ عليهم ، وتملك نفوسَهم، فغفلوا عن طاعة الله وتركوا أوامرَه، وشغلوا أنفسَهم بالمأكل والمشرب والملبس ، وشغلوا قلوبهم عن التفكر فى نعم الله والقيام بشكره ، وشغلوا ألسنتهم عن ذكر الله بالكذب والغيبة والبهتان، حتى أبعدتهم تلك الخصالُ عن رضا الله ، وصاروا جنوداً للشيطان ، باعوا الجنةَ بالنار، وباعوا الهدى بالضلال ، فكانوا هم الخاسرين .

٦ — ولما فتح اللهُ مكةَ والطائفَ وخيبرَ وما حولها للمؤمنين، قالوا: نرْجو أن يظهرنا الله على فارسَ والرومَ ، فقال عبدُ الله بن أبىّ رأس المنافقين : أتظنون الرومَ وفارسَ كبعض القرى التى غلبتم عليها ، والله إنهم لأكثرُ عدَدا، وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك؛ فنزل قوله تعالى: «إن الذين يحادُّونَ اللهَ ورسوله أولئك فى الأذَلين ... » .

٧ — ويُؤَكدُ الله تعالى فى هذه الآية أن أذَل الناس وأسوأهم عاقبة، هم الذين يخالفون حدودَ الله ويُعاندُونه ، فينصرون أعداءَه ، ويوالون أهلَ الضلال والبهتان ، وقد قضَى اللهُ ولا راد لقضائه، وَحكمَ ولا معقِّبَ لحكمه، أن تنتصرَ كلمتهُ، لأن كلمةَ الله هى العليا، وأن يتغلبَ رسله بالحجة البيِّنة، والقوة القاهرة ، ولينصرَن اللهُ من ينصره ، واللهُ قوىٌّ لا يمتنعُ عليه ما يريد ، ينصرُ أنبياءَه ، عزيزٌ متغلبٌ، يمنعُ حزْبه من أنْ يذل ويضْعفَ .

٨ — لا ينبغي للمؤمنين الذين يؤمنون بالله وباليوم الآخر ، أن يصادقوا ويخلصوا للذين يعادون اللهَ ورسوله ، ولو كانوا أقربَ الناس إليهم ، لأن عدوَّ الله وعدوَّ رسوله، هو عدوُّ المؤمنين، ولو كانوا آباءهم الذين تجبُ طاعتهم ، أوْ أبناءهم أحب الناس إليهم ، أو إخوانهم الذين يعاضدونهم ويَعتزون بهم ، أو عشيرتهم التي بها يقاتلون ويناصرون ويتغلبون ، فهذه صفات المؤمنين الذين ثبَّت اللهُ الإيمانَ في قلوبهم ، وقواهم بالهدى والإيمان من عنده .

٩ — وقد كان المسلمون في عهد النبي لا يعرفون قرابة لأعداء الله ورسوله ، فقد قتلَ أبو عبيدة بنُ الجراح يوم بدر أباه عبدَ الله ، ودعا أبو بكر ابنه يوم بدر إلى المبارزة ، وقتل مصْعبُ بنُ عمير أخاه يوم أحد ، وقتل عُمرُ خاله العاصَ بنَ هشام يوم بدر ، وسمع أبو بكر الصدِّيق عبد الله ابن أُبيّ يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصكَّه أبو بكر صكة سقط منها ، فقال له الرسول : «أوَ فعلته؟» فقال : نعم، قال : «لا تعُدْ» ، قال : والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته؛ أولئك هم المؤمنون حقًّا ، قوم ثبَّتَ اللهُ الإيمانَ في قلوبهم ، وتمكنَ في نفوسهم حب الله ورسوله ، فأعد لهم النعيمَ المقيم ، ورضي عنهم لقوة إيمانهم ، ورضوا عنه لأنه نصرَهم في الدنيا ، وأثابهم في الآخرة ، وهم حزْبُ الله وأنصارُ حقه ، وهُداةُ خلقه ، الباقون في النعيم المقيم ، المفلحون الفائزون بكل محبوب ، الآمنونَ من كل مرْهوب ؛ رضْوان الله عليهم أجمعين .

سورة الحشر

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٢٤ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤)

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبحَ لله ما فى السموات	مجّدَ اللهَ ونزّهه عن السوء كل شىء فى السموات والأرض .
العزيزُ الحكيمُ	القوىّ الذى دَبر الأشياء بحكمة .
أهل الكتاب	المرادُ بهم : يهودُ بنى النَّضير .
منْ ديارهم	كانت فى قرية تبعد ميلَين عن المدينة .
لأول الحشر	عند أولَ جمْع ، والحشرُ : الجمعُ .
فأتاهم اللهُ	باغتهم اللهُ بالقهر والهزيمة .
من حيثُ لم يحتسبوا	من حيثُ لم يقعْ فى حسابهم وظنّهم .
وقذَفَ فى قلوبهم الرعبَ	ألقى فى قلوبهم الخوْفَ .
فاعتبروا يا أولى الأبْصار	اتعظوا يا أصْحابَ العقول والألباب .
كتبَ اللهُ عليهم	حكمَ وقضَى عليهم .
الجلاءَ	تركَ الديار مع الأهل والولد .
شاقُّوا اللهَ	خالفوه . وعادَوْهُ .

قصة يهود بنى النضير

نزلت هذه السورةُ تحكى ما كان بين بنى النضير من اليهود الذين كانوا يسكنونَ قربَ المدينة على ميلين منها، وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ذلك أن النبى حينما هاجرَ إلى المدينة، عقدَ معه بنو النضير صُلحاً، مؤداهُ : أنْ يكونوا معه على الحياد، لا له ولا عليه ؛ فلما انتصرَ النبى على قريش يوم

بدر ، فرحوا وقالوا : هذا هو النبي الذى قرأنا نعته وصفته فى التوراة ؛ ولما هزم المسلمون يوم أحد ، ارتابوا فى محمد ، ونقضوا العهدَ الذى كان بينهم وبينه ، ودبروا اغتياله ، وحالفوا أعداءه من قريش ؛ فقد أتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أمر ، فهموا بإلقاء حجر ثقيل على رأسه ، لولا أن عصمه الله تعالى من مكرهم . وخرجَ كبيرهم كعبُ بنُ الأشرف فى أربعين راكباً إلى مكةَ ، وحالفَ أبا سفيان ضدَّ محمد وأصحابه عند الكعبة ، ولقد أرادَ اللهُ أن يرد كيدهم إلى نحورهم ، فقتل محمدُ بن مسلمة الأنصارى كعبَ بن الأشرف ، وكان أخا قاتله من الرضاع ، وذهب النبي بجيشه إليهم ، وأمرهم بالجلاء عن المدينة ، حتى لا يظلوا شوكة فى جنب المسلمين ، فأبوا أن يخرجوا ، وأصروا على الحرب والقتال ، فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة ، وقطع بعض نخيلهم ، فخارت قواهم ، وملأ الخوفُ قلوبهم ، وطلبوا الصلحَ . فصالحهم النبي على الجلاء ، على أن يكون لكل ثلاثة منهم بعير واحد ، يحملون عليه ما شاؤوا من متاع وأثاث ، وطعام وشراب ؛ فجلوا إلى خيبر وإلى الحيرة والشام ؛ وفى أمر بنى النضير هذا نزلت سورة الحشر .

مجمل المعنى

١ — كل ما فى السموات والأرض من جماد ونبات وحيوان ، يمجدُ اللهَ القوى المدبرَ لملكوته بحكمة ، وينزهه عن السوء .

٢ — واللهُ هو الذى أجلى الكفارَ من يهود بنى النضير عن ديارهم ، عند أول اجتماع عقده محمدٌ لقتالهم وحروبهم ، وكان المسلمون لما عرفوا من شدة بأس اليهود ومنعتهم ، ووثاقة حصونهم ، وكثرة عددهم وعدتهم ، لا يظنون أنهم سيخرجون من ديارهم ويتركونها لهم . وكان اليهودُ لقوتهم ومناعة حصونهم ، لا يظنون أن محمداً قادرٌ على إخراجهم .

٣ — لكن قوة الله لا يغلبها غالبٌ . ففجعهم بقتل زعيمهم كعب بن الأشرف ، وكان لا يدخلُ فى حسابهم وظنهم أن يداً تستطيعُ أن تمتدَّ إليه فتصرَعه، وأحاطت بهم جنود محمد وحاصرتهم ، وقطعتْ نخيلهم ، فحلَّ الجزَع بهم ، ووقع الهلعُ فى نفوسهم ، وملأ الفزعُ قلوبهم ، وطاشت عقولهم.

٤ — فأخذوا يخربون بيوتهم من الداخل ومن الخارج ، فعملت أيديهم داخل الحصون فى هدم البيوت وإفسادها ، حتى لا تقع سليمة فى أيدى المسلمين ، وحتى يأخذوا معهم ما تستقل به الإبلُ ، من كل ما غلا ثمنهُ ، وخفَّ حمله ، من أثاث ومتاع وخشب وساريات ؛ وعملت أيدى المسلمين فى دَكّ حصونهم من الخارج لينفذوا إليهم ؛ فعلى ذَوى العقول أن يتعظوا بحال بنى النضير ، فلا يغدُروا ولا يعتمدوا على قوة غير قوة الله ؛ ومعنى تخريب اليهود لبيوتهم بأيدى المؤمنين : أنهم هم بنقضهم عهد النبى ، حملوا المؤمنين على محاصرَتهم وهدْم حصُونهم ، فكأنهم اضطروا المؤمنين إلى هذا التخريب .

٥ — ولولا قضاءُ الله عليهم بترك ديارهم على هذا الوجه الدال على حقارتهم ، لعذبهم فى الدنيا بالقتل ، كما عذب كفارَ قريش يومَ بدر ؛ وهم إنْ نجوْا من عذاب الدنيا ، فلا نجاة لهم من عذاب الآخرة ؛ وليس عجيباً أن يحيقَ بهم هذا البلاءُ ، فإنهم خالفوا اللهَ وعادَوْا رسوله ، فاستحقوا هذا العقابَ العاجلَ ، والطردَ الشنيع .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية الثامنة من سورة الحشر

مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لِينة	نخلة .
أصُولها	سيقانها .
فبإذْن الله	قطعها وتَرْكها بإذن من الله .
وليخزى الفاسقين	أذنَ اللهُ فى قطع نخل بنى النضير ليستذلهم ويغيظهم ، لأنهم خرَجوا عن طاعته .
ما أفاء الله على رسوله منهم	ما ردَّ اللهُ على رسوله ، وصيَّره له من أموال بنى النضير ، ليس للأغنياء حقٌّ فيه .
فما أوْجفتُم عليه من خيل	فما ركبتم خيلا وركضْتموها فى الحرب ، واغتنمتم منها هذا المالَ ، أى : لم تحصلوا عليها بمشقة الحرب .
ركاب	إبل .
وابن السبيل	المسافر المنقطع عن ماله .
كى لا يكون دولة بين الأغنياء	كى لا يكون مالُ الفئ دائراً ومتداولا بين الأغنياء ، لأنه من حق الفقراء .
وما آتاكم الرسول فخذوه	وما أمرَكم به الرسولُ فاتبعوه .
فانتهوا	فاجتنبوه .
يبتغون فضلا من الله ورضوانا	يطلبون رزقاً فى الدنيا ، ورضا الله فى الآخرة .
أولئكَ هم الصادقون	أولئك هم الكاملون فى صدق دَعواهم الإيمان .

مجمل المعنى

١ ـ لما نزلَ النبي على حصون بنى النضير ، بعد أن نقضوا العهدَ الذى كانوا أبرَموه معه ، وتحالفوا هم وقريش عليه ، حاصرَهم وأمر بقطع بعض نخيلهم ، فشقَّ ذلك عليهم ، وقالوا : يا محمد ، ألست تزْعم أنك نبي تُريدُ الإصلاحَ ؟! أفمنَ الإصْلاح قطعُ النخل وحرقُ الشجر؟! فلم يلتفت إليهم محمد ، لأنه لا يفعلُ شيئاً إلا بإذن الله . ثم أمرَ النبي بالكف عن قطع النخيل ، ونزلت الآية مصدقة بأن قطعَ ما قطعَ من النخيل ، وترْك ماترَكَ منه ، كان بإذن من الله ، نكاية باليهود ، ووَهناً لهم ، حتى يخرُجوا من ديارهم ، ويَترُكوها للمسلمين.

بيان عن الفيء والغنيمة

الفيء : هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار عفواً بلا حرب ولا جهاد : إما بأن يجلوا عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين ، أو يصالحوا على جزْية يؤدونها عن رؤوسهم ، أو مال يفتدون به أنفسهم من سفك دمائهم .

والغنيمةُ : هى المالُ الذى حصل للمسلمين من أموال الكفارَ بالحرب والجهاد.

وقسمةُ أموال الفيء غيرُ قسمة أموال الغنيمة :

ا ـ أما أموالُ الفيء فليسَ لأحد من المقاتلين باعتبارهم مقاتلين حق فيها ، لأنهم لم يتحملوا مشقة فى الحصول عليها ، ولم يسرعوا على ظهور الخيل والإبل لاستخلاصها من أيدى الكفار بالحرب والقتال ، ولكنها أموالٌ خالصةٌ للرسول ، يضَعها حيثُ يشاءُ .

ب ـ وأما الغنائمُ فقد جعل اللهُ أربعة أخماسها من حق المقاتلين : للفارس ثلاثةُ أسْهم ، وللراجل سهمٌ واحدٌ ؛ وخمسُها يأخذه الرسولُ وذوُو قرْباه ، واليتامى والمساكينُ وأبناءُ السبيل .

٢ — ولما جلا بنو النضير عن أوطانهم، وتركوا الأموالَ والإبلَ والنخيلَ، طلب المسلمون من النبي أن يقسمها عليهم، كما قسمَ غنائمَ بدر، ويعطىَ المقاتلين أربعةَ أخماسها، ويجعلَ الخمسَ الباقى للرسول وذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فبيَّنَ اللهُ أن هذه الأموالَ لم تؤْخذْ بغلبة أو قتال، ولم تُرْكب لها ظهُور الإبل والخيل، حتى تكونَ كأموال الغنائم، ولكن اللهَ سلط نبيهُ على هؤلاء القوم، فتركوا إليه حصونهم وأموالهم، فأصبحت خالصة له من دون المؤمنين، ولكن النبي آثر بها المهاجرين، وثلاثة من الأنصار كانوا فقراء .

٣ — وقد بيَّنِ اللهُ لنبيه ما يصْنعُ بأموال الفىء، فأمرَه أن ينفقها كلها على الخمسة المذكورين، لأنها من حق الفقراء يعيشون بها، ولا ينبغى أن يعطى منها الأغنياء شيئاً يتداولونه بينهم، ويَتكاثرون به، كما كان الرؤساء فى الجاهلية يستأثرون بالغنائم، لأنهم أهلُ الرياسة والغلبة .

٤ — وقد نبه اللهُ المسلمين ألا يطلبوا من النبي شيئاً، ولكن عليهم أن يتبعوا ما يأمرُهم به، ويجتنبوا ما ينهاهم عنه ؛ وعليهم أن يتقُوا الله فى أوامره ونواهيه فلا يضيّعوها ، لأن اللهَ شديدُ العقاب لمن خالفَ ما أمر به ، وارتكبَ ما نهى عنه .

٥ — ثم بيَّن الله المقصودَ من ذَوى القرْبى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فذكر أنهم فقراءُ المهاجرين الذين أخرجتهم قريش من ديارهم بمكة، وفروا بدينهم وإيمانهم إلى المدينة، يرْجونَ أن يمن اللهُ عليهم بنعمه فى الدنيا، وأنْ يرضى عنهم فى الآخرة، وجاهدوا فى سبيل الله، ونصروا رسوله بأنفسهم وأموالهم، وصَدَقوا فى إيمانهم .

(٣)

من الآية التاسعة إلى الآية العاشرة من سورة الحشر

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والذين تبوّأوا الدارَ	هم الأنصارُ الذين استوْطنوا المدينةَ .
والإيمانَ	وصَدقوا الإيمانَ وأخلصُوه .
منْ قبلهم	من قبل أنْ يهاجر المسلمون من مكة إليهم .
حاجة	حسداً .
مما أوتُوا	مما أعطى النبى المهاجرين من أموال الفىء .

الألفاظ	شرحها
ويؤْثِرُون على أنفسهم	ويفضلون المهاجرين على أنفسهم .
خصَاصَةٌ	احتياجٌ وفقرٌ شديدٌ .
ومنْ يُوقَ شح نفسه	ومن يحفظ اللهُ نفسه من البخل والحرص الشديد .
والذين جاؤوا من بعدهم	هم التابعون الذين جاؤوا بعدَ موت النبى ، ثم الذين يلونهم إلى يوم القيامة .
غِـلاً	حقداً وحسداً .

مجمل المعنى

١ — يثنى اللهُ على الأنصار الذين استوطنُوا المدينة ، وآمنوا بالله ورسوله قبلَ أن يهاجرَ المسلمون من مكةَ إليهم ، فراراً بدينهم من كفار قريش ، تاركينَ أموالهم وديارهم ، فاستقبلوهم بالترحاب ، وأحبوهم وأسكنوهم معهم فى منازلهم ، وقاسمُوهم أموالهم ، وبالغوُا فى إكرامهم ، حتى كان الرجلُ الذى عنده امرأتان من الأنصار ينزلُ عن إحداهما ، ليتزوجها واحدٌ من المهاجرين ؛ ومن مظاهر الإيثار أن رجلا من المهاجرين أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له : قد أصابنى الجهد يا رسولَ الله ، فأرسلَ النبى إلى نسائه ، فلم يجدْ عندهن طعاماً . فقال : ألا رجلٌ يضيفُ هذا الرجل الليلةَ ؟ فقام رجل من الأنصار وقال : أنا يا رسولَ الله ، فذهب إلى زَوْجته وقال لها : أكرمى ضيفَ رسول الله ؛ فقالت : والله ما عندى إلا قوتُ الصِّبية ؛ فقال : نوِّميهم ونطوى الليلة ، ففعلت ، وقدمت الطعام وهو لا يكفى إلا واحدا ، فأطفأت السراجَ ، وجعلَ صاحبُ الدار يمد يدَه إلى الطعام فى الظلام متظاهراً بأنه يأكلُ ، وهو

لا يأكلُ ، حتى يوفرَ الطعامَ لضَيفه ؛ ولما حصلَ النبى على أموال بنى النضير قسمها بين المهاجرين ، ولم يعط الأنصارَ منها شيئاً ، إلا ثلاثة كانوا فقراء محتاجين ، فلم يحسد الأنصار المهاجرين على ما اختصهم به النبى من الأموال دونهم ، بل كان الأنصارُ يفضلون المهاجرين على أنفسهم ، ويؤْثرونهم بالخيرات ؛ رُوىَ أنه لما غنمَ عليه الصلاةُ والسلامُ أموالَ بنى النضير ، دعا الأنصارَ وشكرَهم على ما صنَعوا من إنزال المهاجرين فى منازلهم ، ومشاركتهم لهم فى أموالهم ، وقال لهم : إن أحببتم قسمتُ ما أفاء الله علىَّ من بنى النضير بينكُم وبينهم ، وبقوا على ماهم عليه من السكنى فى مساكنكم ، ومقاسمة أموالكم ، وإنْ أحببتم أعطيتهم الأموالَ وخرجوا من منازلكم ؛ فقال سعد بنُ عبادة سيد الخزْرَج وسعدُ بن مُعاذ سيدُ الأوس : بل تقسمُ بينَ المهاجرين ، ويبقون فى دُورنا كما كانوا ؛ فنادى جميعُ الأنصار : رَضينا وسلمنا يا رسول الله ؛ فقال رسولُ الله : اللهم ارْحمْ الأنصارَ وأبناء الأنصار .

٢ — وقد بين اللهُ أن النجاحَ والفلاحَ فى الآخرة إنما يكونُ إذا تجردَ الإنسانُ من البخل والحرْص الشديد ، وحينئذ تصفُو عن الشر نفسه ، ويخلصُ من الحقد والحسد قلبهُ .

٣ — وبعد أنْ بيَّنَ اللهُ منزلةَ الأنصار ، وأثنَى عليهم ، وصفَ الطبقةَ التى ستجىء بعد المسلمين السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وهم طبقةُ التابعين الذين يجيئوُن بعد هؤلاء ، وهؤلاء ، بأنهم يحبُّون من سبقوهم من أصحاب رسول الله ، ويدْعون الله أن تشملهم وإياهم مغفرته ورضوانه ، وأنْ تصفو نفوسُهم من شوائب الحقد والحسد ، فإنه رَؤُوفٌ بعباده ، رحيمٌ بهم .

مغزى هذه الآيات

وقد تضَمنت هذه الآياتُ جملة من الصفات التى ينبغى أن تسودَ بين المسلمين وهى :

(ا) أن تقُومَ المحبةُ بينهم ، وأن يتعاونوا فى البأساء والضراء ، وأن ينصرَ قويهم ضعيفَهم ، ويعطى غنيهم فقيرَهم .

(ب) وألا يحسدَ أحدٌ أحداً على ما أعطاهُ اللهُ من فضْله

(حـ) وأنْ يسارعَ الآمنون فى ديارهم ، المطمئنونَ فى حياتهم ، إلى نجدة المشرَّدين المطارَدين ، فيؤووهم ، ويقوموا بأوَدِهم ، ويفضلوهم على أنفسهم بالخير ، حتى يؤمّنوهم من خوْف ، ويؤنسوهم من وحشة ، ويزيلوا من نفوسهم من قلق الاغتراب ، وذُل الاحتياج .

(د) وأن تتخلصَ النفوسُ من البخل وشدة الحرص والشح ، حتى يتجهوا نحوَ الخير ، ويسلكوا السبيل إلى الفلاح والنجاح .

(٤)

من الآية ١١ إلى الآية ١٧ من سورة الحشر

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ
قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ
﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ
أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ
فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ
عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألَمْ ترَ إلى الذينَ نافقوا	ألَمْ تعجبْ من المنافقينَ أمثال عبد الله بن أبىّ ، وعبد الله بن نَبْتَل ؟
لا نطيع فيكم أحداً أبدا	لا نطيعُ محمداً فى قتالكم .
ليُوَلُّن الأدبار	لينهزمُنَّ
رهبة	خوْفاً وخشية .
لا يفقهُون	لا يفهمون مقدارَ عظمة الله وقدْرَته
من وراء جدُر	من خلف حيطان يستترُون، بها لخوفهم وجبنهم .
بأسُهم بينهم شديدٌ	عداوةُ بعضهم لبعض شديدةٌ .
تحسبهم جميعاً	تظنهم مجتمعين ذوى ألفة واتحاد .
وقلوبهم شتى	وأهوَاؤُهم متفرقةٌ .
كمثل الذين من قبلهم قريباً	شأنهم كشأن كفار قرَيش يومَ بدر ، فقد انتقمَ اللهُ منهم من زمن قريب .
ذَاقوا وَبالَ أمرهم	لاقوا سوءَ عاقبة كفرهم .
قال للإنسان : اكفر	أغرَاهُ بالكفْر .

مجمل المعنى

١ — هذه الآيات تحكى ما حصلَ بينَ عبد اللهْ بن أبىّ وأصحابه من منافقى المدينة ، وبين بنى النضير حينَ حاصرَهم النبى ، فقد أرسلوا إليهم منْ قالَ لهم : قاتلوا محمداً ولا تخرُجوا من دياركم ، ولكم علينا أنه إذا أكرَهكم

على الخروج منها أن نخرجَ معكم ؛ وإذا طلبَ إلينا أن ننضمّ إليه فى قتالكم فلنْ نطيعهُ ؛ وإذا قاتلكم فسنقاتلهُ معكم ، وننصركم عليه .

٢ — والله يعلمُ أن المنافقين كاذبون فى كل ما وعدُوا اليهودَ به ، فلن يخرُجوا معهم إذا أخرَجهم محمدٌ ، ولن ينصروهم إذا قاتلهم محمدٌ ؛ وعلى فرض أن المنافقين قاتلوا محمداً معهم ونصروهم عليه — ولن يكونَ ذلك أبداً — فإنهم جميعاً من يهود ومنافقين سينقلبون على أعقابهم مهزُومين غيرَ منْصُورين .

٣ — ويعلم أن هؤلاء وهؤلاء : من المنافقين ومن يهود بنى النضير الذين أضْمرُوا لمحمد العداوة والبغضاء ، يخافونكم أيها المؤمنون أكثر مما يخافون الله لعدم إيمانهم ، فيتوقعون عاجلَ الشر منكم فى الدنيا ، ولا يتوقّعون آجل العذاب من الله فى الآخرة ، لأنهم لا يفهمون مقدار عظمة الله وجبرُوته .

٤ — ويعلم أن المنافقين واليهودَ مجتمعين يمثلون الضعفَ والجبنَ ، فلا يجرُءُون على مقاتلة المسلمين إلا فى قرًى حولْها الحصونُ ، أوْ منْ خلف حوائط وأسوار يستترون وراءها ؛ وذلك شأنُ الجبناء الخائرى العزيمة .

٥ — ولا ترى بأسَهم وقوّتهم إلا فى معاداة بعضهم بعضاً ، ومخاصمة بعضهم بعضاً ، فلا يغرنك ما يبدُو من مظاهر اجتماعهم ، فإن من يراهم وهم يجتمعون ويَتآمرُون ، يظن أنهم على إلف ومحبة ، وأن بينهم تعاوناً وتناصراً ، ولكن قلوبهم متنافرةٌ ، وأهواءَهم متفرقةٌ ؛ وإن تشتتَ أهوائهم ، وتفرقَ قلوبهم وكفرهم ، لدليلٌ على أنهم لا يتصرفون تصرفَ العقلاء .

٦ — ومَثل يهود بنى النضير فى معاداتهم محمداً ، وتنكيل محمد بهم ، كمثل كفار قريش الذين قاتلوا من عهد قريب محمداً يوم بدر ، فذاقوا وبالَ أمرهم ،

وعجل الله لهم العقوبة، فحلت بهم الهزيمة والقتلُ فى الدنيا، كما أعد الله لهم عذابَ النار فى الآخرة .

٧ — وقد ضرب اللهُ مثلَ المنافقين فى إغرائهم بنى النضير بقتال النبى ، ووعدهم إياهم بأن ينصروهم عليه، ثم تخاذُلهم عنهم ، حينما حاصرَهم النبى ، وضيَّقَ الخناقَ عليهم، بالشيطان الذى زين للإنسان أن يعصىَ الله ويكفرَ به، فلما أوقعه فى الكفر والعصيان تبرأ منه ، وتظاهرَ بأنه يخافُ اللهَ رب العالمين ، فكان جزاءُ كلٍّ من هؤلاء وهؤلاء خلوداً فى جهنم، وعذاباً دائماً فى النار ؛ وذلك هو الجزاءُ العدلُ للظالمين .

(٥)

من الآية ١٨ من سورة الحشر ، إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اتقُوا الله	أدوا فرائضَه : واجتنبوا معاصيه ، لتقوا أنفسكم عذابه .
ما قدمت لغد	ما عَملت من الخير للآخرة ، وأريد بالغد الآخرة لقربها .
نسوا اللهَ	تركوا ذكرَ الله عز وجل ، ولم يفعلوا ما أمرهم به .
فأنساهم أنفسَهم	فأنساهم حق أنفسهم ، فلم يفعلوا لها خيراً .
الفاسقون	الخارجون عن طاعة الله .
الفائزون	المقربُون المكرَّمُون ، الناجُونَ من النار .
خاشعاً متصَدعاً	خاضعاً متشققاً .
الغيب والشهادة	السر والعلانية .
الرحمن الرحيم	الرحمنُ : عامُّ الرحمة بجميع مخلوقاته ، وهو من أسماء الله خاصة ؛ والرحيمُ : كثيرُ الرحمة بعباده المؤمنين .
القُدّوسُ	المنزه عن القبائح .
السلامُ	الذى يهبُ للمؤمن السلامة والأمنَ .
المؤْمن	الذى يؤمّنُ أولياءَه من الظلم والخوف والعذاب .
المهيمنُ	الرقيبُ على كل شىء ، الحافظُ له .
العزيزُ	الغالبُ الذى لا يُغلبُ ولا ينالُ .
الجبارُ	العظيمُ الذى يخضَعُ له غيرُه ، القهار ذُو الجبرُوت .
المتكبر	المترَفع المتعظم عما لا يليق من الصفات .
سبحان الله عما يشركون	تنزهت ذاته عما يصفهُ به المشركون ! .

الألفاظ	شرحها
البارئُ	المنشئُ المختَرِعُ .
المصوّر	مصوِّرُ الصورَ ومركِّبها على هيئات مختلفة فى بطون الأمهات .
له الأسماءُ الحسنى	له الأسماءُ الدالةُ على محاسن المعانى .
الحكيم	المانعُ من الفساد .

مجمل المعنى

١ — لما وصفَ اللهُ حالَ اليهود والمنافقين والكفار ، وما حل بهم من العقاب والنكال وسوء الجزاء فى الآيات السابقة ، عقبها ، بقوله : « يأيها الذين آمنوا اتقُوا اللهَ ولتنظرْ نفسٌ ما قدمت لغد » : موعظةً لهم ، لأن الموعظة حينما تجىءُ بعدَ وقُوع المصيبة وحلول الكارثة ، يكون لها موقعٌ فى النفوس ، لرقة القلوب ، وحذَرها مما يوجبُ العقابَ ؛ فنبههم إلى وجوب تقواه ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وإلى أن تذكَّر كل نفس ما عملت للآخرة التى ستجىءُ قريباً بعد الدنيا ، كما يجىءُ الغدُ بعد اليوم ؛ ثم أكدَ الأمر ثانية بالتقوى ، بأن اللهُ مطلعٌ على ما ظهرَ من عمل الإنسان وما بطن ، ولا يخفى عليه شىءٌ فى الأرض ولا فى السماء ، ومن الخير له فى كل عَمل أن يراقب الله ، لينجوَ من العقاب ، ولا يحل به العذابُ .

٢ — ثم نهاهم عن أن يكونوا مثلَ الذين نسوا الله ، فتركوا عبادته ، ولم يعملوا ما أمرَهم به ، ولم يجتنبوا ما نهاهم عنه ، وأفرطوا فى ارتكاب المنكرات ، واتباع الشهوات ، فأنساهم أن يسعَوْا إلى تخليص نفوسهم من العذاب ؛ أولئك هم الخارجون عن طاعة الله ، المطرودون من رحمته .

٣ — ثم أعادَ التنبيه بالمقابلة بين المؤمنين الذين يفعلون الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤدّون ما فرض اللهُ عليهم ، ويجتنبون ما نهاهم عنه ، ويتعاونون على البر والتقوى ، وبينَ غير المؤمنين الذين يفعلون الشر ، وَيرتكبون الذنوبَ، ويتعاونون على الإثم والعدْوان ، وَبيّن أن المؤمنين هم أصحاب الجنة، يتمتعون بثواب الله، ويفوزون برضوانه؛ أما غير المؤمنين فهم أصحابُ النار الذين يقعُ عليهم غضبُ الله ، ويحلُّ بهم عذابه .

٤ — ثم بيّن الله شدةَ تأثير القرآن، بما حوَى من وعد وَوَعيد، وترْغيب وترْهيب ، وبما تضمنَ من حكم وعظات، وآيات بينات ، ترسمُ للإنسان سبيلَ الخير والشر ، وتوَضحُ له طريقَ الهداية والضلال ، توْبيخاً للذين قست قلوبهم فلم تهتد بنور القرآن ، ولم تخشعْ لذكره، مع أن منْ شأن هذا القرآن، أنه، لو خوطبَ به جبلٌ، وجعلَ فيه تمييزٌ، لانقادَ لمواعظه، ولرأيتهُ على صلابته وتماسكه خاشعاً خاضعاً ، متصدّعاً متشققاً، خشية ألا يكونَ قد أدى حقَّ الله المفروض عليه فى تعظيم القرآن ؛ فما بالُ الإنسان على ضَعفه وضآلته قد قسا قلبه، فلا يتدَبر قوله، ولا تؤثر فيه قوارعه وزواجرهُ ؟ وقد ضربَ اللهُ للناس هذا المثلَ لعلهم يتدَبرون كلامَ الله ، ويفكرون فيه بعقولهم، وترْتدع به نفوسُهم .

٥ — ولما بيّن اللهُ عظمةَ القرآن، أرْدَفَ ذلك ببيان عظمته هو جل شانه ، وعدّد صفاته التى تفرد بها دونَ غيره ، فذكر أن علمه يحيطُ بالظاهر والباطن ، والغائب والحاضر ، وأنه هو الرحمنُ الذى عَمت رحمتهُ جميعَ مخلوقاته، الكثير الرحمة بالمؤمنين الذين عملوا الصالحات، وأنه الإلهُ الذى لامعبودَ سواه ، مالكُ للملك، المنزهُ عن النقائص ، وأنه هو الذى شملَ الكونَ بالسلام والأمن ، وأجراه بمراقبته وهيمنته على أدق وَضْعٍ ، وحفظه من الاختلال والاضطراب ،

وأنه الغالبُ الذى لا يُغلب، الجليلُ الشأن الذى لا يَذِل ولا يُقهَر، العظيمُ المترفعُ عما لا يليقُ بعظمته وجبرُوته ؛ تنزه عما يصفهُ به المشركون ؛ لم يلدْ ولم يولدْ، ولم يكنْ له كفُواً أحد، هو الخالقُ الذى قدَّرَ مخلوقاته وأوْجدَها، وشكلها بأشكالها ، وصورَها بصُوَرها ، تفردَ بالأسماء الحسنى ، الدالة على الصفات العلا ، الذى أحكمَ كل شىء خلَقه ، جل شأنهُ ، وتقدست أسماؤُه .

سورة الممتحنة

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٣ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)

شَرْحُ الأَلْفاظ

الألفاظ	شرحها
أوْلياءَ	أصْدقاءَ وأنصاراً .
تلقونَ إليهم بالموَدة	توَصلون إليهم موَدَتكم .
منَ الحق	منْ دين الإسلام والقرآن .
يخرجونَ الرسولَ وإياكم	يخرجونَ الرسولَ ويخرجونكم معه من مكةَ .
أن تؤْمنوا بالله	لأجل أنْ آمنتم بالله .
جهاداً فى سبيلى	لأجل الجهاد فى إعلان دين الله .
تسرونَ إليهم بالموَدة	تبلغونهم سرًّا مودَتكم لهم .
ضَل سواءَ السبيل	أخطأ طريقَ الهدَى .
إنْ يثقفوكم	إنْ يظفروا بكم .
يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء	يؤْذُوكم أشد الأذَى بأيديهم وألسنتهم .
وودّوا لوْ تكفرُونَ	تمنوْا ارْتدادَكم عن الإسلام، وعوْدَتكم إلى الكفر.
لن تنفعكم أرْحامكم ولا أوْلادُكم	لن ينفعكُم أقرباؤُكُم ولا أوْلادُكُم الذين بقوا على كفرهم ، وخلفتموهم بمكةَ .
يفصلُ بينكمْ	يفرقُ اللهُ بينكم وبينهم ، ويفر بعضُكم منْ بعض .
بصيرٌ	مطلعٌ .

قِصّةُ حاطِبِ بنِ أَبِى بَلْتَعَةَ

كان حاطبٌ أحدَ المهاجرينَ المقيمينَ بعد الهجرة بالمدينة ، وعلِمَ أن رسولَ الله صَلى اللهُ عليه وسلم يريدُ غزْوَ مكةَ ، وإذْ لمْ يكنْ منْ ذَوى العصَبية أُولى القوة فيها ، ولهُ فيها أولادٌ وأقرباءُ خلفهم بها — أرادَ أنْ يصْنع جميلا معَ أهل مكةَ ، حتى لا ينالَ بنيه وأقرباءَه منهم أذًى بسبب إسلامه ، فأرْسل إليهم كتاباً مع امرأة تقصِدُ مكةَ ، يقولُ فيه إلى أهل مكةَ : اعلمُوا أن رَسولَ اللهصلى اللهُ عليه وسلم يُريدُكم ، فخذُوا حِذْرَكم ؛ وَدفعَ لها عشرَةَ دَنانيرَ ؛ فأوحى اللهُ إلى رَسوله بما فعلَ حاطب ، فبعثَ عليًّا وجماعة من أصحَابه ، وقال لهم : انطلقُوا إلىَ مكان عيَّنهُ لهم ، فإن به امرأة تقصدُ مكةَ ، فخذُوا منها الكتابَ ، وخلُّوا سبيلها ، فإنْ أبتْ فاضربُوا عنقها ؛ فأدْرَكُوها فى المكان الذى عينه الرسولُ ، فأنكرَت أن معها كتاباً ، فسل علىٌّ سيفه وهددَها ، فأخرَجتهُ من بين شعرها ، فلما عادَ الوفدُ ، دعا النبى حاطباً ، وقال له : ما حملك على أنْ فعلتَ هذا ؟ فقال : والله يا رسولَ الله ما كفرْتُ مذْ أسلمتُ ، ولا غششتكَ مذْ آمنتُ ، وَلكنى امرُؤٌ ليس لى عصَبيةٌ فى مكةَ ، فأرَدْتُ أن أصْطنعَ معرُوفاً لدَى قرَيش ، حماية لأهلى منْ شرهم ، فقال عُمرُ بنُ الخطاب : دَعنى يا رسولَ الله أضربْ عنقه ، فإنه منافقٌ ، فقال الرسولُ : إنه شهدَ بدْراً ، وما يدْريك : لعل اللهَ اطلعَ على أهل بدْر ، فقال : افعلُوا ما شئتمْ ، فقدْ غفرْتُ لكم؟ ثم نزَلت هذه الآياتُ.

مجمل المعنى

١ — يخاطبُ اللهُ المؤمنين بقوله : يأيها المؤمنُون ، لا تتخذُوا لكم منْ أعدائى وأعدَائكم — وهمْ كفارُ مكةَ — أصْدقاءَ وأنصَاراً ، تتوَددُون إليهم بأية

صلة ، مهما كانت الدوَاعى ، فإن الكفارَ قد كفرُوا بما جاءَهم به الرسولُ من الدين الحق، وَأنكروا ما أنزَلتُه عليه من القرآن ، وَتمادَوْا فى غيهم وعصْيانهم ، لقد أخرَجوا الرسولَ من مكةَ كما أخرَجوكم، بمجرَد أنكم آمنتم بالله ، واعترَفتمْ برُبوبيته ، فلا يليقُ بكمْ أنْ توَادُّوهم، ما دمتم قدْ غادَرْتم وَطنكم لأجل الجهاد فى إعلان دين الله، وطلب مرْضَاته ، وَأنا أعلمُ سركمْ وجهرَكمْ ، ويستوى عندى ما تسرونَ وما تعلنونَ ، فمَنْ يتخذْ منَ الكفار أصْدقاءَ وأنصاراً، فقدْ أخطأ طريقَ الهدى، وحادَ عن الصراط المستقيم .

٢ — واعلمُوا أيها المؤْمنون ، أن الكفار إنْ ظفرُوا بكم ، ظهرَ لكمْ منهُم ما تكنُّ صُدُورُهم من العدَاوَة والبغضَاء ، فبسطوا إليكُم أيديهم بالقتل والضرب ، وألسنتهم بالشتم والسب ، فلا ينفعكم الاتصالُ بهم ، والتوددُ إليهم ، وتمنوْا حينَ يظهرُون عليكم أنْ ترْتدوا عنْ دينكم ، وتعودوا معهم إلى الكفر ، وتعرضْتمْ لعذَابِ الله يوْمَ القيامة ،فلا يفيدُكم أهاليكمْ منْ قريب أوْ وَلد ، ممن توددْتمْ إلى الكفار منْ أجلهم ، وجانبتمْ سوَاء السبيل بسببهم ، يوْم يفر المرءُ منْ أخيه ، وأمه وَبنيه ؛ واللهُ مطلع على أعمالكمَ ، خبيرٌ بمقاصدكمْ ونيَّاتكمْ

(٢)

من الآية الرابعة إلى الآية السابعة من سورة الممتحنة

قد كانت لكم أسوة حسنة في إبرٰهيم والذين

معه إذ قالوا لقومهم إنا برءٰؤا منكم ومما تعبدون من دون

الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العدٰوة والبغضاء أبدا حتى

تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبرٰهيم لأبيه لأستغفرن لك

وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا

وإليك المصير ﴿٤﴾ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا

إنك أنت العزيز الحكيم ﴿٥﴾ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن

كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد ﴿٦﴾

عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله

قدير والله غفور رحيم ﴿٧﴾

شَرْحُ الألْفاظ

الألفاظ	شرحها
أسوَةٌ	قدْوَةٌ .
الذينَ معهُ	الذينَ آمنُوا به .
بُرَآءُ	جمعُ برىء ، متبرئون .
كفرْنا بكم	كفرْنا بدينكمْ وآلهتكم .
إلا قوْلَ إبراهيمَ	استثناءٌ منْ أسوَة حسنة .
من الله	منْ ثواب الله وعقابه .
أنبنا	رَجعنا .
المصيرُ	المرْجعُ يوْمَ القيامة .
فتنةٌ	ابتلاء ومحْنة .
العزيزُ الحكيمُ	القوىُّ الحسن التدْبير .
يرْجو اللهَ واليومَ الآخرَ	يطلبُ ثوابَ الله ، ويخشى عقابه يومَ القيامة
يتولَّ	يُعرض .
الغنى الحميدُ	المستغنى عنْ خلقه ، الحميدُ لمنْ أطاعهُ .
عسَى	فعلٌ يستعملُ للرجاء .
عادَيتمْ منهُم	عادَيتمْ منْ أهل مكةَ .
موَدّة	ميلا وحبًّا ، بهدايتهم إلى الإسلام .
غفُورٌ	يغفرُ ما سلفَ من الذنوب .

مجمل المعنى

١ — أرادَ اللهُ أن يتخذَ المسلمون منْ سيدنا إبراهيم ومَنْ آمنَ به قدوة حسنة لهم فى قوة إيمانهم ، وفى الصبر على ما نالهم من مكروه ، وفى فَنائهم فى حب الله ، وفى عدم مبالاتهم بما خلفوه وراءهم من مال وولد ، فقد قالوا للكفار منْ قومهم : إنا متبرئُونَ من كل صلة تجمعنا بكم ، متبرئون مما تعبدون من غير الله من أصنام وكواكبَ ، فلا نعتدّ بكم ، ولا بآلهتكم ، وسيظل هذا دأبنا معكم ، منَ القطيعة وإظهار العداوة والبغضاء لكم ، حتى تترُكوا ما أنتُم عليه من الشرْك؛ واستثنَى اللهُ منَ القدْوَة بإبراهيمَ ومنْ معه ، استغفارَ إبراهيمَ لأبيه الكافر ، فإنه ليسَ مما يقتدى به فيه ، فقد كان إبراهيمُ استغفرَ لأبيه ، لوعده إياهُ بأنْ يؤْمنَ برسالته ، ويترُكَ عبادةَ الأصنام ، فلما تبيَّنَ لإبراهيم أن أباه مصرٌّ على الكفر ، ولم ينجزْ وعدَه ، تبرأ منه ؛ على أن إبراهيمَ حينَ استغفرَ لأبيه ، قال له : ليس فى طاقتى إلا مجرد الاستغفار لك ، وتفويضُ الأمر إلى الله سبحانه وتعالى فى أمركَ .

٢ — ثم بيَّنَ اللهُ ما حكى عن إبراهيمَ ومنْ آمنَ به ، من تخصيص توكلهمْ على الله ، والرجوع إليه فى جميع أمورهم ، والاعتراف بأن مصيرهم إليه يومَ القيامة للحساب ، ودعائهم ألا يسلطَ الكفارَ عليهم ، امتحاناً وابتلاء بعذاب لا يطيقُونه ، وأن يغفر لهم ما فرّط من ذنوبهم ، لأنه هو العزيزُ الغالبُ ، الذى لا يذل من التجأ إليه ، ولا يخيِّبُ رجاءَ منْ توكل عليه ، الحكيمُ الذى لا يفعلُ إلا ما فيه حكمةٌ بالغةٌ ؛ ثم أشارَ اللهُ بعد هذا إلى القدْوة الحسنة بإبراهيمَ ومنْ آمنَ به ، للحث على أنْ يقتدى بهم منْ يخافُ اللهَ ويرْجو ثوابه ، ويخشَى فى الدار الآخرة عقابه ، لينالَ رضا الله ومحبته ؛ فمنْ أعرَضَ عن اتباع أوامر الله ، ومالَ إلى مودّة الكفار ، فلا يلومن إلا نفسه ؛

واللهُ سبحانه وتعالى مستغن عن جميع خلقه ، حميدٌ لمنْ أطاعه .

٣ — ولكيلا يدبَّ اليأسُ إلى قلوب الذين تركُوا أقاربهم من الكفار بمكةَ ، ويَظنونَ أنهم لنْ يلتقوا بهم ، أرادَ اللهُ تطييبَ قلوبهم بأمل يلتقون عندَه بأقاربهم ، وهوَ أنْ يهتدى إلى الإسلام من فارقوهم من المشركين من أولادهم وذَويهم ، فيلتئمَ بهم شملهم ، ويجتمعوا على الإيمان فى مودَّة وإخاء ، واللهُ قديرٌ على تسهيل أسباب المودة ، غفورٌ لمن أسلمَ من المشركين ، رَحيمٌ بالمؤمنين لما فرّط من ميلهم إلى أقربائهم المشركين ؛ وقد أنجزَ اللهُ وعده ، فأسلمَ كثيرٌ منهم بعد فتح مكةَ ، وتزَوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنة أبى سفيانَ ، الذى كان قبل إسلامه زَعيمَ كفار قرَيش .

(٣)

من الآية ٨ إلى الآية ٩ من سورة الممتحنة

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تبرّوهم	تحسنُوا معاملتهم .
تقسطُوا	تعدلوا .
فى الدين	بسبب الدين .
ظاهروا	عاونُوا .
تولَّوْهم	تتولَّوهم ، أىْ تعاونُوهم .

قصة أسماء بنت أبي بكر مع أمها

كانت لأسماءَ بنت أبي بكر أمٌّ مشركةٌ ، فذهبت هذه الأم إلى ابنتها — وكانت مطلقة من أبي بكر — ومعها بعضُ الهدايا ، فأبتْ أسماءُ أنْ تقبلها ، ورفضتْ أنْ تدْخلها بيتها ، وطلبتْ من أختها منْ أبيها : عائشة زوْج النبي صلى اللهُ عليه وسلم ، أنْ تسأل رسول الله عما يقضى به فى هذا الأمر ، فأنزل الله هاتين الآيتين ، فأمر الرسولُ أسماء أنْ تقبل هديةَ أمها ، وأنْ تدْخلها بيتها ، وأن تكرمها ، وتحسنَ لقاءها .

مجمل المعنى

١ — إن الله تعالى يجيزُ للمسلمين أن يحسنُوا معاملةَ منْ لمْ يقاتلوهم ، ممنْ ليسوا على دينهم ، ما دَاموا لمْ يكونوُا ممنْ تآمَرُوا على إخراجهم منْ مكةَ ، بل يقابلُوهم بالحسنى ، ويعاملوهم بالعدل والقسطاس ، لأن اللهَ يأمرُ بالعدل والإحسان ، ويحب من يتصفُ بهاتين الخَلَّتين ؛ وفى هذا إشعارٌ بأن علينا أنْ نحسنَ معاملةَ منْ يقيمون معنا فى ديارنا ، ممنْ ليسُوا على ديننا .

٢ — إنما ينهى اللهُ المسلمين عن اتخاذ الأصدقاء والأنصار ممنْ قاتلوهم ، لاعتناقهم الدينَ الإسلامى ، وتآمرُوا على إخراجهم من مكة ، وعاونُوا على إخراجهم ؛ فمنْ يصادقْ هؤلاء أو يناصرْهم ، فهُم ظالمون ، لأنهم وضعُوا صداقتهم ومناصرتهم ، موْضعَ ما يجبُ أنْ يكونوا عليه من العداوة والبغضاء .

(٤)

من الآية ١٠ إلى الآية ١١ من سورة الممتحنة

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا جَآءَكُمُ الْمُؤْمِنٰتُ
مُهٰجِرٰتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنٰتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ
الْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقُوا ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوٰجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ
فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (١١)

شَرْحُ ٱلْأَلْفَاظ

الألفاظ	شرحها
مهاجرَات	منتقلات منْ مكةَ إلى المدينة .
امتحنوهن	اختبرُوهن بالحلِف أنهن خرَجن رغبة فى الإسلام.
علمتموهن مؤْمنات	غلبَ على ظنكُم إيمانهن بعدَ حلفهن .
إلى الكفار	إلى أزْواجهن من الكفار .
لاهن حل لهم	انقطعتْ صلةُ الزوَاج بينهن وَبينَ أزْواجهن .
آتُوهمْ ما أنفقوا	أعطُوا الأزْوَاجَ من الكفار ما سبق لهمْ دفعهُ منْ مهورهن.
لا جناحَ	لا إثمْ ولا ذَنبَ
تنكحُوهن	تتزَوجوهن .
أُجورَهن	مهورَهن .
تمسكوا	تتمسكوا وتحافظوا .
بعصَم الكوَافر	بزَوَاج زَوْجاتكم اللاتى بقين على كفرهن، أو ارْتدَدْنَ.
اسألوا	اطلبُوا أيها المسلمون .
ما أنفقتمْ	ما دَفعتمْ إلى نسائكم الكافرات من المهور .
وليسألوا ما أنفقوا	وليطلبْ الكفارُ ما دفعوا من مهور لأزْواجهم المهاجرات.
ذلكم	جميعُ ما ذكرَ فى الآية .
فاتكم شىءٌ من أزْواجكم	ذهبَ وضاعَ شىءٌ من مهور زوجاتكم الكافرات .
فعاقبتم	فأصبتم الكفارَ بالعقوبة فى غزْوَة ، وغنمتمْ منهم .
فآتوُا الذين ذهبتْ أزْوَاجهم	فأعطوا المسلمين الذين ذَهبتْ زَوْجاتهم من الغنيمة .

عهد الحُدَيبيَة

١ — فى سنة ست من الهجرة ، عُقدَ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينَ قريش فى مكةَ عهدُ الحديبية ، (وهى قرْيةٌ صغيرةٌ بالقرب من مكةَ ، سميت باسم بئر هناك) ، على أن من أتى محمداً من قريش ردّهُ عليهم ، ومن جاءَ قريشاً من محمد لمْ يردُّوه عليه ؛ ولما كان العهدُ لا ينسحبُ على النساء ، جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعضُ المؤمنات مهاجرات من مكة إلى المدينة ، فنزلت هاتان الآيتان ، لبيان أحكام هؤلاء المهاجرات .

مجمل المعنى

١ — يخاطبُ اللهُ المؤمنين ، بأنه إذا جاءتهم مؤمناتٌ مهاجراتٌ من مكةَ إلى المدينة ، فعليهم أن يختبرُوهن ، مع علم الله جل شأنه بما تكنه صُدُورُ هؤلاء المهاجرات من إيمان أوْ شرك ، وذلك بأنْ تحلفَ المهاجرة أنها ما خرجتْ بغضاً لزوْج ، أو التماسَ دُنيا ، وإنما خرجتْ حبًّا لله ولرسوله ، فإنْ غلب على ظن المؤمنين إيمانُ المهاجرات بعد الحلِف ، وجبَ ألا يعيدُوهن إلى أزواجهن من الكفار ، لأنهن صرْنَ مؤمنات ، وانقطعتْ الصلةُ بينهن وبينَ أزْواجهن الكفار ، على أنْ يعطى أزْواجهن من الكفار ما سبقَ أنْ دفعُوه إليهن من المهور ، تحقيقاً لما يقتضيه العدلُ والإنصافُ ، وأجازَ اللهُ للمسلمين بعد انقطاع الصلة بين المهاجرات المؤمنات وبين أزْواجهن من الكفار ، أنْ يتزوجوهن إذا أدوْا إليهن مهورَهن ، ليدْفعنها إلى أزْواجهن السابقين ؛ وقد تزوجَ عُمرُ بنُ الخطاب رضىَ الله عنه إحدى المهاجرات ، وهى سُبَيعة بنتُ

الحرث، طبقاً لهذا الحكم، بعد ما دَفعَ إلى زَوْجها مسافرِ المخزُومى مهرها ، حينَ جاء إلى المدينة طالباً لها .

٢ — ونهَى اللهُ المؤمنين أن يبقوا ما بينهم وَبينَ زوْجاتهم الكافرات من علاقة الزوْجية ، لانقطاع عصْمتها منه ، إن بقيتْ فى مكةَ على شرْكها ، أو ارتدت عن دين الإسلام — وعصَمٌ : جمع عصْمة ، وهى ما يُعتصَمُ به ، ويلجأ إليه ؛ وقد طلقَ عُمرُ امرَأته فاطمةَ بنتَ أبى أمية لذلك

٣ — وأمرَ اللهُ المؤمنين أن يطلبوا من الكفار مهورَ نسائهم اللائى لحقن بالكفار ، لارتدَادهن، أو بقائهن بمكةَ على شرْكهن ، كما طلبَ من الكفار أنْ يطلبوا من المسلمين مهورَ نسائهم المؤمنات المهاجرات ، وبيَّن أن ما سبق ذكرُه، هو حكمُ الله الواجبُ اتباعه، لا فرقَ بين كافر ومسلم فى إقامة العدل والقسطاس ، واللهُ عليمٌ بما تقتضيه حكمَته البالغةُ من سن الشرائع الملائمة لخلقه ؛ ولما تقررَ هذا الحكمُ، أدى المؤمنون ما أمرُوا به من مهور المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن السابقين ، وأبى المشركُون أنْ يرُدُّوا شيئاً من مهور المرْتدات ، أو اللاتى بقين على كفرهن بمكةَ من الزوجات

٤ — فإنْ فاتَ المؤمنين شىءٌ من مهور أزواجهم اللاتى ارْتدَدْنَ ، أو بقينَ على كفرهن ، ولم يؤَد الكفارُ إلى المؤمنين مهورَ هؤلاء النساء، فَغزَوا الكفار وغنموا منهم ، فعلى المؤمنين أن يعطوا هؤلاء الأزواجَ مثلَ ما دفعوه لزوجاتهم من المهور من قبل ، على أن يكُونَ هذا العطاءُ مما غنموه من الكفار قبل أن يُخمَّس، تعويضاً لهؤلاء الأزواج من المؤمنين عما أصابهم من الخسارَة ، من جرَّاء تفويت الكفار عليهم مهور نسائهم ؛ ثم أمر اللهُ عباده باتقائه ، ومراعاة العدل، وحذرهم أن يتعدوا حدوده .

(٥)

من الآية ١٢ من سورة الممتحنة إلى آخر السورة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يبايعنك	يعاهدنك ، كأنهن يبعن أنفسهن فى سبيل طاعة الله .
ولا يقتلنَ أوْلادَهن	لا يئدْنَ أوْلادَهنَّ خشيةَ الفقرِ أو العار .
ببهتان يفترينه بين أيْديهن وأرْجلهن	بكذب يدعينه ، بنسبة ولد لقيط إلى أزْواجهن
ولايعصينكَ فى معرُوف	ولا يعصينك فيما تأمرُ به من طاعة الله .
بايعهن	اقبل معاهدَتهن .

الألفاظ	شرحها
لاتتولَّوْا	لا تصادقُوا ولاتناصرُوا ولاتحالفُوا .
يئسُوا منَ الآخرَة	يئسُوا من ثواب الدار الآخرة، لكفرهم وعنادهم .
يئسَ الكفارُ منْ أصحاب القبُور	يئسَ الكفارُ الذينَ ماتُوا وسكنُوا القبورَ ، وتبينُوا حرْمانهم نعيمَ الجنة .

مجمل المعنى

١ — لما فتحتْ مكةُ ، أقبلَ رجالها يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم على نصرته ومحالفته ، فلما فرَغَ من مبايعة الرجال ، أخذَ يبايعُ النساء ، فأعطينه العهودَ على ما يأتي :

ا — ألا يشْركنَ بالله شيئاً من مخلوقاته ، كالأصْنام ونحوها .

ب — وألا يسرقنَ .

حـ — وألا يزْنينَ .

د — وألا يقتلنَ أوْلادَهن ، وكانت البنتُ تدْفنُ حية فى بعض القبائل خشية العار ، والأولادُ ذكوراً وإناثاً يقتلونَ خشيةَ الفقر .

هـ — وألا يأتينَ بكذب يدعينه ؛ وكانت المرأةُ تلتقطُ مولوداً ، فتقول لزَوْجها : هذا ولدى منك ، وعبَّر اللهُ بقوله : بينَ أيديهن وأرْجلهن ، لأن الأم حين تلد ، يسقطُ المولودُ بين يدَيها ورجليها ، فنهى اللهُ النساءَ أنْ تكذبَ المرأةُ على زَوْجها ، بإلصاق ولد ليس من صُلبه إليه .

و — وألا يعصين الرسولَ فيما به يأمرُ من معروف ، ويَنهى عنه من منكر ، كالنُّواح على الميت ، ولطم الخدُود ، وشق الجيوب ، وجز الشعور .

وقد بايعهن الرسولُ عليه الصلاة والسلام على الوفاء بهذه الأشياء ؛ ومع ما فى المبايعة من ضمَان الثواب ، فقد أمرَ الله رسوله أن يستغفرَ لهن ، فإنه واسع المغفرة ، كثيرُ الرحمة ، إنْ وفين بما عاهدْنَ عليه .

٢ — وقد وصلَ اللهُ خاتمةَ هذه السورة بفاتحتها ، فنهى عن اتخاذ الأصدقاء والأنصار ، من قوم استحقوا غضَبَ الله عليهم ، مهما كانت الدواعى ، فقد كان قومٌ من فقراء المؤمنين يزورون اليهودَ بالمدينة ويجالسونهم ، ليصيبوا من ثمارهم ، وكانوا يبلغونهم أخبارَ المسلمين فى أثناء حديثهم معهم ، فنهاهم اللهُ عن مواصلَتهم ، لأنهم كذبوا الرسولَ مع اعتقادهم برسالته ، حسب ما جاء فى كتبهم ، حسداً له ، فأفسدُوا آخرتهم بتكذيبهم إياه ، فانقطع أملهم من ثواب الدار الآخرة لكفرهم وعنادهم ، كما انقطع أملُ الكفار من التقائهم بالموْتى الذين سكنُوا القبورَ ، لأنهم لا يؤْمنونَ بالبعث والنشور .

سورة الصَّفّ

نزلت بالمدينة، وآياتها ١٤ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦)

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبحَ لله ما فى السموات وما فى الأرْض	مجّدالله َ ونزهه عما لا يليقُ به كل شىء فى الكوْن ، واعترَفَ بألوهيته .
العزيزُ الحكيمُ	العزيزُ فى ملكه، الحكيمُ فى صُنعه وتدْبيره .
كبرَ مقتاً عند الله أنْ تقولوا ما لا تفعلون	عظمَ عندَ الله بغضاً قوْلكم ما لا تفعلونه ، والمقتُ : أشد البغض ، من أجل ارتكاب ذنْب أو دَناءَة .
صَفّاً	مصفوفين أمامَ الأعداء
زَاغُوا	عدَلُوا عن الحق ، بإيذَائه وعصْيانه .
أزَاغَ اللهُ قلُوبهم	أمالَ قلوبهم عن الهدَى .
الفاسقين	الخارجين عنْ طاعة الله .
يا بنى إسرائيلَ	يا ذُريةَ يعقُوبَ ، وَهم اليهود .
لما بينَ يدَىَّ	لما نزَل قبلى .
التوْرَاة	الكتاب المنزل على سيدنا موسى .
البينات	المعجزات الدالة على رسالته .
مبينٌ	بيّن ظاهرٌ .

مجمل المعنى

١ — بيّن اللهُ سبحانه وتعالى أن جميعَ الكائنات فى السموات والأرض، من ملائكة وإنس وجن وغيرهم، تسبحُ بحمد الله تسبيحاً دائماً لا ينقطعُ، فتنزهه عما لا يليقُ به من نسبة الشريك إليه ، وتعترفُ برُبوبيته ووَحدَانيته، كما قال :

« وإنْ منْ شيء إلا يسبحُ بحمده، ولَكنْ لا تفقهونَ تسبيحهمْ » ، وهو العزيزُ، الحكيمُ في صُنعه وتدبيره

٢ — وكانَ جماعةٌ من المؤمنين قبلَ أن يفرَض الجهاد يقولون : لو نعلمُ أي الأعمال أحب إلى الله لعملناها حتى نموت ، فلما أمرَ اللهُ بالجهاد في سبيل الله، شق عليهم أمرُه ، وقالوا: «رَبنا لمَ كتبتَ علينا القتالَ ؟ لوْلا : — هلا — أخرْتنا إلى أجل قريب» ، فأنَّبهم اللهُ علىأنهم يقولون ما لا يفعلون، وبيَّنَ أن القولَ الذي لا يصْحبه فعلٌ ، يبغضُه اللهُ بغضاً شديداً ؛ وكبرَ مقتاً عندَ الله أن تقولوا ما لا تفعلون : أسلوب عرَبيٌّ ، يدُل على الذم معَ التعجب ، لتعظيم الأمر في قلوب السامعين

٣ — ولما كان الأمرُ خاصًّا بالجهاد، بيَّنَ اللهُ أنه يحب الذين يجاهدون في سبيل نصرة دينهُ متلاصقين غير متفرقين ، كأنهم في اصْطفافهم وثباتهم ، وتسوية صُفوفهم، كالحائط الذي رُصت لَبِناتهُ أو آجُرُّه أو نحوهما ، في نظام محْكم ، لا فرجة فيه ولا خلل .

٤ — وقد ذكَّرَ اللهُ المؤمنين بالنتائج الوخيمة المترَتبة على عصيان الرسل ، حين استهولوا أمرَ القتال ، فذكرَ قصة موسى ، حتى لا يفعلوا مع محمد مثل ما فعلَ بنو إسرائيلَ مع موسى ، فقد وبخهم على إيذائه بأنواع الأذى قولا وفعلا ، وعصْيانِه أشدَّ عصْيان ، مع أنهم يعتقدون أنه رسولُ الله إليهم ، بما أظهرَه من المعجزات الدالة على رسالته ، ومع أنه أنجاهم من آل فرْعوْنَ الذين كانوا يسومونهم سوءَ العذاب ، فقالوا لموسى : أرِنا اللهَ جهرَةً ، وقالوا له: لن نصْبر على طعام واحد ، وعبدوا العجلَ حينَ فارَقهم موسى لمناجاة ربه ، فلما حادُوا عن سبيل الحق ، وانحرَفُوا عن طريق الهدَى ، صرَفَ اللهُ قلوبهم

عن قبول الحق ، والميل إلى الصواب .

٥ — كذلك ذكَّرَ المؤمنين بما حدثَ لعيسى ابن مريمَ ، فقد قال لليهود : إنى مرْسَلٌ من عند الله إليكم ، مصَدقاً بالتوْرَاة التى أنزلتْ على موسى من قبلى ، ومبشراً برَسول من عند الله يأتى بعدى ، مذْكورٍ فى التوْراة ، اسمه : أحمدُ ، وهو أحدُ أسماء النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما جاءهم عيسى بالمعجزات الدالة على رسالته : كإبراء الأكمه والأبرَص ، وإحياء الموتى ، قالوا : هذا سحْرٌ مبين .

(٢)

من الآية السابعة إلى الآية ١٣ من سورة الصف

ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام
والله لا يهدي القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨) هو الذي أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٩) يا أيها الذين
آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠) تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم
خير لكم إن كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز
العظيم (١٢) وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (١٣)

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
افترَى على الله الكذبَ	ادّعى ، واختلقَ الكذبَ على الله .
يُدْعى إلى الإسلام	يدْعى للدخول فى الإسلام .
نورَ الله	دينه وشريعته وبراهينه .
بأفواههم	بطعنهم فيه بأنه سحرٌ وكهانةٌ .
متم نوره	مظهرٌ دينهُ ، ومبلغه غايته ، وناشرُه بينَ العالمين .
بالهدَى ودين الحق	بالقرآن والملة الإسلامية .
ليظهرَهُ على الدين كله	ليعليه على الأدْيان كلها
عذَاب أليم	عذاب مؤْلم موجع .
ذلكم	ما ذُكرَ من الإيمان والجهاد .
إنْ كنتمْ تعلمُون	إنْ كنتم منْ أهل العلم .
ذلكَ	ما ذُكر من المغفرَة وإدْخال الجنة
جنات عدْن	جنات إقامة دائمة .
وأخرى تحبونها	ويؤْتكم نعمة أخرَى تحبونها .

مجمل المعنى

١ — كان الكفارُ حينَ يدْعوهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، ويختلقون على الله الكذبَ ، فيزْعُمون أن ما أتى به محمدٌ من القرآن الكريم

زورٌ وَبهتانٌ ، وأنه إفكٌ افترَاه محمدٌ على الله، وأعانه عليه قومٌ آخرون ، وما هو إلا أساطيرُ الأولين تملى عليه ، فبيَّن اللهُ أنه ليسَ أحدٌ أشد ظلماً وعدْواناً من هؤلاء المعاندين، لأنهم يُدْعوْن إلى الإسلام الذى يوَصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، فيعرضون عنه، فاستحقوا غضبَ الله عليهم، والله لا يوفقُ القومَ الذين ظلموا أنفسَهم بكفرهم وعنادهم إلى الهدى .

٢ — هؤلاء المفترون الظالمون ، يريدون بأقوالهم هذه أن يبطلوا دينَ الله وهو الإسلامُ ، بمطاعنهم وافترَاءاتهم ، من أنه إفكٌ وسحْرٌ ، واختلاقٌ وبهتانٌ ، واللهُ مظهرٌ دينه ، ناصرٌ رسوله ، رَغمَ أنوف المشركين ، فمثلهم فى الحيلولة بين رَسوله وبين تبليغه دَعوَته ، كمثل من ينفخُ فى ضوء الشمس ليطفئه ، وكيفَ يستطيعون أنْ يحولوا دونَ ظهور دين هو دينُ الحق والهداية ، أرسلَ اللهُ به رسوله ليعليه و يرْفعه على جميع الأدْيان المخالفة له ، مهما حاولوا ، ومهما كانتْ كراهتهم له ، ومقاوَمتهم إياه، ومحاولتهم الصدَّ عنه ؟ .

٣ — ثم حضَ اللهُ المؤمنين على بذْل المال والنفس فى سبيل نشر الدين وإعلاء شأنه، فبيَّنَ أن هذا البذْلَ تجارةٌ مضمونةُ الربح، لاكسادَ فيها ولا بوار ولا خسران ، تنجى صَاحبها من كل أذى ، وتعوضُه تعويضاً جزيلا ؛ هذه التجارةُ التى عرضَها اللهُ على المؤمنين ، أنْ يداوموا على إيمانهم إيماناً كاملا خالصاً ، يشتركُ فيه اللسانُ والَجنانُ ، وأن يجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فإن الإيمانَ الكاملَ الخالصَ، وبذلَ المال عن طواعية واختيار فى سبيل الله — والجود بالنفس أقصَى غاية الجود — خيرٌ لمن كان من أهل العلم والفطنة، فإنْ فعلَ المؤمنون ذلك، عوضَهم عن تجارتهم هذه مغفرة من الله عن ذُنوبهم، وأدخلهم َجنات تجرى من تحتها الأنهارُ ، وأنزَلهمْ

مساكن طيبة فى جنات يخلدون فيها أبداً ، ويلقوْنَ فيها النعيمَ المقيمَ ، وذلك الجزاءُ من الغفران والنعيم ، هو الفوزُ العظيمُ ، الذى لا فوْزَ أعظمَ منه ، كما أن لهم فوقَ هذه النعم العظيمة نعمة أخرَى عاجلة يحبونها ، ويرْغبون فيها ، وهى تأييدُ الله لهم ، بانتصارهم على أعدائهم ، وفتحٌ عاجلٌ لمكةَ ، فبشرْ يا محمدُ المؤمنين بأنى منجزٌ وَعدى ؛ ويشبه ما فى بعض هذه الآيات قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤْمنين أنفسَهم وأموالهم بأن لهمُ الجنةَ يقاتلُون فى سبيل الله » .

(٣)

من الآية ١٤ وهى الأخيرة من سورة الصف

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أنصارَ الله	أنصارَ دين الله .
الحوَاريينَ	المخلصينَ الأصْفياء أنصار عيسى .
منْ أنصارى إلى الله ؟	منْ أعوَانى لأنصرَ دينَ الله ؟ .
أيدْنا	قوَّينا ونصَرْنا .
على عدُوهم	على الطائفة الكافرة .
فأصْبحوا ظاهرين	فصَارُوا غالبينَ .

مجمل المعنى

أرادَ اللهُ أن يضربَ مثلا ببعض المؤمنينَ الذين آزَروا أنبياءَهم وعاضَدُوهم ، فأيدهم اللهُ بنصره ، وهم الحواريون أصْفياءُ عيسى عليه السلام وأنصارُه، ليقتدى بهم المسلمون فى نصرَة محمد صلى الله عليه وسلم، والجهادِ فى سبيل الله حق جهاده ، فذَكرَ أن عيسى عليه السلام حينَ أُرْسلَ إلى قوْمه من بنى إسرائيلَ، قاوَموا دعوتَه وعاندوه ، فقال عيسى لأصْفيائه وخاصته : منْ ينصرُنى فى سبيل دين الله؟ فقال هؤلاء الأصْفياء الخلصاءُ — وكانوا اثنىْ عشرَ رَجلا — : نحنُ أنصارُ دين الله الذى بعثتَ به، آمنا بوَحدَانيته ، واعترفنا برُبوبيته؛ فلما توُفِّىَ عيسى ، انقسم منْ آمنَ به قبل موته طائفتين : طائفةٌ بقيت على إيمانها به ، وكفرَت طائفة أخرَى ، فاقتتلتْ الطائفتان ، فنصرَ اللهُ الطائفة المؤمنة على الطائفة الكافرة ، وقوَّاهم عليهم ، فغلبوهم .

سورة الجُمُعة

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١١ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسبحُ لله	يمجد الله وينزههُ عما لا يليقُ به .
الملكِ	ذى العظمة والسلطان .
القدوس	الطاهر ، المبرأ من العيوب والنقائص .
الأميينَ	المرادُ بهم : العربُ ، لأنهم لا يعرفونَ القراءةوالكتابة.
يتلو عليهمْ آياته	يقرَأ عليهم كتابه ، وَهوَ القرآنُ الكريمُ .
يزَكيهم	يطهرُهم من الشرْك .
الكتابَ	القرآنَ .
الحكمةَ	أحكامَ الشريعة .
وإنْ كانوا	وإنهم كانوا .
من قبلُ	من قبل رسالة محمد .
وآخرين منهم	وبعثَ اللهُ في آخرين سواهم من جميع الأجناس .
لما يلحقوا بهم	لم يدْركوا عهدَ الصحابة ، وسيأتونَ بعدَهم
يؤْتيه	يعطيه

مجمل المعنى

١ ـ ينزهُ اللهَ ذا العظمة والسلطان ، كلُّ المخلوقات فى السموات والأرض، تنزيهاً متجدداً آناء الليل وأطرافَ النهار ، لأنهم فى قبضَة قدْرته، وتحتَ تصرفه ، وهو العزيزُ القاهرُ فى ملكه ، الحكيمُ المتصرفُ فى تدبيره وصُنعه ؛ وهو الذى

بعثَ فى أمة العرب التى لا يعرفُ أكثرُهم القراءة والكتابة، رسولا منهم، يشبههم فى أنه أمىٌّ مثلهم ، ومع كونه أميًّا لم يسبقْ له تعلم ولا معرفةٌ بالقراءة والكتابة ، فهو يتلُو عليهم آياتِ القرآن الكريم، التى يُوحيها إليه المولى جل شأنه، ويطهرُ العربَ من العقائد الفاسدة كالشرك بالله، ويعلمهم كتابَ الله، وما اشتملَ عليه من أحكام ، وإنهم كانوا قبلَ رسالته فى ضلال ، لعبادتهم ما لا يسمعُ ولا يبصرُ، ولا يغنى عنهم شيئاً ، فكانوا محْتاجين إلى رسول يرْشدهم ويَهديهم إلى سبيل الحق ؛ وعبَّرَ اللهُ بالماضى فى قوله: « سبحَ » فى أوَّل سورة الصف ، وبالمضارع فى قوله : « يسبحُ » فى أوَّل هذه السورة ، للدلالة على التسبيح فى الماضى والحال والاستقبال؛ وتخصيصُ العرب الأميين بالذكر ، لا ينفى مَن عداهم .

٢ — وليست دعوةُ الرسول مقصُورَة على من يكونون فى زمنه ممن يبلغهم دعوته ، ولكنها تشملهم وتشملُ غيرهم من جميع الأجناس، ممن يجيئون بعد الصحابة إلى يوم القيامة ، واللهُ عزيزٌ فى ملكه ، قادرٌ على أن يجعلَ الدعوةَ عامة شاملة ، حكيمٌ فى اختيار من يصْلحُ لهذه الدعوة العامة ؛ وذلك الفضلُ الذى امتازَ به محمدٌ عن جميع الأنبياء فى عموم دعوته ، هو فضْلٌ من الله يُسبغهُ على من يصْطفيه من عباده، لأنه هوَ وحدَه مصدرُ الفضل العظيم، والإنعام الجزيل .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية الثامنة ، من سورة الجمعة

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حُمِّلُوا التوراةَ	عُلِّموها ، وكلفوا العملَ بها .
لمْ يَحملُوها	لم يعملُوا بماهو فيها من الدلائل على نُبوّة محمد .
أسفارًا	كتباً ، جمع سِفْر .
بئسَ	فعلٌ يُستعمل للذّم .

الألفاظ	شرحها
بآيات الله	بالتوراة المصُدّقة بنبوة محمد .
يأيها الذين هادوا	يأيها اليهود ، أصْله من هاد : إذا رجعَ من خير إلى شر ، أو العكس .
أولياءُ لله	أصْفياءُ الله وأحباؤه .
فتمنوُا الموْتَ	فاطلبوا الموْتَ ، لتخرجوا من دار الأكدار إلى دار الكرامة .
بما قدّمتْ أيديهم	بسبب ما قدّموا من الكفر والمعاصى ، وتحريف التوراة .
الظالمين	الذين ظلموا أنفسهم بتعرْيضها للعذاب ، لكفرهم .
تفرّون منه	تخافونه .
ملاقيكمْ	نازلٌ بكمْ .
الغيب والشهادة	السرّ والعلانية .
فينبئكمْ بما كنتمْ تعملون	يخبرُكمْ بما عَملتمْ ، ويجازيكمْ عليه .

مجمل المعنى

١ — ضرَبَ اللهُ مثلاً لمن أنكرَ ثبوتَ نبوّة محمد فى التوراة ، فذكرَ أنّ الذين عُلِّموا ما فى التوراة ، ثُمّ لم يعملوا بما هو ثابتٌ بها من الآيات الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، مثلهم كمثل الحمار ، يحملُ كتباً علمية يتعبُ فى حملها ، ولا ينتفعُ بشىء مما فيها ، فما أسوأ مثل هؤلاء القوم ، وما أحقهم بالذّم ! وهم الذين كذّبوا بآيات الله المثبتة فى التوراة بغياً وحسداً للنبى صلى الله عليه وسلمَ ؛ واللهُ جلّ شأنه لا يهدى هؤلاء المعاندين الحاسدين ، الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها

لعذاب الله ، بكفرهم ومعاصيهم .

٢ — وأمرَ اللهُ محمداً أنْ يقولَ لهم إظهاراً لكذبهم : أيها اليهودُ ، إنْ زعمتمْ أنكمْ أبناءُ الله وأحباؤُه ، وأنّ الدارَ الآخرةَ خالصَةَ لكم منْ دُون الناس ، وأنه لنْ يدْخلَ الجنةَ إلا منْ كانَ يهوديًّا ، فتمنوْا أنْ ينقلكمُ اللهُ منْ دار الأكدار فى الدنيا ، إلى دار الكرامة فى الآخرة ، فإنّ منْ أيقنَ أنهُ من أهل الجنة ، أحبّ أنْ يتخلصَ منَ الدنيا ، دار النكد والمهانة ، لينتقلَ إلى دار العزّ والكرامة ؛ ولكن هؤلاء اليهود ، الذين يوقنون بصدْق رسول الله عليه الصلاةُ والسلامُ ، لا يتمنوْن الموْتَ أبداً ، بسبب ما قدّمتهُ أيديهم منْ تحريف الآيات الدّالة على نبوّة محمد فى التوراة ، وما ارْتكبوه من الكفر والمعاصى المؤدّيين إلى دخول النار ، واللهُ مطلعٌ على ضمائرهم ، عليمٌ بما صدرَ منهم من أنواع الظلم والمعاصى .

٣ — كما أمرَ اللهُ محمدًا أن يقوُلَ لهم : إنّ الموتَ الذى تفرّونَ منه ، ولا تجسرون على أن تتمنوه ، مخافةَ أنْ تؤخذُوا بوَبال أعمالكم ، سيلحقكم وينزلُ بكم ، مهما حاولتم الفرار منه ، ثمّ تردّون إلى الله المطلع على سركم وعلانيتكم ، فيخبرُكم بما كنتم تعملونه فى الدنيا ، ويجازيكم على ما اقترفتم من الكفر ، وما ارتكبتم منَ المعاصى .

(٣)

من الآية التاسعة من سورة الجمعة ، إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نوديَ للصّلاة	أذّنَ المؤذّنُ لصلاة الجمعة .
فاسعوا	فامضُوا مسرعينَ .
وذرُوا	واترُكوا .
ذلكمْ	الإشارةُ إلى السعي إلى ذكر الله وترك البيع .
إنْ كنتمْ تعلمون	إن كنتمْ من أهل المعرفة والعلم .

الألفاظ	شرحها
قضيت	أُدّيت .
انتشرُوا فى الأرْض	تفرّقُوا فى طلب مصالحكم .
ابتغوا منْ فضْل الله	اطلبُوا الرّزقَ منْ فضْل الله .
تفلحُون	تفُوزونَ .
لهواً	قرْعاً على الطبول .
انفضّوا إليها	تفرّقُوا عنكَ إليها .
قائماً	قائماً على المنبر تخطبُ .
ما عندَ الله	الذى عندَ الله من الثواب .

مجمل المعنى

١ — أمرَ اللهُ المؤمنين أنْ يسرعوا إلى المساجد عند ما يسمعون المؤذّن يدعوهم إلى صلاة الجمعة ، وأنْ يترُكوا جميعَ أنواع المعاملة من بيع وشراء ، وأخذ وعطاء، لحُرْمة مزاوَلتها فى هذا الوقت، فإنّ ذلك السعىَ، وتركَ البيع والشراء، أكثرُ نفعاً، وأجزَلُ فائدةً، لما فى حضُور الجمعة من سَماع خطبة تحض على الخير ، وتنهى عن الشرّ، ومن تقوية روابط المحبة بين الناس ، حينَ يلتقون فى مكان واحد ، ومنْ ثواب الله يوم القيامة .

٢ — فإذا أدوْا صلاةَ الجمعة، أباحَ اللهُ لهم أنْ يتفرّقُوا فى الأرض ، ويعودُوا إلى التعامل فيما بينهم ، ويرْجعوا إلى مزاولة أعمالهم ، على ألاّ تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله ، ليباركَ اللهُ لهم فى رزْقهم ، وَيفوزُوا بالخير والسعادة فى الدنيا والآخرة .

٣ — عبث ولهو

وفى الآية الأخيرة عتابٌ لبعض أهل المدينة ، فقدْ حدَثَ أنهُ أصابَ أهلها جوعٌ وغلاءُ أسعار ، فقَدِمَ أحدُ التجار ببضاعة له من الطعام ، أحضرَها من الشام ، والنبى صلى الله عليه وسلمَ قائمٌ يخطبُ يومَ الجمعة ، فتلقى كثيرٌ من أهل المدينة التاجرَ بقرْع الطبول كعادتهم ، وتركَ كثيرٌ ممن كانوا بالمسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم فى أثناء الخطبة ، خشيةَ أن ينفَدَ ما أحضرَهُ التاجرُ ، ولم يبقَ بالمسجد إلا اثنا عشرَ رجلاً ، فقبّح اللهُ عملهم ، وَبيَّنَ لهم أنّ الذى عندَ الله من الثواب والأجر فى بقائهم بالمسجد لسماع الخطبة ، خيرٌ من اللهو بسماع قرْع الطبول ، ومن التجارة التى خافوا نفادها ، لأنّ ثوابَ الله محققٌ دائمٌ ، واللهُ خيرُ الرازقين ، فليطلبوا الرزق منه ، وعليهم أن يفضّلوا ما عندَه من الخير ، على ما يلتمسونه عندَ الناس .

سورة المنافقون

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١١ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المنافقون	الذين أظهروا الإسلام لأهله ، وأضمروا الكفر .
نشْهدُ	نقرُّ ونعترفُ .
وَاللهُ يشْهدُ	واللهُ يعلمُ .
أيمانهم	حلِفهم ، وأقسامهم الكاذبةَ .
جُنَّة	وقايةٌ من القتل والسبي، وستاراً يسترون به حقيقة أمرِهم.
صَدّوا عن سبيل الله	منعوا من أرادَ الدّخولَ فى الإسلام .
ساءَ ما كانوا يعملون	بئسَ العملُ عملهم ، وقبحاً لهم !
ذلك	ما مرّ من أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم .
بأنهم آمنوا ثمّ كفروا	بسبب أنهم آمنوا بلسانهم ظاهراً، وكفرُوا بقلوبهم سرًّا.
طُبِعَ على قلوبهم	جعل اللهُ على قلوبهم غشاءً، حتى لا تفقه شيئاً.
لا يفقهون	لا يدْركون حقيقةَ الإيمان .
تعجبك أجسامهم	تعجبك هيئاتهم ومناظرهم ، لضخامتها وجمالها .
تسمعْ لقولهمْ	تسمع فصاحة ألسنتهم وحلاوة كلامهم ، فتصْغى إليهم.
كأنهمْ خُشُبٌ مسنَّدَةٌ	كأنهم خشبٌ مستندةٌ إلى حائط ، لخلوّهم من العلم والمعْرفة ..
يحسبون كل صيحة عليهم	يظنون كلّ نداء لأىّ أمر واقعاً عليهم
همُ العدُوّ فاحذرْهم	هم أشدّ أعدائك فاحذَرْهم ، لأنهم يفشون أسرَارَك .
قاتلهمُ اللهُ	لعنهم اللهُ وأهلكهم ! .
أنى يؤْفكون	كيفَ يعدلون عن الحقّ والإيمان ، بعد قيام الدليل والبرْهان ؟ .

منافقو المدينة

١ — ابتُلى الإسلامُ فى المدينة بجماعة من المنافقين، تظاهرُوا بالإيمان، وأضمَرُوا كفرهم، ومنهم عبدُالله بن أُبَىّ، وكان جسيماً فصيحاً، يحضرُ مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى جماعة من أصحابه من المنافقين، فيُعجبُ النبىَّ فصاحةُ ألسنتهم، وحلوُ كلامهم، وضخامةُ أجسامهم، فيصغى إلى كلامهم، فنزلت هذه السورةُ لتفضحهم، وتبين أعمالهم وأخلاقهم.

مجمل المعنى

١ — أخبرَ اللهُ جل شأنه رسوله عليه الصلاة والسلام، أنه إذا حضرَ مجلسك هؤلاء المنافقون، تظاهروا بتصديقكَ، وشَهدوا لك بالرسالة بألسنتهم كذباً ومخادَعة، فقالوا: نشهدُ أنكَ رسولُ الله، واللهُ جلَّ شأنه يعلم أنك رسوله حقا، سواء أشهدَ هؤلاء المنافقون أمْ لم يشهدوا، واللهُ يشْهد أنهم أظهروا غيرَ ما أضْمروا، لأن قولهم هذا يخالفُ اعتقادَهم؛ وكسرت همزة « إنّ »: لوجود اللام فى خبرها.

٢ — وكان من عادة هؤلاء المنافقين، أنه إذا ظهرَ شىءٌ منهم يوجبُ مؤاخذتهم، حلفوا كذبا وبهتاناً أنهم أبرياء، وقايةً لأنفسهم من القتل أو السبى، ولأموالهم من المصادَرَة، فكانوا يتخذون من هذه الأيمان الكاذبة ستارا يخفى حقيقتهم، ويتخذون من تظاهرهم بالإسلام وَسيلةً لمنع من أرادَ الدخول فيه، فقبحاً لهم! وبئسَ عملا عملهم! لإيثارهم الكفر على الإيمان، وإظهارهم خلافَ ما

يبطنون ، إذ فعلوا كما يفعلُ من يدخلُ فى الإسلام بالنطق بالشهادتين ؛ وأعلنوا بقاءهم على الكفر عند أمثالهم من المنافقين ، فإذا لقُوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ؛ وإذا خلَوْا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم ، إنما نحن مستهزئون ، فاستحقوا أنْ يختمَ اللهُ على قلوبهم ، ويتركُهم لأنفسهم الجاهلة ، وأهوائهم الباطلة ؛ لا يفقهُون الحقَّ ولا يدْركُونه ؛ والمرادُ بالختْم على القلوب : أن القلوبَ أوْعيةٌ لما أودعت من العلوم والحقائق ، فالختم عليها يمنعُ من وصول المعارف والحقائق إليها .

٣ — ثم يخاطبُ اللهُ رسوله ، بأنه إذا رأى هؤلاء المنافقين أعجبتهُ أجسامهم : لضخامتها ، وتناسب أعضَائها ، وحسن منظرها ، وإن قالوا فى مجلسه شيئاً أصغى إليهم : لفصاحتهم وحلاوة كلامهم ، مع أنهم ليسوا فى مجالس الرسول — لعدم تفهمهم وتبصرهم — إلاَّ أشباحاً خاليةً من الفائدة والجدْوَى ، كالخشُب المستندة إلى حائط ، التى لا تعقلُ ولا تفهمُ ، كما أنهم لخوفهم وتوقعهم الإيقاعَ بهم فى كلِّ وقت ، إذا ظهرَتْ حقيقةُ أمْرهم ، يظنونَ كلَّ صوت أوْ نداء فى أمر من الأمور ، موَجهاً إليهم ، يفضحهم ويكشفُ أستارهم ، ويفشى أسرارهم ، ويبيحُ للمسلمين قتلهم أو سبيهم ، ومصادَرَة أموالهم .

٤ — هؤلاء ألدّ أعدائك يا محمد فاحذرْهم ، ولا تنخدع بكلامهم ، لأنّ ألسنتهم معكم حينَ يلقونكم ، وقلوبهم عليكم حين يلقوْن أعداءكم ، لعنهم الله وأخزاهم ! إذ كيف يعدلون عن الحقّ والإيمان ، بعد أنْ قامَ عليهما كلّ دليل وبرْهان .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية الثامنة ، من سورة المنافقون

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لوّوا رُؤُوسهم	ثَنَوْا رُؤُوسَهم ، وعطفوها إعراضاً واستكبارا .
يصُدّون	يُعرضُون .
الفاسقينَ	الخارجين عن طاعة الله .
على مَنْ عندَ رسول الله	على فقراء المهاجرين .

الألفاظ	شرحها
ينفضُّوا	يتفرَّقوا عن رسول الله .
ولله خزائنُ السموات والأرض	وبيد الله الأرزاقُ ، يقسمها حسب مشيئته .
لا يفقهُون	لا يفهمُون .
لئنْ رَجعنا إلى المدينة	لئن عدْنا منَ غزوَة بنى المصْطَلِق إلى المدينة .
الأعزّ	عبدُالله بنُ أُبىّ ومن معه من المنافقين .
الأذَلّ	رَسولَ الله ومن معهُ من المؤْمنين .
ولله العزّةُ	ولله الغلبةُ والقوّةُ .
لا يعلمون	لا يدركون ذلك لجهلهم وَغرُورهم .

مجمل المعنى

١ — ظهرَت للمسلمين علاماتٌ تدُلّ على خداع المنافقين ، ومحاولتهم الدّسّ والوقيعةَ بين المسلمين ، وعلمَ بذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم من زَيد ابن أرْقمَ ، أحد المهاجرين ، فأرسلَ إلى عبد الله بن أُبىّ زعيم المنافقين وأصحابه ، فحلفوا أنهم ماقالوا ، وما فعلُوا شيئاً يضرّ المؤمنين ، ولامهم المؤمنون على ما اقترَفوا ، وقالوا لهم : امضُوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعترفوا بذُنوبكم ، وتوبوا إلى الله ، واعتذروا عما فرط منكم ، يطلب لكم من الله المغفرةَ ، فاعترَضُوا أنفةً واستكبارا ؛ ولما أبوْا أنْ يذْهبوا إلى الرسول ليعلنوا توْبتهم واعتذارهم ، وأصرّوا على الإباء ، خاطب اللهُ رسوله عليه الصلاة والسلام ، بأن الاستغفار لهم وعدمَ الاستغفار ، سواءٌ ، فلاجدْوَى من محاولة استصلاحهم ، لأنّ اللهَ لنْ يغفر لهم ما اقترَفوا من الآثام والذنوب ، وأنه لا يهدى إلى الإيمان منْ تجاوز الحدّ فى الخرُوج عن طاعته ، وانهمكَ فى كفرِهِ ونفاقه .

٢ — وكيفَ يستحقون مغفرةَ الله لهم ، وهم الذين حاوّلوا الإيقاعَ والتفرقةَ بين المهاجرين والأنصار بدسائسهم ، والسعى بينهم بالنميمة ، فكانوا يقولون للأنصار سكان المدينة : لا تنفقوا على فقراء المهاجرين الذين آويتموهم ، وآثرْتموهم على أنفسكم ، وأحللتموهم بلادَكم ، وقاسمْتموهم أموالكم ، فإنكم إن أمسكتمُ عن النفقة عليهم ، تفرّقوا عن رسول الله ، وتحوّلوا عن دياركم وبلادكم ؛ وقد ردّ اللهُ كيدَ المنافقين فى نحورهم ، فلم يصْغِ الأنصارُ إلى وشاياتهم ؛ وإنّ خزائنَ الأرزاق بيده جلّ شأنهُ ، يعطى من يشاءُ ، ويمنعُ من يشاءُ ، ولكن المنافقين لا يفهمون هذا المنطقَ السليم ، لجهلهم أنّ اللهَ إذا أراد شيئاً أن يقولَ له : كنْ ، فيكون على الفوْر .

٣ — افتضاح أمر عبد الله بن أُبىّ وانخذاله

حدث أن غزا النبىّ بنى المصطلق — وهم فرْعٌ من قبيلة خزاعة ، على مقربة من مكة — وكان قد علمَ أنهم يحرّضُون عليه ، ويريدُون قتله ، فأسرَع فى الخروج إليهم لمفاجأتهم ، وأحاطَ المسلمون بهم ، وقتلوا منهم عشرة ، وأسرُوا الباقين ، وخرجَ عبدُالله بنُ أُبىّ فى جماعة من أصحابه مع المسلمين ، رغبةً فى الغنيمة ، وبعد انتهاء المعركة ، حدثَ أنْ تزاحمَ أجيرٌ لعمرَ بن الخطاب رضى الله عنه : كان يقودُ فرَسه — وكان من المهاجرين — معَ رَجل من الأنصار من قبيلة الخزْرَج ، على الماء ، فاستنجد المهاجرُ بالمهاجرين ، واستنجدَ الأنصارى بالأنصار ، وسمع عبد الله بنُ أُبىّ الاستغاثة ، فتحرّكَ فى نفسه كامنُ الحقد على محمد والمهاجرين ، وقال لجلسائه : لقد كاثرنا المهاجرون فى ديارنا ، وانتفعوا بأموالنا ، أمَا والله لئن رجعنا إلى المدينة ، ليخرجنّ الأعزُّ منها

الأذلّ ، وعلم رسولُ الله ما قاله، وكان عندَه عمر بنُ الخطاب، فهاجَ عُمرُ ، وطلبَ من رسول الله قتله ، فقال له رسول الله: « فكيف يا عمر إذا تحدّثَ الناسُ، وقالوا : إنّ محمداً يقتل أصحابه؟ » وخشى عبدُالله بنُ عبد الله بن أبيّ —وكان مسلما حسن الإسلام— أن تتكاثر الأدلّة على نفاق أبيه وكفره، فيأمر النبيّ بقتله ، فذهب إلى الرسول، وقال له : بلغنى أنك قد تريدُ قتل أبى فيما بلغكَ عنه، فإن كنتَ فاعلاً فمُرْنى بقتله، فإنى لأخشَى أنْ تأمرَ غيْرى بقتله، فلا تدَعُنى نفسى أنظرُ إلى قاتله ، فأقتل مؤْمنا بكافر، فأدخل النارَ ؛ فأجابهُ الرسول : « إنا لا نقتله ، بل نترَفق به ، ونحسنُ صحْبته ما بقيَ معنا » .

٤ — وقد ردّ اللهُ على عبد الله بن أبيّ: بأن القوّةَ والغلبةَ لله، ولمنْ أعزّه اللهُ من رسوله ومنْ آمنَ به ؛ ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك من فرْط جهلهم وغرُورهم ؛ وقد ظهرت هذه العزةُ حين عادَ المسلمون وعبدُالله بنُ أبيّ إلى المدينة ، فإنه عند ما أرادَ عبدُالله بنُ أبيّ دخول المدينة ، سلّ ابنهُ سيفه ، وقال له : والله لا أُغمده حتى تقولَ : محمدٌ الأعزُّ وأنا الأذلّ، ولم يتركه حتى قالها .

(٣)

من الآية التاسعة من سورة المنافقون، إلى آخر السورة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

شَرْحُ الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لا تلهكم	لا تشغلكم .
ذلكَ	الاشتغالَ بالأموال والأوْلاد .
الخاسرون	المصابون بالخسارة .
أنفقوا مما رزَقناكم	أنفقُوا بعضَ أموالكم .
يأتيَ أحدَكمُ الموتُ	ينزِل الموتُ بأحدكُم، برُؤْية علاماته وأمارَاته .
لوْلاَ أخرْتني	هلاَّ أمهلتني ! .
أجل قريب	زَمن قريب .
فأصّدّقَ	فأتصَدّقَ .
وَأكنْ من الصّالحينَ	وأتدارك ما فاتني .
إذا جاءَ أجلها	إذَا وَافاها آخر عُمرْها في الدنيا .

مجمل المعنى

١ — يأيها الذين صَدَّقوا بالله ورسوله ، لا يشغلكم الاهتمامُ بتدبير أُمور أموالكم وأولادكم : من التصرف فى الأموال ، والسرور بالأولاد ، عن الاشتغال بذكر المولى جلَّ شأنهُ ، الذى وهبكم هذه الأموالَ وهؤلاء الأولاد : من الصلاة وسائر العبادات ، ومَنْ تلهه أموالهُ وأولادُه عن العبادات ، فأولئك هم الخاسرون ، لأنهم باعوا العظيمَ الباقى ، بالحقير الفانى .

٢ — وأنفقوا أيها المؤمنون من بعض ما أعطيناكم ، وتفضّلنا به عليكم من الأموال ، فى الزكاة وغيرها من وجوه الإنفاق ، لتكُونَ ذُخراً لكم فى الآخرة ، من قبل أنْ يرى أحدُكُم أمارات الموْت ومقدّماته : من مرض ونحوه ، فيسأل البقاء فى الدنيا ، قائلا : يا ربّ ، هلا أمهلتنى وأخرْت أجلى وقتاً قصيراً ، حتى أتَصدق وأتداركَ ما فاتنى من الصلاح والتقوى ، وسائر قواعد الإسلام ؛ وجُزمت « أكن » عطفاً على محل « فأصَّدَّق » ، كأنه قيل : إن أخرتنى أصَّدَّقْ وأكُنْ من الصالحين .

٣ — والله سُبحانه وتعالى لن يُمهلَ نفساً عن الموت ، إذا دنا آخرُ عُمرِها ، وانتهى زَمنُ حياتها فى الدنيا ؛ والله خبيرٌ بأعمالنا ، يُجازينا عليها عند الحساب ، إنْ خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشرٌ .

سورة التغابن

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٨ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسبح لله	ينزِّهُ اللهَ عما لاَ يليقُ به
بصيرٌ	عليمٌ ، خبيرٌ ، مطلعٌ
بالحقِّ	حقًّا يقينيًّا لاَ ريبَ فيه
أَحسنَ صُوَرَكمْ	أجمل خَلقكم ، بأنْ جعلَ شكلَ الآدَمىّ أحسنَ الأشكال .
المصيرُ	المرْجعُ .
بذَاتِ الصّدُور	بما فى الصّدُور من الأسرار والمعتقدات .

مجمل المعنى

١ — يَخضَعُ لله وينزّههُ كلّ ما فى السموات وما فى الأرض ، من جميع العوالم والمخلوقات ، تنزيهاً دائماً مستمرًّا ، وهو يَملك ما فى السموات وما فى الأرض ، وسلطانهُ مبسوطٌ على جميع الخلق ، وقضاؤُهُ نافذٌ ؛ وله الحمدُ من خلقه ، لأنه رازقهم ، وهاديهم إلى الخير ، وهو ذُو قدْرَة قادرة ، يُحيي ويميت ، ويغنى ويفقر ، وَيهْدى ويُضِلّ ، ويعزّ ويذلّ ، لا يعجزُه شىءٌ .

٢ — ومن دلائل قدْرَته ، أنه هو الذى خلقنا على فطرة سليمة ، ومع ذلك فمنا من يكفُر ، ومنا من يؤْمنُ ، واللهُ لا يَخفى عليه كفرُ الكافر ، ولا إيمانُ المؤْمن ، فهو بصير بأعمالنا ، عالمٌ بها ، لا يَخفى عليه شىءٌ فى الأرض ولا فى السماء ، وسيجازى الكافر على كفره ، والمؤْمن بإيمانه .

٣ — وخلق اللهُ السموات والأرضَ حقًّا بقدْرة تدلُّ على عظمته ،

وخلق الإنسانَ فى أحسن صورة ، وأجمل شكل ، وإليه مرْجعُ جميع الخلق .

٤ — ويَعلمُ اللهُ ما فى السموات السبع ، وما فى الأرَضين السبع ، وما يعلنهُ الناسُ وما يسرّونه من قول وعمل ، بل هو يعلمُ ما يدور فى ذهن الإنسان ، أو يطوفُ بخاطره ، أو يهجسُ فى قلبه ، مما هو أخفى من السرّ ؛ لذلك كان يَجبُ ألاّ نسر غير ما نعلن ، وألا نبدى غير ما نبطن ، فكل ذلك يُحصيه اللهُ ، ويحاسبنا عليه .

٥ — وذكر اللهُ سبحانه وتعالى فى هذه الآيات، أنه بصير بما نعمل ، وأنه يعلمُ ما نسرّ ونعلنُ ، وأنه عليمٌ بجميع ما يَجيش بصُدُور الناس ، وهذا كلهُ فيه معنى التهديد والوَعيد للإنسان ، حتى لا يَجترئ إنسانٌ على الله أو يخالفه .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية ١٣ من سورة التغابن

أَلَمْ

يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ
يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾
زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ
بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ
الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ
ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألمْ يأتكم	الخطابُ لكفار قرَيش .
وَبالَ أمرِهم	عاقبةَ عَملهم ، وضرَرَ كفرهم ، ووخامةَ عاقبتهم فى الدنيا .
بالبينات	بالُحجج الواضحات
أَبشرٌ يهدوننا	استنكروا وتعجبوُا أَنْ يكوُنَ الرّسولُ إليهم من البشر .
وتولَّوْا	وأعرَضوا عن التأمل فيما أتى به الرّسلُ من الُحجج .
واستغنى الله	أظهرَ غناهُ عن إيمانهم ، بأنْ أهلكهم وقطعَ دابرهم .
غنى حَميدٌ	مستغنٍ عنْ عبادَتهم ، مَحمُودٌ فى جميع فعاله .
زَعمَ	ادّعى .
الذين كفَرُوا	المراد: أهلُ مكةَ .
يسير	هينٌ سَهلٌ .
والنور الذى أنْزلنا	والقرآن الذى أنزلناه على محمد ، لما فيه من الهداية .
ليوْم الجمع	ليوم القيامة ، الذى يَجتمعُ فيه جَميعُ الخلائق .
التغابن	أنْ يغبن الناسُ بعضُهم بعضاً فيه .
يكفر عنه سيئاته	يغفرْ له ذُنوبه .

مجمل المعنى

١ — يُخاطبُ اللهُ تعالى كفارَ قرَيش ، ويوَجهُ نظرَهم إلى أخبار سابقيهم ، ويسألهم فى تَهكم واستنكار : ألمْ يصل إليكم خبرُ الذين كفروا من

قبلكم ، وكذّبوا أنبياءهم : كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ؟ فإن هؤلاء ذاقوا نتيجة كفرهم ، بأنْ عاقبهم اللهُ فى الدنيا ، وسيعذبهم عذاباً شديداً فى الآخرة .

٢ — وهؤلاء هم الذين جرّوا على أنفسهم غضبَ الله ، فلم يفكّروا فيما جاءَهم به أنبياؤُهم ، من حجج قاطعة بصدْق رسالتهم ، وأنكروا عليهم أنّ الله يختصّهم بالرسالة دون غيرهم ، مع أنهم بشرٌ مثلهم ، وظنوا أنه لو أراد اللهُ أن يرسل إليهم رُسُلا ، لأرسل ملائكةً ، ولهذا نفروا من أنبيائهم ، وأعرضُوا عنهم ، ولم يقبلوا الحقّ الذى جاؤوهم به واضحاً بيناً ؛ واللهُ سبحانه وتعالى غنىٌّ عنهم ، وعنْ إيمانهم به وبرُسله ، غنىٌّ عن جميع خلقه ، محمودٌ بجميل نعمه ، وكريم فعله ، وحسن هدايته ؛ وفى الآية ما يدُلّ على مبالغة الكفار فى العناد ، فإنهم يستنكرون أنْ يكونَ رسولهم بشرا ، ولم يستنكروا أنْ يكون معبودُهم حجراً .

٣ — ظن هؤلاء الكافرون أنهم لنْ يبعثوا يومَ القيامة ، وأنهم لن يَخرُجوا من قبورهم بعد مماتهم ؛ واللهُ يأمرُ نبيه أن يؤكد لهم أنهم مبعوثون يوم القيامة ، وأنهم مجزيّون بعملهم ، فيحاسبون ويُجازون ، وهذا كلهُ سهلٌ يسير على الله.

٤ — إذا كان الأمرُ كذلك ، وَجبَ عليكم أيها المشركون أن تصَدّقوا ، فتؤْمنوا بالله ، وبرسول الله ، وبالقرآن الذى أُنزلَ على رسول الله ، واللهُ خبيرٌ بأعمالكم ، محيطٌ بها ، مُحص لها ، مُجازيكم عليها يومَ جمع الخلائق عند البعث للعرض ، وهو اليومُ الذى يتغابنُ فيه الناسُ ، فيتهكم سعداؤهم بأشقيائهم ، ويتندّرُ المؤمنون بالكافرين ، وفى هذا اليوم يغفرُ اللهُ للمؤمنين ذُنوبهم ، ويدخلهم الجنات التى يُخلدون فيها ، ويفوزُون بها ، أما الكافرون المكذّبون فسيدخلون جهنم ، ويُخلدون فيها ، وتلك نهايةٌ شنيعةٌ سيئةٌ ، سببها لهم كفرُهم ؛ والتغابن : مأخوذٌ من غبنه فى البيع والشراء غبنا ، إذا غلبه أو نقصَه حقهُ ، أو أخذَ الشىءَ منه بأقل من قيمته ، وهو هنا تمثيلٌ ، كأن أهل الجنة اشتروا الآخرةَ

بترك الدنيا، فربحوا فى تجارتهم، وأهل النار اشتروا الدنيا بترْك الآخرة، فخسرُوا فى تجارتهم، فكأنه حدث نوْعٌ من المبادَلة، ربحَ فيه المؤمنون، وخسر الكافرون .

٥ — لا يصَابُ أحَدٌ بشرٌ إلا بقضاء الله وتقديره ، يعلمُ ذلك المؤمنون بالله، الذين هدى اللهُ قلوبهم للإيمان ، ووَفقهم للتسليم بقضاء الله الذى يعلمُ كلَّ شىء ، فالمؤمن يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنَّ ما أخطأه لم يكنْ ليصيبه .

٦ — والذين يريدُون النجاة لأنفسهم فى الدنيا والآخرة ، يَجبُ عليهم أن يطيعوا اللهَ فى أمره ونَهيه ، وأنْ يطيعوا الرَّسولَ فى كل ما يبلغهم عن الله ، لأنَّ الرسولَ ليس عليه إلاَّ أنْ يبلغَ الرسالةَ من الله الواحد ، الذى لا شريكَ له ، وهو الذى يتوكلُ عليه المؤمنون لوَحدانيته، فإنْ أعرَض الكفارُ عن سماع دعوة الرسول ، فليصبر وَليتأس بما فعله الكفارُ مع من سبقه من الأنبياء ، فليس على الرسول إلا التبليغُ .

(٣)

من الآية ١٤ من سورة التغابن، إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فاحذَرُوهم	فلا تأمنوهم .
فتنةٌ	اختبارٌ وفتنةٌ لكم ، أو سببٌ لاشتغال القلب بهم .
ما استطعتمْ	غاية جهدكمْ .
وَمنْ يُوقَ شحَّ نفسه	ومن يُحفَظ بتوفيق الله من بُخل نفسه .
إنْ تقرضُوا اللهَ	إنْ تنفقُوا المالَ في وُجوه الخير .

الألفاظ	شرحها
قرْضاً حسناً	إنفاقاً بإخلاص .
يضَاعفهُ لكمْ	يَجزكمْ ثوابه أضعافاً مضاعفةً .
شكُورٌ	يعطى كثيراً على العمل القليل .
حليمٌ	لا يعجِّلُ بالعقوبة .
عالمُ الغيب والشّهادَة	لا يَخفى عليه شَىْءٌ .

إيثار الصفح

أسلمَ رجالٌ من أهل مكةَ ، وَرَأوْا أن يذْهبوا إلى المدينة ، ويلحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فمنعهم أزْوَاجهم وأوْلادُهم أنْ يذْهبُوا إلى المدينة ، وبعد مدّة ذَهبُوا إلى المدينة ، فوَجدُوا من بها من المسلمين قد تفقهوا فى الدّين ، فهمُّوا أنْ يعاقبوا زوجاتهم وأولادهم ، فأنزلَ اللهُ : « يأيها الذين آمنُوا ، إنّ من أزْواجكُم وَأوْلادكم عدُوًّا لكم فاحذَرُوهم » ، فغضبوا وأقسموا : ليُعاقِبُنّ أهلهم بسبب ذلك ، فأنزلَ الله : « وإنْ تعفُوا وتصْفحُوا وتغفرُوا فإنّ اللهَ غفُورٌ رَحيمٌ » .

مجمل المعنى

١ — يُخبرُ اللهُ الذين صَدّقُوا اللهَ ورسوله ، أنهم يَجدُون من أولادهم وأزواجهم أعداءً لهم ، يصُدّونهم عن دين الله ، ويثبطُونهم عن طاعة الله ، ويُخاصمُونهم فى أمر دينهم ، ويُحذّرُهم اللهُ إياهم ؛ ومع ذلك فإنه يدعو إلى ترْك

معاقبتهم ، والصفح عنهم ، والإغضاء عن ذُنُوبهم ، وملاينتهم ، فإنّ في ذلك تمهيداً لاعتذارهم ، واستمالة قلوبهم ، واللهُ يغفرُ لمن يستحقّ المغفرةَ ، ويرْحمُ من يستحقّ الرحمةَ ، فلا يعاقب التائبينَ .

٢ — الأولاد مَشْغَلة

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَخطب ، فجاءَ الحسنُ والحُسين رضي الله عنهما ، وعليهما قميصان أحْمرَان ، يعثران ويقومان ، فنزَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأخذهُما ، فرَفعهما في حجره ، ثم قال : « صدق اللهُ ورسولُه ، إنما أموالكم وأوْلادُكم فتنةٌ ، رأيت هذين فلمْ أصْبر ، حتى قطعتُ حديثي ورَفعتهما » ، ثم أخذَ يَخطب ، أىْ : أنّ الأموالَ والأوْلادَ بلاءٌ في الدنيا ، يشتغلُ القلبُ بهماعن الطاعات ، وقد يرْتكبُ من أجلهمابعضَ المحرمات ؛ واللهُ سبحانهُ وتعالى عنده أجرٌ عظيمٌ ، للذين يـؤثرون طاعته ومحبته على طاعة أولادهم ومَحبتهم .

٣ — وعلى الإنسان أنْ يبذُل غاية جهْده في تقوى الله ، وسماع مواعظه ، وإطاعة أوامره ، واجتناب نواهيه ، وإنفاق المال في وجوه الخير ، فإن ذلك كله خيرٌ له ، يعودُ عليه نفعه في الدنيا والآخرة . والذين يحفظهم اللهُ من بُخل أنفسهم ، ويجنبهم تأثيرها في الإغراء باتباع الهوَى ، ويُخالفونها فيما يغلب عليها من حبّ المال ، وبغض الإنفاق ، هم الذين ينجيهم اللهُ من عذابه .

٤ — والذين يصرفون أموالهم في وُجوه الخير التي أمرَ اللهُ بها ، ويحتسبون بصرْفها الأجرَ والثوابَ عندَ الله ، يضاعفُ اللهُ لهم ثوابهم ، من عشرة أمثال إلى سبعمائة ، أو إلى أكثر منْ ذلك ، ويغفرُ لهم ذُنوبهم ، ولا يعاقبهم عليها ؛ واللهُ يشكرُ لهؤلاء المنفقين في الآخرة إنفاقهم ، ويَحلمُ على العاصين ، فلا يعجل عقوبتهم ، وهو يعلمُ خائنة الأعين ومَا تُخفي الصدُورُ ، ويشتدّ في انتقامه ممن عصَاهُ وأصرّ على عصْيانه ، ويُحكمُ تدْبير خلقه ، سبحانه وتعالى .

سورة الطلاق

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٢ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ
يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا
بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا
ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ
أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لعدّتهن	فى الزمان الذى يصلح لعدّتهن .
وأحصُوا العدّةَ	واضْبطوها بالعدّد ، وأكملوها ثلاثَ حيضات مستقبلات كواملَ ، لا نقصان فيها .
منْ بيوتهنّ	من مساكنهنّ اللاّتى يقمنَ فيها مع أزواجهن .
بفاحشة مبينة	معصية ظاهرة كالزّنى ، أو يكون سبباً فى الحُكم عليها بالنشوز ، أو كلّ أمر قبيح .
يُحدث بعدَ ذلكَ أمْرًا	يبدّل بالإعراض إقبالاً ، وبالبغض محبةً .
بلغنَ أجلهنّ	أشرَفنَ على إتمام عدّتهنّ .
فأمسكوهنّ بمعرُوف	فراجعوهنّ وعاشرُوهنّ بمعروف .
ذَوَي عدْل	شاهدَيْن مسلمين حرّيْن، متصفيْن بالعدالة .
أقيموا الشّهادَةَ لله	أدُّوا الشّهادَةَ خالصةً لوجه الله .
منْ حيثُ لاَ يَحتسبُ	منْ وَجه لا يَخطرُ لهُ ببال .
حسبهُ	كافيه .
بالغُ أمْره	لا يفوتهُ مرادٌ ، ولا يعجزُه مطلوبٌ .
قدْراً	تقديراً وتوْقيتاً .

مجمل المعنى

١ — خاطب اللهُ النبيَّ — وأراد أمته — لأنّ هذا أمْرٌ تشريعيٌّ ، فهو للمسلمين جميعاً ، مبيناً ما يأتى :

إذا أرادَ مسلمٌ تطليقَ زوجته، فعليه أنْ يلتمس الوقتَ المناسبَ للدخول فى

العدّة ، ويكون ذلك عقب الطهر من الحيض ، على ألاّ تكون قد وقعت فى ذلك الطهر ملامسةٌ .

ب — أما تطليق المرأة وهى حائضٌ فهو مخالفٌ للسنة ، فقد رُوِىَ أنّ عبدَالله بنَ عُمرَ طلقَ امرأته وهى حائضٌ ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ما هكذا أمرَكَ اللهُ ، وقال لعمر : «مُرِ ابنك فليراجعها ، ثم ليدَعها حتى تحيضَ ، ثم تطهرَ ، ثم ليطلقها إنْ شاءَ » ، فتلك العدةُ التى أمرَ اللهُ أنْ نطلق فيها النساء .

٢ — إذا وقعَ طلاقٌ على الوجه السابق ، تُركت المرأةُ حتى تنقضى عدّتها ، والعدّة : ثلاثُ حيضات كوامل تقعُ بعد الطلاق ، أما التى لا تحيض لأنها حبلى ، فعدّتها تنقضى بالوضع ، والتى لا تحيضُ لصغر أو كبَر ، فعدّتها ثلاثةُ أشهُر .

٣ — وإذا طلقَ الرجلُ زوجته ، وجب عليه أنْ يتقى اللهَ ، ويخافه ، ولا يتعدّى حدودَه ، فيترك المطلقةَ تقضى عدتها فى بيت الزّوْجية ، ولا يَجوزُ للزوج أنْ يرْغمَ زَوْجتهُ على الخرُوج غضبًا عليها ، أوْ كرَاهة لمساكنتها ، أو لحاجته إلى المسكن ، فهو مسكنها ما دامت فى عدّتها ، وكذلك يظلّ سلطانهُ مبسوطًا عليها فى حدود حقه ، فله أن يَمنعها أن تخرُجَ من البيت إذا طلبتْ ذلك ، وليس لها أنْ تخرُجَ من غير إذن إذا أرادت الخروج .

٤ — ويَجوزُ للرجل إخراجها من منزل الزوجية فى الأحوال الآتية :

(ا) إذا ارتكبتْ جريمة الزنى .

(ب) وإذا طلقت طلاقَ النشوز الذى يسقطُ معه حقّ التمتع بالسكنى فى منزل الزّوجية .

(ج) وإذا بذَأتْ وتوَقحت على زوجها أو حماتها .

(د) وإذا خرجت بدُون إذن مطلقها .

٥ ــ والطلاقُ للعدّة ، وإحصاء العدّة ، والأمرُ باتقاء الله، وعدمُ إخراج المطلقة من بيتها إلا للأسباب المتقدمة ــ هذه الأشياءُ كلها حدودُ الله التى حدّها لخلقه ، وكلّ من يتجاوز هذه الحدودَ ويتعدّاها، فقد ظلمَ نفسه بارتكابه ذنبا؛ ومع ذلك فالإنسانُ لا يعلمُ ما يجرى فى الغيب، لعل اللهَ يكون مقدّراً أنكم تراجعونهنّ بعد تطليقهنّ ؛ إن لمْ تَبِن المرأة بينُونةً كبرَى .

٦ ــ وإذا أوْشكت المطلقةُ أنْ تنتهى عدّتها ، فالرجلُ بالخيار : إما أنْ يراجعها، ويعاشرَها بالمعروف ، وإما ألا يراجعها، وتقعَ المفارقةُ من غير مضارّة ، بأن يراجعها مثلا فى نهاية عدّتها ، ثم يطلقها لتستأنفَ عدّةً جديدةً ، فإن فى ذلك تعذيباً لها .

٧ ــ وعند المراجعة أو المفارقة، يشْهدُ شاهدان لهما دينٌ ، وفيهما أمانةٌ ، وتكون الشهادةُ خالصةً لوجه الله ، فلا هى للمشهود له ، ولا هى للمشهود عليه، وإنما هى لإقامة الحقّ ، ودفع الظلم ، فيؤدّيها من يُدْعى إليها من غير تغيير ولا تبديل.

٨ ــ هذا الذى أمرَ اللهُ به وعرفناهُ من أمر الطلاق والعدّة ، وما يجبُ على المطلّق والمطلّقة ، وما يُتّبَعُ عند الإمساك وعند الفراق ــ هذا كلهُ عظةٌ يتعظُ بها المؤمنون . الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر .

٩ ــ وكلّ من يخافُ اللهَ ، ويعملُ بما أمرَ به ، ويجتنبُ ما نهى عنهُ، يعرفُ أنَ اللهَ ييسر عليه أمرَه ، فإذا طلقَ مثلا فى الحدود التى رسمَها اللهُ فيما سبق ، ولم يراجع فى العدّة، ثم رَغبَ فى استرجاع الزّوْجية، جعل اللهُ له مخلصًا، بأن يخطبها ويعيدها إليه، إلاّ أن تبين بينونةً كبرْى بالطلاق ثلاثَ مرات، فإنّها لا تحلّ له حتى تتزوجَ زوجاً غيرَه ، ويعاشرها معاشرةَ الأزْواج، واللهُ يُهيِّئُ له أسبابَ الرّزق ، من حيثُ لا يعلم ولا يرْجو .

الصبر مفتاح الفرج

— كان لرجل من أشجع — وهى إحدى القبائل العربية — ابنٌ أسرَهُ المشركون، وأنزلوهُ بينهم، فأتى الرجلُ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم، يشكُو إليه مكانَ ابنه، وحالته التى هوَ بها، وحاجته، فكان النبىّ يأمُرُهُ بالصّبر، ويقول له: «إنّ اللهَ سيجعلُ لهَ مخرَجاً»، فلم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً، حتى انفلتَ ابنهُ من أَيدْى العدوّ، فرّ بغنم من أغنام العدو، فاستاقها، فجاءَ بها إلى أبيه، وجاء معه بفتىّ قد أصَابه مع الغنم، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: هل يحلّ لى أن آكل مما أتى به ابنى؟ قال: «نعم»، ونزلت الآيةُ: «ومَنْ يتق اللهَ يَجعلْ لهُ مَخرجاً، وَيرْزُقهُ منْ حيثُ لا يحتسب».

١٠ — ومَنْ يوكل اللهَ فى أُموره، ويفوّضها إليه، فهو كافيه، واللهُ يبلغ ما يُريده، فلا يفوته ولا يعجزُه شىءٌ، وكلّ من يتوكل على الله، ويراقبه فى أعماله، يكفرُ عنه سيئاته، ويضَاعفُ له أجرَه، واللهُ مقدرٌ لكلّ شىء وقته الذى يقعُ فيه.

(٢)

من الآية الرابعة إلى الآية السابعة ، من سورة الطلاق

وَالّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ
نِسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلٰثَةُ أَشْهُرٍ وَالّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولٰتُ
الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾
ذٰلِكَ أَمْرُ اللّٰهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِ وَيُعْظِمْ
لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ
لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولٰتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ
بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرٰى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ
مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّآ ءَاتٰىهُ اللّٰهُ لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ
نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتٰىهَا سَيَجْعَلُ اللّٰهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اللائى يئسنَ من المحيض	اللاتى انقطعَ حيضُهن لتقدم سنهن .
إن ارتبتمْ	إنْ خفى عليكم حقيقةُ أمرهن ، ولم تعرفوا كيفَ يقضين العدة .
اللائى لمْ يحضْنَ	الصغيراتُ اللاتى لمْ يصلنَ إلى سن البلوغ .
أولاتُ الأحمال	الحبلياتُ ذَواتُ الحمل .
أجلهن	انقضاءُ عدتهن .
أسكنوهن	أسكنوا المطلقات .
منْ وُجدكم	مما تجدُونه ويكونُ فى وسعكم وطاقتكم .
ولا تضَارُّوهن	ولا تعملوا على الإضرار بهن ، ومضايقتهن فى السكنى .
فآتوهن أجورَهن	فأعطوهن أجورَ الإرضاعْ .
وأتمرُوا بينكم	وتشاوَرُوا فى إرضاع الطفل عند امتناع أمّه عنه .
بمعروف	بمسامحَة ورُوح طيبة .
تعاسرتمْ	تعاندْتم واختلفتمْ فى الإرْضاع .
قُدرَ	ضُيِّقَ .

مجمل المعنى

١ — قال أبىّ بنُ كعب : يا رسولَ الله ، إن عدَداً من عدَد النساء لم تذْكر فى الكتاب : الصغار والكبار ، وأُولات الأحمال ، فأنزلَ الله : « واللائى يئسنَ من المحيض . . . » وعدة المطلقة ثلاثة أشهر فى حالتين :

(ا) النساء اللاتى شككن فى أن حيضَهن قد انقطع عنهن لتقدم سنهن — عدتهن ثلاثةُ أشهر ، بخلاف التى ترْتفع عنها حيضَتُها وهى شابةٌ ، فإنه ينتظرُ بها ، خشية أن تكون حاملا ، فإن استبانَ حملها ، فعدتها تنقضى بالوَضْع ، وإن لم يستبنْ ، اعتدَّتْ بأقصى المدة ، وهى سنة .

(ب) والصغيراتُ اللاتى لم يبلغنَ سن الحُلم .

٢ — والحامل : عدتها تنقضى بوضع حملها ، إذا طلقت أو توفى عنها زوجها .

٣ — والذين يخافون اللهَ ، ولا يخالفون تعاليمَ الشريعة فى شأن تطليق النساء طلاقاً رجعيًّا ، فإن الله يسهل عليهم برُخصَة المراجعة ، ما دامت المطلَّقة فى العدة ، وبجواز خطبتها بعدَ انقضاء العدة ، وتزَوجها مرة أخرى .

٤ — وهذا الذى بيَّنه اللهُ لنا فى هذه الآيات ، من حكم الطلاق والعدة والرجعة ، تشريعٌ من عند الله يأمرُنا أنْ نقف عنده ، ونلتزم حدودَه ؛ والذين يخافون اللهَ ، فيجتنبون المعاصى ، ويؤَدون الفرائضَ ، يغفرُ لهم ذنوبهم ، ويضاعفُ أجرهم ، ويجزلُ ثوابهم .

٥ — ومن مظاهر تقوى الله ، أن الرجلَ إذا طلقَ زَوْجه ، وجبَ عليه أن يُسكنها مثلَ ما يَسكن ، ولو كان ذلك فى جانب من مسكنه الذى يقيمُ فيه ، إذا كان لا يقدرُ على غيره ، ولا يجوز مضايقتها فى المسكن على أى صورة من الصور لتتركه .

٦ — والحاملُ تنتهى نفقةُ عدتها بالوَضْع ، فإنْ أرضَعتْ مولودَها وجبَ

على الأب الإنفاق عليها، كما لو كانت ترْضع موْلودَ غيرها، ويكونُ ذلك بالتفاهم والتراضى بينهما، فإذا أبت الأمُّ المطلقةُ أنْ ترْضع ولدَها، لمضايقة الأب لها فى الأجر ، فإن اللهَ لن يحرِم هذا الطفلَ الذى تمنعه أمهُ لبنها ، أوْ يأبى أبوهُ أنْ يعطى أمه المطلقة أجرَ إرضاعه — لن يحرمه ظئْراً غيرَها ترْضعه ، وتقومُ على شئونه ؛ وفى ذلك بعضُ العذاب على الأم التى تمتنع عن إرضاع وليدها

٧ — وكل رجل ينفقُ على قدر حاله ، فالموسرُ ينفق نفقة الموسر ، والمعسرُ ينفقُ نفقة المعسر ،كلٌّ على قدره ؛ والفقيرُ إذا أنفقَ ما يقدر عليه، يفتحُ اللهُ له بابَ الرزْق، وييسرُه له، فيجعلُ شدته رَخاء، وفقرَه غنى، وضيقه سعة .

(٣)

من الآية الثامنة من سورة الطلاق ، إلى آخر السورة

وكأين من
قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبنها حسابا شديدا
وعذبنها عذابا نكرا ﴿٨﴾ فذاقت وبال أمرها وكان عقبة
أمرها خسرا ﴿٩﴾ أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يأولي
الألبب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا ﴿١٠﴾ رسولا يتلوا عليكم
آيت الله مبينت ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصلحت من الظلمت
إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صلحا يدخله جنت تجري من
تحتها الأنهر خلدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا ﴿١١﴾ الله الذي
خلق سبع سموت ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا
أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴿١٢﴾

شَرْحُ الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وكأين	وكثير
منْ قرْية	منْ أهل قرية .
عتتْ عنْ أمر ربها	أعرَضت عن أمر ربها عناداً واستكباراً، ولم تقبله؛ من العتوِّ : وهو الاستكبارُ .
عذَاباً نكراً	عذَاباً منكراً شديداً ، ويكونُ ذلك يوم القيامة.
وَبال أمرها	عاقبة ما عملتْ من المعاصى .
خسراً	غبناً ، لبيعهم الآخرة بالدنيا .
يا أولى الألباب	يا أصحابَ العقول .
ذكراً	قرْآنا .
رَسولا	وأرْسل رَسولا ، هو جبريلُ عليه السلام، أو محمدٌ صلى اللهُ عليه وسلمَ
مبينات	موضحات لمن يتبينها ويتدبرها .
منَ الظلمات إلى النور	من الضلال إلى الهدَى .
قدْ أحسنَ الله لهُ رزْقاً	قدْ منحهُ الله رزْقاً منَ الجنة .
يتنزلُ الأمرُ بينهن	يجرى حكمُ الله بينهن ، وَينفذُ فيهن .

مُجْمَلُ المَعْنَى

١ — هددَ اللهُ منْ خالفَ الأحكامَ التى سبقَ شرْحها، بأحوال الأمم السابقة، فبيّنَ أن كثيراً من أهل القرى طغوْا و بغوْا، وعاندوا واستكبروا، ولجّوا فى

العناد، وخالفوا اللهَ وعصَوْا رُسله، وأصروا على كفرهم، فعرَّضوا أنفسهم لحساب الله حساباً شديداً يومَ القيامة، حينَ يحصى عليهم ذنوبهم، ويعددُ نعمه عليهم، ليعذبهم عذاباً شديداً لا رحمة فيه ، فيذُوقوا بذلك العذاب عاقبةَ ما فعلوا فى الدنيا، من عصْيان وكفر وعناد ..

٢ — وإن عذابَ النار الذى سيصْلونه ، أعدهُ اللهُ لهم ، فعلى العقلاء الذين يسمعون وَيتدَبرون، فيؤْمنون بالله ورسوله ، وبما نزلَ عليه من قرآن ، أن يتَّقوا الله ويطيعوه ، وَيحذَروا سخطه وغضَبه ، ويقبلوا على أداء فرائضه .

٣ — وأرسلَ اللهُ الرسولَ الكريمَ ، وأنزلَ عليه الذكرَ الحكيمَ ، يتلوهُ على الناس ليتعظَ به أصحابُ العقول الراجحة ، وَيخرُجوا من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهؤلاء المؤمنون الصالحون يدْخلهم اللهُ يومَ القيامة الجنات التى تجرى الأنهارُ من تحت أشجارها وقصورها ، وَينعمون بما فيها من خيرات ، ويمكثون فيها أبداً ، فلا يموتون ولا يُخرَجون ، بل يظلون متمتعين برزق واسع طيب ، وعيش رَغد هنىء .

٤ — اللهُ الذى يجبُ أن نعبدَه ، هو الذى خلقَ السموات السبع ، والأرضين السبع ، وخلقَ ما بينهما ، ودبر ذلك كله بعلمه وقدرته وإرادته ؛ والذى يخلق ذلك كله هو القادرُ الذى لا يعجزُهُ شىءٌ فى الأرض ولا فى السماء، ولا فيما بينهما ، وهو العالم بكل شىء، لا يعزُبُ عنهُ مثقالُ ذَرة فى الأرْض وَلا فى السماء ، وَلا أصْغرُ من ذلكَ ولا أكبرُ .

سورة التحريم

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٢ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الخامسة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ
وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ (٣)
إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ
(٤) عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ
مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا (٥)

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أحل اللهُ لك	جعلهُ حلالا لكَ .
تبتغي مرْضَاةَ أزْوَاجكَ	تطلبَ رضًا زوجاتك .
فرَضَ اللهُ لكمْ	شرَعَ اللهُ لكم .
تحلةَ أيمانكم	تحليل أيمانكم .
موْلاكم	متوَلى أمرِكم ، وربكم .
الحكيمُ	المتقنُ فى أفعاله وأحكامه .
بعض أزْواجه	حفصةَ بنت عمر زَوْجته .
نبأتْ	أخبرَتْ .
وَأظهرَهُ اللهُ عليه	وَأطلعهُ على خبر إفشائه .
عرَّفَ بعضَه	أخبرَ السيدةَ حفصة بما عرفه ، أوْ جازاها به بتطليقه إياها .
وَأعرَضَ عنْ بعض	ولم يخبرْها ببعضه ، أوْ تجاوَزعنهولم يؤَاخذْها به .
إنْ تتوبا	يقصدُ حفصَةَ وعائشةَ من أمهات المؤْمنينَ .
صَغتْ قلوبكُما	مالتْ قلوبكما عن الوَاجب ، من الإخلاص لرَسول الله .
وَإنْ تظاهرَا عليه	وَإن تتعاوَنا عليه بالإساءة إليه .
موْلاهُ	ناصرُه وَمعينه .
وَصَالحُ المؤْمنينَ	والصلحاء من أتباعه وأعوانه .
ظهير	متظاهرون ومعاونون ، وناصرُون للنبى .

الألفاظ	شرحها
مؤْمنات	مخلصات طائعات .
قانتات	مصلّيات طائعات .
عابدات	متعبدات .
سائحات	صائمات ، أو مهاجرات .
ثيبات	سبقَ تزَوجهن .
أبكاراً	لمْ يتزَوجنَ بعد .

قصة حفصة

كانتْ حفصةُ بنتُ عمر ، وعائشةُ بنتُ أبى بكر ، من زوجات النبى صلى اللهُ عليه وسلم ، ومن أمهات المؤمنين ، وكانتا متحابتين ؛ وحدَثَ أن حفصةَ ذهبت إلى أبيها ، فأرسل النبى إلى جاريته مارية القبطية ، وظلت معه فى بيت حفصة ، وكان اليومُ يومَ عائشةَ ، فلما رَجعت حفصةُ إلى بيتها وجدَتها ، فجعلت تنتظرُ خرُوجها ، وأصابتها غَيرةٌ شديدةٌ ، فأخرجَ النبى ماريةَ ، ودخلت حفصةُ ، وقالت : أىْ رسولَ الله ، لقد سؤتنى فى بيتى ! فقال صلى الله عليه وسلم : والله لأرضينّك ، فإنى مسرٌ لك سرًّا فاحفظيه ، قالت : ما هو ؟ قال : أشْهدك أن مارية علىّ حرامٌ رضاً لك ؛ وكان فى نفس حفصةَ وعائشةَ وغيرهما من نساء النبى غيرةٌ شديدةٌ من مارية ، ولا سيما بعد أنْ ولدت إبراهيمَ ؛ فلم تُطقْ حفصةُ أنْ تكتم السر على النبى ، ولم تلبثْ أن انطلقتْ إلى عائشةَ ، وأسرت إليها : أن أبشرى ، إن النبى صلى الله عليه وسلم قد حرمَ عليه فتاته ؛ فلما أخبرَتْ حفصة عائشة بسر النبى صلى الله عليه وسلم ، أظهرَهُ اللهُ عليه ، وأطلعهُ على أمره .

حديث العسل

وقالوا فى رواية أخرى : كان النبى صلى الله عليه وسلم يزورُ زينب بنتَ جحش ، إحدى زَوْجاته وابنة َعمته ، فيشرَبُ عندها العسلَ ، فاتفقت عائشةُ وحفصةُ وغيرُهما من نسائه ، على أنه حينما يدْخلُ على أيتهن ، تقول له : إنى أجدُ ريحَ مغافير — والمغافير : صَمغ حلوٌ كالعسل يؤكلُ ، وله ريحٌ كريهةٌ — وكان النبى لا يحبُّ الرائحةَ الكريهة ، فدخلَ على إحداهما ، فقالت له ذلك ، فقال : « بل شربتُ عسلا عند زينبَ بنت جحش ، ولنْ أعودَ له » ، فلما دخل على الثانية ، قالت له : أكلتَ مغافيرَ ؟ قال : « لا » ، قالت : فما هذه الريحُ ؟ قال : « سقتنى زينبُ شربة من عسل » ، ثم دخل على ثالثة ورابعة ، وكلهن ينكرْن عليه رائحة كريهة ، فحرَّمَ العسل على نفسه .

مجمل المعنى

١ — عتبَ الله سبحانه وتعالى على النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه حرمَ على نفسه شيئاً غيرَ حرام ، وهو جاريته مارية أو العسل ، استرضاء لزوجاته ، وفى هذا العتب حضٌ له على أن يعود إلى الاستمتاع بما حرمه على نفسه ، والله يغفرُ له ما فعلَ من تحريم ما أحلهُ اللهُ له ، ويرْحمه بألا يؤاخذَه ؛ وقد عتبَ اللهُ عليه ، لأن فعله تشريعٌ ، فما يحرمه على نفسه يحرُم على أمته ، فكأنه حرّم غير محرَّم .

٢ — وخروجاً من هذا ، رَخصَ اللهُ له بالفدْية ، وهى كفارَةُ اليمين ، واللهُ متولى أمرنا ، ويعلمُ صالحنا ، فيُرشدُنا إليه ، ويشرعه لنا ، ويُحكم كل

ما يأمرنا به من قول أو فعل ، ولا يأمرُ ولا ينهى إلا بما توجبه الحكمةُ .

٣ – ولما أسر النبي إلى حفصةَ بعض الأمر ، كتحريم العسل على نفسه. أو تحريم جاريته مارية عليه ، أو أى شيء آخر ، كان عليها أن تحتفظَ بهذا السر ، ولكنها لم تكتمه ، وأذاعتهُ لعائشة صديقتها ، فعرَّفَ الله النبى ما فعلت حفصةُ ، فأطلعها على بعض ما عرفَ ، وأعرض عن بعضه تكرما ، فاستعجبت ، وخشيت أن تكونَ عائشةُ أفشت سرها ، وسألته : ممنْ عرفَ هذا ؟ فأخبرها أن اللهَ أطلعهُ عليه ، وجازاها على ما فعلت بتطليقه إياها .

٤ – عرَفت حفصةُ وعائشةُ ما وقعتا فيه من الحرَج ، بعد أنْ مالَ قلباهما عن الحق ، وبعد أن انحرَفتا عن الإخلاص لرسول الله ، فتابتا إلى الله وكان لتوْبتهما ما يوجبها ، وهو صغوُ قلبيهما عن الحقّ ، وصدورُ ما يقتضى منهما التوبة ؛ ومع ذلك فإن تعاونهما عليه لإغاظته وإثارته لا يؤْذيه ، لأنه منصور من الله ، ومن جبريل ملك الوَحى ، ومن أعوانه وأتباعه من المؤمنين المخلصين ، ومن وراء هؤلاء جميعاً تنصرُه الملائكةُ ؛ ومع ذلك فإنه فى غير حاجة إلى نصرة أحد ، ما دامَ اللهُ معه ، ولكن اللهَ ساق هذا دليلا على رضا خلقه عنه من الإنس والملائكة ، فلن يضيره غضَبُ امرَأتين .

٥ – ولعله إن وقعَ منه تطليقٌ فسيوَفقه الله إلى زوجات خير منكن ، لا يتظاهرْن عليه ، ولا يفشينَ سره ، وإنما يكنّ مسلمات مخلصات مطيعات متعبدات صائمات لا يرْتكبنَ ذنباً ، ولا يقترفنَ إثماً ، لا فرقَ فى ذلك كله بين بكر وثيِّب .

(٢)

من الآية السادسة إلى الآية التاسعة ، من سورة التحريم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ
إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ
تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا
نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ
الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾

شَرْحُ الأَلْفاظ

الألفاظ	شرحها
قُوا أنفسكمْ	احفظوا أنفسكمْ من سوء العاقبة، بترك المعاصى وفعل الطاعات .
وَأهليكم	واحفظوا أهليكُم بالنصح والتأديب
وَقودُها	ما توقدُ به .
عليها ملائكةٌ	يلى أمرها، ويقومُ عليها ملائكةٌ ، وهمُ الزبانيةُ .
غلاظٌ شدادٌ	غلاظُ الأقوَال ، شدادُ الأفعال .
توْبة نصُوحاً	توْبة خالصَة ، بالندَم على العمل السيئ، والعزم على عدَم العوْدَة إليه .
يكفر عنكمْ سيئاتكم	يكفر عنكم خطيئاتكم .
يوْمَ لا يخزى اللهُ النبى والذين آمنوا معه	يوم يكرم الله النبى والمؤمنين بفوْزهم بالجنة ، وَعصْمتهم من النار.
نورُهمْ يسعى	يجعل اللهُ لهمْ نوراً يسير بهم إلى الجنة .
جاهد الكفارَ	حاربهم بالسيف .
والمنافقينَ	حاربهم بالحجة وإقامة الدليل .
اغلظْ عليهم	إذا لمْ ينفع الرِّفق واللينُ معهم ، فقابلهم بالغلظة والمخاشنة .
مأوَاهم جهنمُ	مصيرهمْ إلى جهنم .
وبئس المصيرُ	وبئستْ النهايةُ التى ينتهون إليها .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ — يطلبُ اللهُ تعالى إلى المؤمنين أنْ يحافظوا على أنفسهم بترك المعاصى ، وفعل الطاعات ، وأنْ يحافظوا على أهليهم بإسداء النصْح لهم ، وبحملهم على ما يحملون أنفسَهم عليه من الطيبات ، وفى الحديث : « إن أشد الناس عذابا يومَ القيامة منْ جهلَ أهلَه » ، وفى حديث آخر : « رحمَ اللهُ رَجلا قال : يا أهلاه ، صلاتكم ، صيامكم ، زكاتكم ، مسكينكم ، يتيمكم ، جيرانكم ، لعل اللهَ يجمعهم معه فى الجنة » .

٢ — ويطلبُ اللهُ ذلك ليحفظوا أنفسَهم من نار يوم القيامة ، وهى نارٌ ليس وَقُودها خشباً ولا فحماً ولا حطباً ، كالنار التى نوقدها فى الدنيا ، ولكن وَقودها الناس والحجارة ، والذين يتولَّون أمرَ التعذيب فيها زبانيةٌ ، عدَدُهم تسعةَ عشر ، ولهم أعوانٌ فيهم غلظةٌ وَقوةٌ ، وجفوةٌ وخشونةٌ ، لا تأخذُهم رأفةٌ فى تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى ، والغضَب له ، والانتقام من أعدائه ، من غير تثاقل ولا إبطاء .

٣ — ويقالُ للذين كفروا عند دخولهم النار : لا تعتذرُوا الآنَ عما فعلتم ، فإن أى عذر منكم غيرُ مقبول ، ولا تجنُونَ فائدة من ورائه ، وليس ذلك تعنتاً معكم ، أو استبداداً بكم ، وإنما هو جزاءٌ لكم على أعمالكم فى الدنيا .

٤ — أرشدَ اللهَ سبحانه وتعالى المؤمنين إلى طريق التوبة النصُوح ، التى ينصحون بها أنفسهم ، وهى توْبةٌ تمحُو السيئات ، ولا يعودُ التائبُ بعدها إلى ذنب أبداً ، فعن علىٍّ رضى اللهُ عنه ، أنه سمع أعرابياً يقول : اللهم إنى أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ ، فقال : يا هذا ، إن سرْعة اللسان بالتوبة توْبةُ

الكذابين . قال : وما التوْبةُ ؟ قال : يجمعها ستة أشياء : على الماضى منَ الذنوب الندامة ، وللفرائض الإعادة ، وردّ المظالم ، واستحلالُ الخصوم ، وأنْ تعزمَ على ألا تعودَ ، وأنْ تذيبَ نفسك فى طاعة الله كما ربّيتها فى المعصية ، وأنْ تذيقها مرارة الطاعات ، كما أذقتها حلاوةَ المعاصى .

٥ — والتوبةُ النصوح فيها تكفيرٌ عن السيئات ، وغفرانٌ للذنوب ، ووَرَاءها ثوابُ من الله بدخول الجنة ، فلا يخزى التائبين كما يخزى أهلَ الكفر بدخول النار يومَ القيامة ، فإن فى دُخولها خزْيا ومذلة: لقوله تعالى : «إنكَ منْ تُدْخل النارَ فقدْ أخزيته» ، بل يعصمُ اللهُ الرسولَ ومنآمن به من الخزْى ،ويسيرُ بسيرهم نورهم على الصراط ، يحفهم إلى الجنة ، ويسألون اللهَ أنْ يتم عليهم نورَهم ويغفرَ لهم ، حينما يرَوْنَ المنافقين فى ظلام حالك يظلم عليهم طريقهم ، فيفزَعون إلى الله ، ويدْعونه تقرباً إليه ، ولا سيما إذا كانوا من أدْنى المؤمنين منزلة ، لأنهم لا يعطوْن من النور إلا قدرَ ما يبصرون مواطئ أقدامهم ، فيكون النورُ على قدر الأعمال ، واللهُ قادرٌ على كل شىء .

٦ — أمر اللهُ نبيه عليه الصلاة والسلام أنْ يجاهدَ الكفارَ بالسيف . وأن يجاهدَ المنافقين بالحجة والبرهان ، وأنْ يشددَ عليهم فى المجاهدة ، فلا هوَادةَ ولا رأفة ، فيقتل الكافرَ ، ويقيم الحدَّ على المنافق ، وهؤلاء جميعاً ينتهون فى الآخرة إلى جهنم يعذبون فيها ، وبئسَ المصيرُ الذى يصيرون إليه ! .

(٣)

من الآية العاشرة من سورة التحريم ، إلى آخر السورة

ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ضرَبَ اللهُ مثلا	أورَدَ مثلا لحالة عجيبة .
كانتا تحتَ عبدَين	كانتا زَوْجتينْ لعبدَين منْ عباد الله ، ونبيين من أنبيائه .
فخانتاهما	فنقضَتا عهدَ الزوْجية بالكفر والنفاق .
لمْ يغنياعنهمامنَ الله شيئاً	لم ينفعهما أنهما زَوْجتان لنبيين .

الألفاظ	شرحها
أحصَنَتْ فرجها	عفَّت عن ارْتكاب الفاحشة .
فنفخنا فيه من رُوحنا	فحلمت بقدرة الله منْ غير أن يتصل بها رجلٌ .
بكلمات ربّها	بشرائعه التى أتى بها عيسى .
القانتين	المطيعين .

مجمل المعنى

١ — يعاقبُ اللهُ الكافرين يومَ القيامة من غير محاباة ، فلا تنفعهم قرابتهم للمؤمنين ، ولو كانوا أنبياء؛ وقد مثَّلَ اللهُ لذلك بامرأة نوح التى كانت تصف زَوْجها بالجنون ، وامرأة لوط التى كانت تدل قومها الفاسقين على ضيفان زَوْجها ، فإنهما كانتا كافرتين منافقتين خائنتين، تعاونان الكفارَ على زَوْجيهما ، فحق عليهما العذابُ ، على الرغم من أنهما زَوْجتا نبيين، وقيلَ لهما عند موتهما : ادْخلا النارَمعَ غيركما من الكفار .

٢ — وكذلك اتصالُ المؤمنين بالكافرين لا يضرّهم ، ولا ينقص شيئاً من ثوابهم ، ومثل اللهُ لذلك بامرأة فرْعوْنَ ، فإن لها عند الله منزلة عظيمة، مع أنها زوجة لأعدى أعداء الله ، فقد آمنت بالله وحده ، وصَدّقت رسوله موسى ، حين سمعتْ قصةَ معجزاته، ودعت الله أن ينجيها من فرعونَ وأعماله السيئة، ومن قومه الظالمين ؛ فاستجابَ اللهُ لدُعائها ، وبنى لها بيتاً فى الجنة ،

ونجاها من فرعونَ وعمله ، وكانَ تعذيب فرعون إياها ، حينَ علم بإيمانها بموسى وربه ، يقعُ عليها برْداً وسلاماً .

٣— ومثلَ أيضاًلمن آمن بالسيدةالعفيفة : مريم بنت عمران، أم عيسى عليه السلام ، فإنه طهرها من الخنا والكفر ، واصْطفاها على نساء العالمين ، مع أن قومها كانوا كفاراً ، وقد صَانتْ نفسها من دنس الفواحش ، وأوْدَعَ اللهُ فيها بقوته سر الحياة ، فحملتْ بسيدنا عيسى عليه السلامُ ، منْ غير أن يمسَّها بشرٌ ، وآمنت بعيسى وبالكتب المنزلة ، وأطاعتْ ربها ، فكتبَ لها الجنة . وقدْ بيَّن اللهُ فى هذه الآيات ، أن كل إنسان مسؤولٌ عن عمله ، فلا تنفعه قرابتهُ من الصالحين ، إذا كان هوَ من العاصين ، ولا تضره قرابتهُ منَ العاصين ، إذا كان هوَ من الطائعين ؛ وفى هذا كله تعريضٌ بحفصةَ وعائشة زَوْجى النبى ، وتنديدٌ بما بدا منهما من تعاونهما على النبى ، والعمل على إحراجه ؛ وفيه تحذيرٌ لهما بأنهما لا يعودان إلى مثل ذلك ، لأن صلتهما بالنبى وأبويهما لا تغفر لهما ذنبهما ، كما أن صلةَ امرأة نوح ولوط بزَوْجيهما لم تنفعهما ، ولم تكنْ سبباً فى المغفرة لهما ؛ وفى هذا التعريض مؤاخذةٌ شديدةٌ لحفصةَ ، لأن ما فعلته من الإفشاء للسر ، يشبهُ ما فعلتهُ امرأةُ لوط من الإفشاء للسر أيضاً ، ولأنه لمْ يلحقْ بالنبى صلى الله عليه وسلم من الضرر مثل ما لحقَ بنوح ولوط من أذى زَوْجتيهما ، فقدْ قبل اللهُ توبةَ حفصة وعائشة ، وحذرَهما أنْ تعودَا إلى مثل ما فعلتا .

فهرس الجزء السابع والعشرين من تفسير القرآن الكريم

فهرس جزء قد سمع ، أو الجزء الثامن والعشرين

الأرقام	أسماء السور	أرقام الآيات فى المصاحف	أرقام الصفحات
١	التغابن	من ١ — ٤	« ٢٤٤ — ٢٤٦
٢	«	« ٥ — ١٣	« ٢٤٧ — ٢٥٠
٣	«	« ١٤ إلى آخر السورة	« ٢٥١ — ٢٥٣
١	الطلاق	« ١ — ٣	« ٢٥٤ — ٢٥٨
٢	«	« ٤ — ٧	« ٢٥٩ — ٢٦٢
٣	«	« ٨ إلى آخر السورة	« ٢٦٣ — ٢٦٥
١	التحريم	« ١ — ٥	« ٢٦٦ — ٢٧٠
٢	«	« ٦ — ٩	« ٢٧١ — ٢٧٤
٣	«	« ١٠ إلى آخر السورة	« ٢٧٥ — ٢٢٧



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٨٠ لسنة ١٩٨٢

الطبعة الثانية

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

Printed in Italy by A. Mondadori Editore - Verona